افتتاحية العدد

كان من المقرر أن يكون هذا العدد من مجلة «تراثيات» بين يدي القارئ الكريم، في مطلع شهر يناير سنة ٢٠١١م، أي قبل حوالي أربع سنوات، لكنه تأخر كثيرًا جدًا وبصورةٍ تُخِلُّ بانتظام صدور المجلة، وتُخِلُّ كذلك بالصلة أو التعاقد غير المكتوب مع القارئ الكريم.

ومنذ أن شرُفت بتولي مسؤولية دار الكتب والوثائق القومية مطلع يوليو الماضي حرصتُ على أن يكون على رأس أولويات العمل انتظامُ صدور مطبوعات الدار في مواعيدها، وكنتُ أعلم من خلال متابعتي - كقارئ - لإصدارات الدار أن هناك مجلتين تأخر صدورهما عن الموعد المقرر لكلٍّ منهما، ولمَّا استفسرتُ من زملائى بالدار تبيَّن أن سبب التأخير - في المَقام الأول - هو تأخر ورود المادة العلمية إلى هيئة تحرير كل مجلة؛ مما أدى إلى عدم انتظام الصدور، وأيًا كان سبب التأخير أو المسئول عنه، فإنني أجدني مُطالبًا بتقديم الاعتذار إلى القارئ الكريم عن هذا التأخير مع وعدٍ ببذل كل جهدٍ كَيْلا يتكرر ثانية.

ولعلّي لا أضيف جديدًا إذا قلت إن الاهتمام بالتراث العربي والإسلامي تحقيقًا ودراسةً ونشرًا هو مهمةٌ أُولى لدى دار الكتب والوثائق القومية، وخاصة مركز تحقيق التراث الذي يضم علماء وخبراء يقومون بهذه المهمة، وتاريخ المركز بل دار الكتب كلها يشهد بذلك، وسوف تظل الدار وفيةً لهذا الدور، حريصةً على القيام به، وتسعى إلى أن تقوم به على خير وأكمل وجه، خصوصًا أننا فى مرحلة كثر فيها المتاجرون بالتراث والمزايدون به وعليه سعيًا إلى مكسب وربح ماديٍّ سريع، وقد حقق بعضهم ذلك، فهناك كُتَّابٌ زعموا أنهم يُحققون التراث، وتشهد الوقائع أنهم تعجلوا وما درسوا معنى التحقيق، وهناك أصحاب دور نشرٍ ومكتباتٍ حولوا التراث إلى تجارةٍ رخيصةٍ دون أن يلتزموا بقواعد النشر وقوانينه، ودون أن يلجأوا إلى أهل التخصص.

والتقى هؤلاء مع فئةٍ ومجموعاتٍ أخرى زايدوا بالتراث سعيًا نحو الوصول إلى السلطة وكرسى الحكم، دون أن تكون لديهم القدرات والإمكانات، ودون أن ينالوا قبول جموع المواطنين، وقد ابتُلينا من بين هؤلاء بمن أرادوا أن يكون التراث سيفًا في يدهم وسكينًا يذبحون به خصومهم ويرهبون به من يرفض تجارتهم وأيديولوجيتهم أو يتصدى لمشروعهم السلطوي، وكانت النتيجة أساءوا إلى التراث وإلى الدين وإلى الإنسانية عمومًا وإلى مصر الحبيبة.

هذه المظاهر - وإن شئت فَقُل الجرائم التي ابتُلينا بها - تفرض علينا مزيدًا من الاهتمام بالتراث لتحريره من المتاجرين والمزايدين به، وتحريره كذلك من أولئك الذين يُنكرونه جملةً وتفصيلاً، وفي النهاية تحرير مجتمعاتنا التي تسعى نحو النهوض واللحاق بالعصر، ولايُمكن أن يتحقق لنا ذلك دون أن نستوعب تراثنا ونَعِيَه فهمًا ودراسةً وتحقيقًا.

وبهذا المعنى يأتي حرصنا على أن تستمر هذه المجلة وأن ينتظم صدورها.

حلمي النمنم

التراث عند طه حسين

أ. د. حسين نصار(*)

التراث كلمة عربية أصيلة، يقول المعجم اللغوي عنها: إنها مبدلة من إراث، المبدلة من وراث. ويفسرها بأنها تطلق على كل ما خلَّفه لنا السابقون علينا ووصل إلينا، غير أننا اعتدنا في حياتنا الفكرية أن نطلقها على ما خلف السابقون من فكر وعلم وفن وقيم، وكثيرًا ما لا نريد إلا الآداب والفنون والمأثورات الشعبية.

ونجد آثار هذه المدلات في إنتاج د. طه حسين، غير أن بعض الفروع تختفي ويبرز بعضها الآخر كالأدب والفلسفة بروزًا يكاد يغطي على غيره ويخفيه.

وتكشف ثقافة طه حسين أنه غاص في أغوار الثقافة العربية قديمها وحديثها، وخاصة في أنواع الثقافة الإغريقية (اليونانية القديمة) واللاتينية (الرومانية) والفرنسية وتعرُّف ما حملته هذه الثقافات من غيرها.

ولما كان التراث العربي بعيد المدى طويل العمر، فقد تعاورته الأحداث فسمت به أطوار إلى أعلى القمم، وانحطت به أطوار إلى القيعان وأقرب ما يكون إليها؛ ومن ثم اختلف أبناؤه - أي نحن - في النظر إليه اختلافًا كبيرًا. بل انشطروا قسمين: قسمًا يكاد يقدسه ويدعو إلى الحرص عليه والتمسك به، وعدم الخروج عن شيء منه؛ وقسمًا يرفضه ويدعو إلى طرحه كما يطرح كل ما يفقد الحياة والفائدة.

ويضيف د. طه إلى ذلك ما حدث للذوق العربي من تغير بسبب شدة الاتصالات بيننا وبين الأقطار الأوربية والحياة المادية والفكرية والأدبية والفنية والعلمية فيها.

وأعلن في أثناء نقده لإحدى قصائد أحمد شوقي عن ذوق المصريين المحدثين أنه ذوق معقد، فيه أثر الأدب العربي القديم، وأثر الأدب الغربي الحديث؛ وأن الشعر العربي القديم يلائم ذوق العرب في عصره، ويصور المثل الأعلى لهم فهو جميل. وهو يعجب المصريين ويرضيهم فيمثل لهم حظًا من هذا المثل الأعلى (حافظ ٣٧- ٣٩).

وصرح أنه لا يحب أن يظل الأدب القديم في هذه الأيام كما كان من قبل؛ لأننا نحب القديم من حيث هو قديم ونصبو إليه متأثرين بعواطف الشوق والحنين؛ وإنما نحب لأدبنا القديم أن يظل كما كان - لأنه أساس الثقافة العربية - ضرورة من ضروريات

(*) أستاذ كرسي الأدب المصري - كلية الآداب - جامعة القاهرة.

الحياة العقلية قوامًا للثقافة وغذاء للعقول والقلوب، فهو يعد الأدب القديم دون شك ولا مراء: مقومًا لشخصيتنا، محققًا لقوميتنا، عاصمًا لنا من الفناء في الأجنبيين، معينًا لنا على أن نعرف أنفسنا.

ويحب ذلك لأن هذا الأدب صالح ليكون أساسًا من أسس الثقافة الحديثة؛ لأن فيه كنوزًا قيمة تصلح غذاء لعقول الشباب (حديث الأربعاء ١: ١٣).

وأعلن عن وجود شعر قديم ما زال يترقرق فيه ماء الحياة، وأشار إلى أن المعلقة التي تُعزى إلى الشاعر المخضرم لبيد خشنة الملمس، غليظة اللفظ، بعيدة عن مألوفنا، ولكنه - مع ذلك - يجد فيها شعرًا قويًا غنيًا خصبًا ممتعًا خليقًا بالإعجاب والإكبار، خليقًا أن يثير في نفوسنا عاطفة قلما تثيرها فينا خطوب حياتنا المتحضرة التي تشغلنا بالعاجل من الأمر.

ووصف شاعرها بأنه يسلك إلى تصوير عواطفه فيها نفس العواطف التي يسلكها الشعراء المحدثون، طريق التصوير القوي المؤثر الذي يؤثر في نفسك الإعجاب؛ لأنه يؤثر في عقلك وشعورك معًا. (حديث الأربعاء ١٨ - ١٩).

وختم تحليله لها بقوله يخاطب القارئ: أظنك موافقني على أن مثل هذا الشعر الذي يعرض مثل هذه الصور، ويثير مثل هذا الخيال، ويحيي في النفس مثل هذه العواطف، لا ينبغي له أن يهمل، ولا أن يصرف عنه الشباب، ولست أريد أن يفرغ له الشباب ويتخصصوا فيه، ولكني أريد أن يعرفه الشباب وأن يحسنوا العلم بأغراضه ومعانيه. وأنا واثق أنه لن يكون أقل إلهامًا لهم وإحياءً لنفوسهم من الأدب الحديث (حديث الأربعاء ١: ٢٦ - ٢٧).

وختم د. طه حسين حديثه بتكرار ما سبق أن قاله من أن الأدب العربي شعره ونثره وعلمه وفلسفته لا يمكن بحال من الأحوال أن يقل عن الآداب الأربعة القديمة، بل هو - من غير شك - متقدم على اللاتيني والفارسي - وإذا لم يكن بد من أن يكون له مناظر فهو الأدب اليوناني الذي ينحني له الأدب العربي، مع شيء من الإجلال الذي تملؤه العزة.

ويكفي أن نلاحظ أن الأدب العربي هو الأدب الذي عاشت عليه كل الأمم العربية. وهو الأدب الذي حمل لواء العلم والعقل طول القرون الوسطى. ويكفي أن نلاحظ أن النهضة الأولى التي ظهرت في القرن الثاني عشر في أوربة إنما هي نتيجة لاتصال أوربة بالعرب. فأدبنا هو الذي أحيا العقل الأوربي، حتى جاءت النهضة الثانية التي

اتصل فيها الأدب الأوربي بالأدب اليوناني القديم.

فلو لم يكن للأدب العربي إلا أنه قد حمل لواء الأدب والعقل الإنسانيين في عشرة قرون، لكان هذا كافيًا للاعتراف بأن هذا الأدب من الآداب التي تعتز بنفسها وتستطيع أن تثبت لصروف الزمان.

أما إذا ذكر الأدب الحديث، فليس عندنا إلا الأمل. وكل شيء يدل على أن زمنا قصيرًا لن يمضي حتى يستطيع أن يثبت للآداب الأجنبية كما ثبت لها أدبنا القديم (من حديث الشعر والنثر ١٧ - ١٩).

وليس المهم أن يصدق الشعراء أو يكذبوا، بالقياس إلى الذين يمدحونهم ... وإنما المهم أن يصدق الشعراء في تصوير المثل العليا فيما ينشئون من مدح وثناء، لأن المادحين والممدوحين يذهبون وتبلى أشخاصهم، ولكن المثل العليا التي يصدقون في تصويرها تبقى للناس ما بقي الناس.

وهذا هو معنى ما يقال من أن الأدب الصحيح الجدير بهذا الاسم خالد مهما يُصيب أصحابه وبيئاتهم من الخطوب وأحداث الزمان. وهذا هو السر في أن التراث الأدبي والفني عزيز على الإنسانية المثقفة؛ لأنه يصدر لها الجمال، والجمال خالد لا يدركه الفناء.

وما أظن هؤلاء السادة يريدون أن يلغوا ... آثار أصحاب الفن الخالدين من أصحاب التصوير والنقش والعمارة؛ لأن هذه الآثار قد أنشئت لملك أو أميرًا أو شريف من أصحاب الإقطاع.

فقد ذهب هؤلاء جميعًا، وذهب معهم الذين أنشئت لهم هذه الآثار، وبقيت هذه الآثار تراثًا خالدًا نحوطه كلنا بما نملك من القوى والجهود، ويحرص عليه منا الذين يحبون القديم، والذين يدعون إلى التجديد. (خصام ٥١ - ٥٢).

فالعلم والفن والمعرفة - على اختلاف موضوعاتها - كنوز لا ينقص منها انتفاع الناس بها، وتهالكهم عليها ... وإنما يزيدها ذلك خصبًا إلى خصب، وثراء إلى ثراء. ولو لم يقرأ القدماء ويدرسوا لما أنتج المحدثون شيئًا من علم أو فن. ولو لم يظهر بعض المحدثين على آثار بعض لما ازدهر العلم، ولا تأنق جمال الفن، ولا عظم تراث الإنسانية من المعرفة.

فهذه كنوز يزيد فيها الأخذ منها، وينقصها الإهمال لها والإعراض عنها أو قل إنها

تحيا بالإقبال عليها، وتموت بالزهد فيها. (خصام ١٦٦).

وأشار د. طه إلى أن حياة القدماء كلها ملك التاريخ، وكلها نافع للمؤرخ والأديب بل واجب عليهما. ومن الإثم وتعمد الجهل أن نتكلف بإخفاء ناحية من النواحي الأدبية، ربما كانت أحق من غيرها بالدراسة وليس بمقدور العلم وكرامته أن يغير التاريخ، أو أن يظهر عصرًا من عصور الأمة على غير ما كان عليه. وصرح أن لمقالاته نتيجتين قيمتين:

الأولى: أنها جلته ناحية من نواحي تاريخ الأدب العربي لم تكن واضحة.

والأخرى: أن فيها ضربًا من مناهج البحث، حسب أن الأدباء ولو فهموه لاستطاعوا أن يستغلوا الكنوز القيمة التي لا تزال مجهولة، والتي نشأ من جهل الناس بها إياها - غضبهم من الأدب العربي وانصرافهم في أفقه وازدراء. (حديث الأربعاء ١: ٧ - ٨).

وكتب في (قادة الفكر) في مناسبة أحد الكتب المتعاقبة التي تتصدى لتاريخ اليوناني، قال: إن هذا الكتاب ليس أول كتاب ظهر في هذا الموضوع، ولن يكون آخر كتاب: لأن الأوربيين يتخذون قاعدة قانونًا لهم، تقول: ليس إلى فهم الحياة الحديثة - على اختلاف وجوهها - من سبيل إلا إذا فُهمت مصادرها الأولى التي هي الحياة اليونانية.

ثم دعا المصريين إلى أن نسلك سبيلهم في فهم حياتنا التي استعرناها منهم في جميع فروع الحياة ونعدل من حياتنا القديمة عدولا يوشك أن يكون تامًا. (٥١ - ٥٢).

واستدل على رأيه بأفلاطون الذي يرى أنه لم يخترع فنه الأدبي اختراعًا، وإنما تأثر فيه بألوان الشعر اليوناني الثلاثة الموجودة، ولم يخترع فلسفته اختراعًا، وإنما تأثر فيها بالمذاهب الفلسفية المختلفة التي سبقته وعاصرته، غير أن هذا التأثر لم يضطره إلى التقليد، ولم يضعف من شخصيته. وإنما قوّى هذه الشخصية تقوية عظيمة.

وختم د. طه هذا الاستدلال بالقاعدة التي تعلن:

أين هو هذا النابغة الذي يخترع شيئًا من لا شيء، ويُحدث أحداثًا لا تتصل بما قبلها وحولها؟!. (قادة ١٣٤ - ١٣٥).

وانتقل د. طه إلى تعديد الصعاب والعقبات التي لا بد أن يواجهها من يطالع الأدب القديم، ولا يجد إلى تذليلها من سبيل، وهي:

١- الألفاظ الضخمة التي تنبو عنها أذن القارئ وتستغلق معانيها عليه.

٢- اضطراب شروح الشعر العربي القديم والمعاجم، وشدة اختلاطها، وكثرة

استطرادها، وإذا فهمها ليس أدنى إليه ولا أيسر عليه من فهم النص الشعري.

٣- عدم نفع كتب المحدثين التي لجأ إليها لتقرب إليه هذا الأدب النافر الجامح.

٤- فرض هذا الأدب القديم في المدرسة بحيث حمّله من المشقة ما لا يطيق، وبغّض إليه المدرسة.

٥- فتنة الناس بالسهل القريب، وكراهيتهم الجهد والتعب.

٦- وإغراء الحضارة الحديثة بهذا. وهم يجدون في الأدب الأجنبي الحديث ما يرضيهم. إن أرادوا اللذة الفنية ظفروا بها، وإن أرادوا اللهو انتهوا إليه، وإن أرادوا إنفاق الوقت لم يجدوا في ذلك جهدًا ولا عناء.

امتلاك الحضارة الحديثة من الوسائل ما لا يملكه الأدب القديم، على الرغم من ... الجهود التي بذلت في العصر الحديث لإحيائه لا بأس بها. فهي تسعى إلينا وتبلغنا من كل وجه، وتلحّ علينا في جميع أطوار حياتنا، وإنتاجها الأدبي لا ينقطع. (حديث الأربعاء ١: ٩ - ١٣)

وصوّر الأدب القديم بحديقة، طال عليها الزمن، وأهملت دون أن تقطع عنها مادة الحياة، فمضت أشجارها وشجيراتها في غير نظام حتى اختلط أمرها اختلاطًا شديدًا، وأصبح من العسير على مرتادوها أن يجدوا فيها سبيلا إلى ما يحبون من النزهة والراحة إلى الجمال. (حديث الأربعاء ١: ١٥ - ١٦).

فليس يقرؤه إلا الذين أنتجت لهم ثقافة واسعة عميقة في الأدب العربي القديم. وإنما يقرأ الناس اليوم ما يكتب لهم المعاصرون في الأدب الحديث بلغتهم، فقراءة الأدب القديم عسيرة، وفهمه أعسر، وتذوقه أشد عسرًا. ثم تساءل على وجه الإنكار، وأين القارئ الذي يطمئن إلى: قراءة الأسانيد المطولة، والأخبار التي يلتوي بها الاستطراد، وتجور بها لغتنا القديمة القريبة عن سبيل الفهم السهل والذوق الهين الذي لا يكلف مشقة. (على هامش السيرة).

ألقى د. طه لمحة سريعة في (حديث الأربعاء)على طريقته في التعامل مع مادته. فصرح أنه لم يكن بد لكتابتها من أن يتجنب التعميم في البحث والإلحاح في التحقيق العلمي، إذا كانت الصحف السيارة [التي نشرت مقالاته] لا تصلح لمثل هذا .. ولم أُعْنَ بهذه الفصول كي يعنى الباحث المحقق ببحث علمي وأدبي قيم. (ص، ٦٥).

وإنما ... بعض الإفادة في (على هامش السيرة) إذ قال:

ورأيتني أقرأ السيرة فتمتلئ بها نفسي ويفيض بها قلبي وينطلق بها لساني، وإذا أنا أملي هذه الفصول وفصولًا أخرى أرجو أن تنشر بعد حين.

فليس في هذا الكتاب إذًا تكلف ولا تصنع ولا محاولة للإجادة، ولا اجتناب للتقصير، وإنما هو صورة يسيرة طبيعية صادقة لبعض ما أجد من الشعور حين أقرأ هذه الكتب.

فإذا استطاع هذا الكتاب أن يحبب إلى الشباب قراءة السيرة خاصة، وكتب الأدب القديم عامة والتماس المتاع الفني في صحفها الخصبة فأنا سعيد حقًا، وموفق حقا إلى أحب الأشياء إليّ وآثرها عندي.

وإذا استطاع أن يلقي في نفوس الشباب حب الحياة العربية الأولى، ويلفتهم إلى أن في سذاجتها ويُسرها جمالا ليس أقل روعة ولا نفاذًا إلى القلوب من هذا الجمال الذي يجدونه في الحياة الحديثة المعقدة؛ فأنا سعيد موفق إلى بعض ما أريد.

وإذا استطاع هذا الكتاب أن يدفع الشباب إلى استغلال الحياة العربية الأولى، واتخاذها موضوعًا قيما خصبًا، لا للإنتاج العلمي في التاريخ والأدب الوصفي وحدهما، بل للإنتاج في الأدب الإنشائي الخالص، فأنا سعيد موفق إلى بعض ما أريد.

ثم إذا استطاع هذا الكتاب أن يلقي في نفوس الشباب أن القديم لا ينبغي أن يُهجر لكونه قديمًا، وإنما يُهجر القديم إذا برئ من النفع، فإن كان نافعًا فليس الناس أقلَّ حاجة إليه منهم إلى الجديد، فأنا سعيد موفق إلى بعض ما أريد. (على هامش السيرة ١: ط ي).

وجمع أقوال الرافضين في (من حديث الشعر والنثر) وقال: خصوم القديم وأنصار الحديث يزعمون أن هذا الشعر كانت له قيمة في عصره القديم، ويجب أن يُعدل عنه إلى أدب جديد يستمدونه من الأدب والحضارة الأوربية.

ويرد عليهم بأن الأدب العربي القديم ليس أدبًا ميتًا؛ لأنه لا يزال حيًا، ونحن في حاجة إلى أن نستمد من الأدب الأوربي الحديث أيضًا، وأن تكون الحياة دائمًا من صالح القديم والجديد (١٤ - ١٥).

ويزعمون أن الشعر العربي فقير بالنسبة للشعر الأجنبي، فليس فيه شعر قصصي ولا تمثيل كما كان عند اليونان.

وكان رده: هذا غريب، فلست واثقًا كل الثقة من أن الأدب العربي يخلو من

القصص، وأخشى أن يكونوا لم يحققوا بالضبط معنى الأدب القصصي، فالذين يقرأون الشعر الجاهلي والأموي - كشعر جرير والفرزدق والأخطل - يلاحظون أن مزايا كثيرة من خصائص الشعر القصصي موجودة فيه. وأهم ما يمتاز به الشعر القصصي أن شخصية الشاعر تفنى، وان يكون الشعر مرآة لحياة الجماعة، وأنا أستطيع أن أؤكد أنا لا نعرف شيئًا يصور الأمة أصدق تصويرًا، ويضطرنا أن نلمسها بأيدينا كالشعر العربي. (١٥ - ١٦).

وفي تصويره لبعض أبطال قصصه جعلهم يهوون التراث واستعراضه على من يتصلون به، مما رفع من أقدارهم لديهم. قال عن ياسر بن عامر الصحابي: وكانت أحاديث ياسر مختلفة أشد الاختلاف، تُروع بغرابتها وطرافتها وإثارتها الشوق إلى الاستزادة والرغبة في الاستطلاع. فقد كان ياسر لا ينفك يروي غرائب الأجناد وطرائف الأحداث عن موطنه ذلك البعيد في تهامة اليمن ... ولم يكن أحد أعلم من ياسر بمناقب قريش ومثالبها. ولم يكن أحد أشد منه تعلقًا بالتحدث عن سادة قريش وقادتها ... وكان ياسر إذا أخذ في الحديث عن قريش أمعن فيه واستهوى أفئدة سامعيه. (الوعد الحق ٢٢).

وفي كتاب «خصام» نعى د. طه التراث والأدب الحديث معًا، وصرح أن القارئ الحديث يبحث عن السهولة في الكتب والمجلات والصحف، والموضوع الذي يحتاج كاتبه إلى البحث الطويل عسير على الكاتب والقارئ معًا. وتخيُّر الألفاظ والتأنق فيها يكلفهما ما لا يحبان أن يتكلفا. وطلب الرحمة لأيام كانت الصحف فيها تتنافس أيها يكون أشد عناية بالأدب، وتتبعًا للموضوعات التي يفرغ لها القراء فيستمتعون بها وينقدونها ويعلقون كتابة عليها.

وختم بتصريح دال له: عفا الله عن مصر، ما أشد إهمالها العقل والقلب والذوق. وما أشد تقصيرها في ذات الأدب والفن والعلم. (خصام ٥- ٨).

احتج رافضو التراث بمشقته وغربته عنهم. صور د. طه حوارًا دار بينه وبين أحد الرافضين، وذكر أنه قال: إنكم تشقون علينا حين تكلفوننا قراءة شعركم القديم هذا، وتعيبوننا بالإعراض والتقصير في درسه وحفظه وتذوقه؛ لأنكم تتكرون الزمن وتحسبون أننا نعيش الآن في القرن الأول قبل الهجرة أو بعدها، نستطيع أن نأتي من الأمر ما كان أهل ذلك الزمان يأتونه، وأن نحس كما كانوا يحسون، ونفهم - من أجل ذلك - ونذوق ما كانوا يقولون.

وكيف يستقيم لكم درس الأدب إذا لم تقيموه على إتقان العلم بالتاريخ، إن حياتنا غير حياة هؤلاء الناس، وإن الصلة قد انقطعت أو كادت بينهم وبيننا، لا سيما بعد أن أقبل العصر الحديث، وحمل إلينا الحضارة الحديثة، وباعد بيننا وبين القدماء، وجعل الأساليب بيننا وبين المحدثين من أهل الغرب أدنى من الأساليب بيننا وبين القدماء من أهل نجد والحجاز، إنكم لتكلفون أنفسكم وتكلفوننا ضروبًا من الجهد العنيف في غير طائل. ولو أنكم تقدرون الوقت والجهد لوضعتم شعركم القديم هذا حيث أرادت الحياة. فقصرتم درسه وفهمه على العلماء الإخصائيين يبتغون لذتهم الخاصة وما يسمونه خدمة العلم وإحياء التاريخ، ولكن رفقًا بالشباب، لا تكلفوهم بما لا يطيقون. لا تفرضوا شعركم القديم على الطلاب والتلاميذ، فليس هذا الشعر منهم، وليسوا هم من هذا الشعر في شيء. (حديث الأربعاء ٩ - ١٠).

وذكر أن الانصراف عن الشعر القديم أصبح علة متفاقمة، تؤذي وليس في الشفاء منها أمل، ومع أن الجهود التي بذلت في هذا العصر الحديث لإحياء الأدب العربي القديم لا بأس بها، يجب أن نعترف بأنها لم تغن عنه شيئًا؛ لأن الحضارة الحديثة تملك من الوسائل ما لا يملكه الأدب القديم، وتسعى إلينا وتبلغنا من كل وجه، وتلح علينا بإنتاج لا ينقطع، يغرينا باختلافه وسحره، ويصرفنا عن الأدب القديم. (حديث الأربعاء ١٢).

وصم د. طه من يزدرون الأدب العربي ويغضون منه بأنهم يجهلون هذا الأدب جهلًا منكرًا. وجاهر: ليس لمن جهل شيئًا أن يحكم عليه. (حديث الأربعاء ٨).

ووصم من يظنون أن الحضارة الحديثة حملت إلى عقولنا خيرًا خالصًا، بأنهم لم يفهموها على وجهها، ولم يتعمقوا أسرارها ووقائعها، فكانت مصدر جمود وجهل، كما كان التعصب للقديم مصدر جمود وجهل أيضًا.

ورأى أنهم من ضحايا الحضارة الحديثة، فهي لا تنكر القديم ولا تصرف عنه - وإنما تحببه وتحث عليه؛ لأنها تقوم على أساس متين منه - ولولا القديم ما كان الحديث. وأن غير قليلين من أدباء الأوربيين الآن يحسنون من آداب القدماء ما لم يكن يحسنه القدماء أنفسهم.

وليس التجديد في إقامة القديم، وإنما في إحياء القديم، وأخذ ما يصلح منه للبقاء.

وخاطب من يعارضون التراث لأن فيه ما لا يقره التفكير العلمي العقلي، قال: أحب

أن يعلم هؤلاء أن العقل ليس كل شيء، وأن للناس ملكات أخرى ليست أقل حاجة إلى الغذاء والرضا من العقل، وان هذه الأخبار إذا لم يطمئن إليها العقل، ولم تستقم لها أساليب التفكير العلمي، فإن في قلوب الناس وعواطفهم وخيالهم وميلهم إلى السذاجة، واستراحتهم إليها من جهة الحياة وعنائها، ما يحبب إليهم هذه الأخبار. (على هامش السيرة ١: ك).

ورأى د. طه أن الأدب القديم لم ينشأ ليبقى كما هو ثابتًا لا يتغير، ولا يلتمس الناس لذته إلا في نصوصه تقرأ وتحفظ. إنما الأدب الخصب حقًا هو الذي يلذك حين تقرأه؛ لأنه يقدم إليك ما يرضي عقلك وشعورك.

ويوحي إليك بما ليس في نصوصه ويعيرك من خصبه خصبًا، ومن ثروته ثروة، فينطقك كما أنطلق القدماء. ولا يستقر في قلبك حتى يتصور في صورة قلبك أو يصور قلبك في صورته. وإذا أنت تعيده على الناس، فتلقيه عليهم في شكل جديدة يلائم حياتهم التي يحيونها، وعواطفهم التي تثور في قلوبهم. وخواطرهم التي تضطرب في عقولهم.

هذا هو الأدب الحي، القادر على البقاء ومناهضة الأيام. أما الأدب الذي ينتهي أثره عند قراءته، فقد يكون له قيمته، ولكنه أدب موقوت، يموت حين ينتهي العصر الذي نشأ فيه.

الآداب الحية هي آداب العصور والبيئات والأجيال كلها، لا لأنها تعجب الناس على اختلاف العصور والبيئات فحسب، بل لأنها - مع ذلك - تلهم الناس، وتوحي إليهم، وتجعل منهم الشعراء والكتاب والمتصوفين في ألوان الفن على اختلافها. (على هامش السيرة).

وفي أدبنا العربي - على قوته الخاصة - قدرة على الإلهام ... فأحاديث العرب الجاهليين وأخبارهم لم تكتب مرة واحدة ... وألهمت السيرة النبوية الكتاب والشعراء في أكثر العصور والبلاد الإسلامية. فصوروها صورًا تتفاوت حظوظها من القوة والجمال الفني. وقل مثل ذلك في الغزوات والفتوح، والفتن التي أصابت العرب في عصورهم.

ولم يقف إلهام هذا التراث الأدبي العظيم عند مستخدمي اللغة العربية الفصحى، بل تتجاوزهم إلى جماعة من القصاص الشعبيين، وختم بقوله: ليس القدماء خالدين حقًا إذا لم يكن التماسهم إلا عند أنفسهم، وإنما يحيا القدماء ويخلدون حقًا إذا امتلأت

بصورهم وأعمالهم قلوب الأجيال مهما يبعد بهم الزمن، وكانوا كنوزًا يستثمرها الكتاب والشعراء. (على هامش السيرة ١ : د - ح).

وقال: أحب أن يعلم الناس أني وسعت على نفسي في القصص، ومنحتها من الحرية في رؤية الأخبار واختراع الحديث ما لم أجد به باسًا إلا حين تتصل الأخبار بشخص النبي أو بنحو من أنحاء الدين، فإني لم أبح لنفسي فيها حرية ولا سعة، وإنما التزمت ما التزمه المتقدمون من أصحاب السيرة والحديث ورجال الرواية وعلماء الدين.

ولن يتعب الذين يريدون أن يردوا فصول هذا الكتاب إلى مصادره القديمة التي أخذ منها، فهي قليلة جدًا لا تكاد تتجاوز سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وتاريخ الطبري، وليس في هذا الكتاب فصل إلا وهو يدور حول خبر ورد في كتاب من هذه الكتب، فإذا اتصل الخبر بشخص النبي فإني أرده إلى مصدره ليستطيع من شاء أن يرجع إليه، لا أحتمل في ذلك تبعة خاصة لأني لا أذهب فيه مذهبًا خاصًا إلا أن يكون تبسطًا في الشرح والتفسير واستنباط العبرة والوصول بها إلى قلوب الناس. (على هامش السيرة ١ : ك - ل).

لا يشك أحد أن د. طه له لغته التي ينفرد عن غيره من أدباء عصره، فلا يكاد يستمع إليها المستمع أو يطالعها المطالع حتى يصرح في يقين: أنه أمام لغة طه حسين. ولست أريد أن أفصل الحديث عن هذه اللغة وخصائصها، وإنما أقصد إلى جانب واحد.

فأنا أرى أن هذه اللغة تراثية، تختار ألفاظها على هدى مقاييس قريبة من مقاييس أعلام الأدب القدماء ومن يحتذونهم من المحدثين، وفي الوقت نفسه لها بعدها عنها، ويحكم عباراته إحكامًا نفتقده عند أكثر المحدثين. وهذا ما أصفه بالتراثية.

وأضيف إليه ما يقتبسه من عبارات التراث، مثل قوله: قنعتُ من الغنيمة بالإياب. (دعاء الكروان ١٤١).

وقوله: قال أبو جهل وقد انتفخ سحره وورم أنفه وصعد الدم إلى وجهه، وجعلت عيناه تقدحان شررًا. (الوعد الحق ٣٢).

وقوله: قبل أن يرتد إليك طرفك ... الحديد لا يفله إلا الحديد ... إنما تريد أن تقترن بأقوى ملوك الجن قوة، وأشدهم أيدًا وأعظمهم بأسًا، وأبعدهم صوتًا (شهرة) ... يُسقط في أيديهم ... فيرى فتاة لا تلبث أن تملك عليه سمعه وبصره وقلبه وعقله جميعًا. (أحلام شهر زاد ٣٢ - ٣٥، ٤٥).

وقوله: أرهقنا هذا الفتى عُسرا. (شجرة البؤس ٨).

بل كثيرًا ما اعترف أنه يستمد أقواله من القدماء أو كما يقول الشاعر القديم. (مستقبل الثقافة ٨).

هنا يصل بنا التطواف إلى محطة لها أهميتها الخاصة، وتحتاج من القارئ إلى إنعام نظر وفكر ورحابة صدر وعلم، إذ لا يقتصر فيها على طه حسين، بل تتدافع فيها أمواج دينية وفكرية وسياسية، ربما وغيرها. أريد بهذا محطة التراث، الذي ... على نفسي وعلى القارئ بأن كل ما خلفه ... من سبقونا، و.... أنني أتحدث عن العربي وحده باعتباري، وأن ما أورده من معلومات دينية إسلامية فقط باعتبار أن أتباعه وأن ما أورده من آراء هي آرائي الخاصة التي تتفق وتختلف مع آراء غيري.

يجب عليَّ أن أعترف بوجود الجماهير الكبيرة التي اصطلح المفكرون المحدثون على تسميتهم بالأصوليين، ويرفض هؤلاء الفنون التشكيلية والتمثيلية جملة، ويصفونها بالمحرمات.

كما يجب أن أعترف بوجود جماهير منهم ترفض ما قد أسميه التشخيص، أريد ما يماثل أشخاص البشر والحيوانات والطيور.

فإذا أبعدنا عن هؤلاء وقصرنا النظر على التراث الأدبي العربي وحده، بعدنا عن كثير من المبادئ العامة، واقتربنا من التخصيص الذي ييسر الأمر شيئًا ما. حقا وُجد وما يزال يوجد من يرفضه جملة ويدعو إلى التخلص منه، فما موقف د. طه منه؟

يعرف كل متصل بالأدب العربي مدى إعجاب طه حسين به: شعره، ونثره، ويعدد من أعلامه: شعراء وكتاب. وأكتفي بإيراد شيء من أقواله فيما يأتي:

عرض د. طه للآداب الكبرى التي رأى أنها شغلت الناس، وعاشت عليها الإنسانية قديمًا، وما زالت تعيش عليها. وحصرها في الأدب اليوناني القديم، والأدب الروماني أو اللاتيني، والأدب الفارسي، والأدب العربي. واعترف بأنه لا يعرف عن الأدبين الهندي والصيني شيئًا. ثم أعلن:

الأدب العربي: شعره ونثره وفلسفته لا يمكن بحال من الأحوال أن يقل عن الآداب الأربعة القديمة. بل هو - من غير شك - متقدم على اللاتيني والفارسي. وإذا لم يكن بد من أن يكون له مناظر، وأن الأدب العربي ينحني له - مع شيء من الإجلال الذي تملؤه العزة - فهو الأدب اليوناني.

وأما الأدب اللاتيني فسترون أنه يقوم على تقليد الأدب اليوناني، فهو ليس أدبًا مبتكرًا.

أما الأدب الفارسي فهناك أسطورة غريبة جدًا قائمة على خطأ شنيع. زعموا أن الأدب العربي مدين بشيء كثير جدًا للأدب الفارسي، وأن العرب كانوا في العصر العباسي تلاميذ الفرس في كل شيء، كان الشعراء فرسًا، والعلماء فرسًا، ورجال البلاد فرسًا.

أما أنا فلست أنكر أن الفرس قد أثروا في الحياة العربية تأثيرًا شديدًا، ولكنه في كثير من الأحيان سيئ جدًا ... ولكني مضطر أن أعترف أننا حين نبحث عن الأدب الفارسي الذي أثر في الأدب العربي، لا نكاد نجد شيئًا ... وأنا أذهب إلى أبعد من هذا، فإنه إذا كانت أمة مدينة لأخرى في الأدب، فليست العربية هي المدينة، بل الأمة الفارسية هي المدينة للعربية.

إذن فبين هذه الآداب الأربعة ... التي شاعت في العصر القديم والقرون الوسطى، لا أكاد أعترف إلا بأن أولها اليوناني ثم يليه الأدب العربي.

ويكفي أن نلاحظ أن الأدب العربي هو الأدب الذي عاشت عليه كل الأمم العربية. وهو الأدب الذي حمل لواء العلم والعقل طوال القرون الوسطى.

ويكفي أن نلاحظ أن النهضة الأولى التي ظهرت في القرن الثاني عشر في أوربة إنما هي نتيجة لاتصال أوربة بالعرب. فأدبنا هو الذي أحيا العقل الأوربي.

فلو لم يكن للأدب العربي إلا أنه حمل لواء الأدب الإنساني والعقل الإنساني في عشرة قرون، لكان هذا كافيًا للاعتراف بأن هذا الأدب من الآداب التي تعتز بنفسها، وتستطيع أن تثبت لصروف الزمان. (من حديث ١٧ - ٢٠).

وكرر هذه الأقوال في كتاب (خصام ونقد)، فقال: فلو أنكم ذهبتم توازنون بين العرب وبين الهنود والفرس والمصريين القدماء، لما كان من حقكم أن تقدموا هذا الأمم في الأدب على الأمة العربية بحال من الأحوال؛ لأننا لا نكاد نعرف من آداب هذه الأمم في تاريخها القديم شيئًا يقاس إلى ما بين أيدينا من الأدب العربي - فإلى أن يكشف أدب هذه الأمة - إن كان لها أدب أكثر من هذا الذي نعرفه، يجب أن نؤمن للعرب بالتفوق عليها في الشعر والنثر جميعًا ...

فإذا أردت أن توازن بين العرب والرومان، فأظنك توافقني على أن الأدب العربي

الخالص أرقى جدًا من الأدب الروماني الخالص، أي أن الأدب الروماني إنما ارتقي حقا حين أثر فيه الأدب اليوناني. فالرومان تلاميذ اليونان في الأدب والفن والفلسفة. والعرب يشبهونهم في ذلك. ولكن العرب كان لهم أدب ممتاز قبل أن يتأثروا بالحضارة اليونانية. ولم يكن للرومان من هذا الأدب الروماني الممتاز الخالص حظ يذكر.

لم يبق إذا إلا أدب اليونان، هو الذي يمكن أن يقال فيه: إنه متفوق على الأدب العربي حقًا. (٩٧).

المجهول والمحال في التراث العربي

أ. د. علي محمد هنداوي(*)

تمهيد

عرَّف ابن هشام الكلمة بأنها قول مفرد، والقول هو الفظ الدال على معنى، ويسمُّونه المُستعمَل، كـ «زيد» و«رجل»؛ فما دل على معنى وليس بلفظ كالخطّ والإشارة لايسمَّى قولا ولا كلمة، وما لُفِظَ غيرَ دالّ على معنى لا يسمَّى كلمة كذلك، كمقلوب «زيد»، ويسمُّونه المُهْمَل(1) ، غير أن الكلام العربيّ ضمَّ طوائف من الكلمات يمكن أن تُدرَج فيما يسمَّى المُهمل اللغويّ، لا لأنها تدلّ على غير موجود، بل لأنها تدل على معنى أو شيء موجود على غير الهيئة المعتادة، سواء في صورة صوت مبهَم أو شخص أو معنى مجهول غير مألوف أو مُحَال.

وقد عبَّر العرب عن كل طائفة من تلكم الطوائف بما رأوه مناسبا لها، وبألفاظ لاتستعمَل فى التعبير عن المألوف من الأصوات، والمعروف من الأشخاص والسائر الشائع من المعاني، فعبروا عن الأصوات المبهمة بألفاظ مثل الدندنة والغمغمة التجمجم والزمزمة والخنخنة والرطانة والغطمطة والهيمنة.. إلخ.

كذلك عبروا عن العدم والمجهول بألفاظ مثل هممام، وثهلل، وبهل بن بهلان، وهيّان ابن بيّان، وصلمعة بن قلمعة.. إلخ.

وكذا عبروا عن المحال وما لا يكون بعبارات مثل استأتن، واستنوَق الجمل، اللتين جرى الاشتقاق فيهم من اسم جامد، الأتان والناقة، وقليل، التي لا يراد بها ههنا العبارة عن القليل بل المحال الذي لايكون، وما سمَر ابنُ سمير، وما أنّ السماء سماء وما عَنّ في السماء نجم.. إلخ، مما يراد منه التعبير عن استحالة فعل ما، إذا كان وقوعه مشرطًا بأحد ظواهر الحياة الموسومة بالديمومة والبقاء المؤبد.

في الأصوات المبهمة

في اللسان(2): والدنين والدندن والدندنة: صوت الذباب والنحل والزنابير ونحوها من هينمة الكلام الذي لايُفهم، وأنشد:

(*) كلية الآداب - جامعة عين شمس.

(1) انظر: شرح شذور الذهب، شرح وتحقيق: محيي الدين عبدالحميد، التجارية الكبرى، ط 11سنة 1388هـ/ 1968م ص 12 وما بعدها.

(2) ابن منظور: لسان العرب، دنن - 13/ 160 - 161 .

كـدندنة النحل فى الخــشــرم

والدندنة أن تسمع من الرجل نغمة ولا نفهم ما يقول: وقيل: الدندنة الكلام الخفي. وسأل النبى (ﷺ) رجلا: ما تقول في التشهد قال: أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار، فأما دندنتك معاذ فلا نحسنها، فقال ﷺ: حولهما ندندن... وقال أبو عبيد: الدندنة أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا تفهمه لأنه يخفيه. وقال ابن الأثير: والدندنة أرفع من الهيمنة قليلا... شمر: طنطن طنطنة ودندن دندنة بمعنى واحد، وفي فقه اللغة للثعالبي[1] أن من الأصوات الخفية الرِّز ثم الرِّكز... ثم الهتملة فوقهما، وهي أصوات السِّرار، ثم الهيمنة، وهي شبه قراءة غير بينة، وينشد للكميت:

ولا أشهد الهُجر والقائليه　　　إذا همْ بهيمَنة هتملوا

ثم الدندنة... فى النغم، وهو جرْس الكلام وحُسن الصوت، ثم النبْأة، وهو الصوت ليس بالشديد، ثم النأمة من النئيم وهو الصوت الضعيف.

والغمغمة أن تسمع الصوت ولا يتبين لك تقطيع الحروف، والطمطمة أن يكون الكلام مُشبِّها لكلام العجم... وأنشد أبو اسحق لأبي عثمان الهُذَلي:

ضربا ولاتسمعُ إلا غمغمه

لهم نهيت حولنا وجَمجَمه

النهيت صوت يخرج من الصدر شبيه بالزفير، والجمجمة بالفتح أن لا يبيِّن الإنسان كلامه[2].

وفي شرح أشعار الهذليين ٢/٧٨٨، بعده:

تقطع كلَّ رعد وجمجمه

لهم نهيت خلفنا وهمهمه

وفي فقه اللغة للثعالبي[3] : اللغط أصوات مبهمة لا تُفهَم، والتغمغم الصوت بالكلام الذي لا يبين، وكذلك التجمجم. وأورد صاحب اللسان[4] أن الغمغمة والتغمغم: الكلام الذي لا يبين، وقيل هما أصوات الثيران عند الذعر، وأصوات الأبطال في الوغى عند

(١) الثعالبي: فقه اللغة، ص ٢١٣.
(٢) المبرد: الكامل فى الأدب واللغة ٢/١٥٩ - ١٦٢.
(٣) الثعالبى: المصدر نفسه، ص ٢١٥.
(٤) ابن منظور: لسان العرب، غمم ١٢/٤٤٤.

النضال، قال امرؤ القيس[١]:

وظل لثيران الصميم غماغم يداعسهما بالسمهريّ المعلَّب

وأورد الأزهري ههنا بيتًا يشبه هذا نسبه لعلقمة، وقال الراعي[٢] :

يفلقن كل ساعد وجُمْجُمَه

ضربًا فلا تسمع إلا غمغمه

وفي صفة قريش: ليس فيهم غمغمة قضاعة؛ الغمغمة والتغمغم الكلام الذي لا يبَين[٣] ، وقال معاوية يومًا: من أفصح الناس؟ فقال قائل: قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات، وتيامنوا عن كشكشة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، ليس لهم غمغمة قضاعة، ولا طمطانية حِمّيَر قال: من هم: قال: قريش[٤] ، وجعل عبد مناف بن ربع الهذلي الغمغمة للقيسيّ، فقال[٥] :

وللقيسيّ أزاميلُ وغمغمة حيسّ الجنوب تسوق الماء والبرَدا

وقال عنترة:[٦]:

في صدمة الموت التي لا تشتكي غمراتها الأبطال غير تغمغم

وفي الحاشية: التغمغم هو صياح وجلبة لا يفهم منه شيء، وأورد ابن منظور قال القائل، أنشده ابن الأعرابي:

إذا المرضعات بُعد أول هجعة سمعت على ثديُهن غماغما

فسره فقال: معناه أن ألبانهن قليلة، فالرضيع يغمغم ويبكي على الثدي إذا طلب اللبن، فإما أن تكون الغمغمة في بكاء الأطفال وتصويتهم أصلاً، وإما رضعه أن تكون استعارة فوقه، وتغمغم الغريق تحت الماء: صوّت، وفي التهذيب للأزهري (غمغم): إذا تداكأت الأمواج، وأنشد:

من خرّ في قمَقامنا تقمقُمًا

(١) ديوان امرئ القيس بشرح السنودبي ٦٢، باختلاف يسير.

(٢) شعر الراعي: تحقيق د. نوري حمودي القيسي وهلال ناجي، ص ٢٤٧.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين ٣/١٩٠، حاشية٢.

(٤) المصدر نفسه ٣/١٨٩- ١٩٠.

(٥) ليس في أشعار الهذليين .

(٦) ديوان عنترة بن شداد: شرح حمدو طماس، ص ١٩.

كما هوى فرعون إذ تغمغما
تحت ظلال الموج إذ تدأما

أي: صار في دأماء البحر. وقد أنشد المبرد لزيد الخيل(١) :

وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى ... كثير تواليه سريع البوادر

والمرتجس الذي يُسْمَع صوته، ولا يبين كلامه، يقال ارتجس الرعد، من هذا، والوغى الأصوات.

وربما يكون للأصوات في ذاتها معان لمن يسمعها، غير أنها تصير إلى الإبهام، إما لأن من ينطق بها يعمد إلى إخفائها عمن لا يريده أن يسمعها، أو أنها في ذاتها مبهمة على من يسمعها لأنها بلسان غير لسانه، أورد صاحب اللسان(٢) قوله:

خنخن لي في قوله ساعة ... فقال لي شيئا ولم أسمع

وفي اللسان كذلك(٣): رطن العجمي يرطن رطنا: تكلم بلغته، والرطانة (بكسر الراء وفتحها) والمراطنة: التكلم بالعجمية، وقد تراطنا، تقول: رأيت أعجميَّين يتراطنان، وهو كلام لايفهمه العرب، قال الشاعر:

كما تراطنُ في حافاتها الروم

ويقال: ما رُطّيناك هذه؟ أي ما كلامك؟ وما رُطَيْناك بالتخفيف أيضًا. وتقول رطنت له رطانة وراطنته إذا كلمته بالعجمية، وتراطن القوم فيما بينهم، وقال طرفة بن العبد(٤):

فأثار فارطهم غطاطًا جُثما ... أصواتهم كتراطُنِ الفُرْسِ

وفي حديث أبي هريرة قال: أتت امرأة فارسيّة فرطَنَتْ له، قال: الرطانة بفتح الراء وكسرها، والتَّراطُن كلام لا يفهمه الجمهور، وإنما هو مواضعة بين اثنين أو جماعة والعرب تخص بها غالبًا كلام العجم، ومن حديث عبدالله بن جعفر والنجاشي: قال له عمرو: أما ترى كيف يرطنون بحزب الله؟ أي يَكْنُون ولم يُصَرِّحُوا بأسمائهم.

وقد ورد في الأثر عن عُمَر، رضي الله عنه، أن اقتلوا كل ساحر، وفرقوا بين المجوس وحرمهم، وانهَوهم عن الزمزمة... (٥).

(١) المبرد: الكامل في اللغة ص ١٤٧/٢ - ١٤٨.
(٢) ابن منظور: لسان العرب، خنن ١٤٣/١٣.
(٣) المصدر نفسه، رطن ١٨١/١٣.
(٤) ليس في ديوانه، تقديم سيف الدين الكاتب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.
(٥) سعيد بن منصور: السنن، حديث رقم ٢١٨٠.

وفي حديثه عن الخطابة عند الفرس وفصحاء الفارسية، يذكر الجاحظ[١] نغمة الهريذ ونغمة المويذان، وأنهما لصحب تفسير الزمزمة، وهي صوت يديره المجوس في حلوقهم وخياشيمهم حينما يأكلون أو يقرءون كتاب الزند، وحينما يغتسلون، وهو عبارة عن صوت منغم لا يمر منهم على شفة أو لسان، لكنهم يتفاهمونه فيما بينهم... [٢] .

وفي مقام الإسرار يورد صاحب اللسان[٣] : الهتملة: الكلام الخفي، والهتملة كالهتلمة، وهتلم الرجلان: تكلَّما بكلام يُسِرّانه عن غيرهما، وهى الهتملة، قال الكميت:

ولا أشهَد الهُجْر والقائليه　　　إذا هـم بهَيْنمـة هتلمـوا

والهتملة الحديث الخفيّ، وجمعها هتامل، أنشد ابن الأعرابي

تسـمـع للجـن به زيّ زيّ زَمـا

هتـامـلا من رِزْها وهَيْنمـا

وقال ابن أحمر:

فسِرْ قصدَ سيرى يا ابن سمراء إنني　　　صبـور على تلك الرُّقـى، والهتامل

وفي حديث إسلام عُمَر رَضِيَ الله عَنهُ قال: ما هذه الهينمة؟ قال أبو عبيدة: الهينمة الكلام الخفي لا يُفهَم، والياء زائدة، وأنشد قول الكميت المذكور آنفًا... وفي حديث الطفيل بن عمرو: هينم في المقام، أي قرأ فيه قراءة خفية، وقال الليث في قوله:

ألا يا قَـيْل ويحك قم فـهـينم

أي: فادع الله، الهنّمة الدندنة... والهَيْنم والهينمة والهينام والهينُوم والهينمان، كله الكلام الخفي، وقيل: الصوت الخفي، وقد هينمَ[٤].

ومن هذا الباب كذلك الطَّمْطَمَة وهي العُجْمة، والطِّمطِم، والطِّمْطِميّ، والطُماطم والطُمطُمانيّ: هو الأعجم الذي لا يُفْصِح... وفي لسانه طُمْطُمانيّة، والأنثى طمطمية، وطُمطمانية، وهي الطمطمة أيضًا. وفي صفة قريش: ليس فيهم طمطانية حِمْير، شَبَّه كلام حمير لما فيه من الألفاظ المنكرة بكلام العُجْم، يقال أعجم طُمْطُميّ، وقد طَمْطَم في كلامه. وفي التهذيب في الرباعي:... الطَّماطِم العُجْم، وأنشد للأفوه الأوديّ:

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ١١/٣.
(٢) المصدر نفسه، حاشية ٣.
(٣) ابن منظور: لسان العرب، هتلم ٦٠٠/١٢، هتمل ٦٨٩/١١.
(٤) المصدر نفسه، هنم ٦٢٣/١٢ - ٦٢٧.

كالأسود الحبشيّ الحَمْس يَتْبَعُهُ سودٌ طماطم في آذانها النُّطَفُ

قال الفراء: سمعت المفضل يقول: سألت رجلا: من أعلم الناس عن قول عنترة:(١)

تأوى له قُلُص النعام، كما أوت حِزَق يمانيَة لأعجم طِمْطِم

فقال: يكون باليمن من السحاب ما لا يكون لغيره من البلدان في السماء، قال: وربما نشأت سحابة فى وسط الماء فيُسْمَع صوت الرعد فيها كأنه من جميع السماء، فيجتمع إليه السحاب من كل جانب، فالحِزَق اليمانية تلك السحائب، والأعجم الطمطم: صوت الرعد، وفي الحاشية ٥ : الطِّمطم صوت الرعد... أو العَيّ الذي لا يستطيع أن يفصح عن مراده.

ومنه كذلك الغَطْمطة(٢)، وهي التطام الأمواج، وجمعه غطامط، وغطامطه كثيرة: أي أصوات موجه إذا تلاطمت، وذلك أنك تسمع نغمة شبه غط، ونغمة شبه مَطْ، ولم يبلغ أن يكون بينًا فصيحًا، غير أنه أشبه منه بغيره، فلو ضاعفت واحدة من النغمتين قلت غطغط أو قلت مطمط لم يكن فى ذلك دليل على حكاية الصوتين، فلما ألفت بينهما فقلت غطمط استوعب المعنى فصار بمعنى المضاعف، فتم وحسُن، وقال رؤبة:

وسَطٌ من حنظلة الأسْطَما

والعُدَد الغطامط الغطْيَما

سالت نواحيه إلى الأوساط

سيلا كسيل الزبد الغطماط

وأنشد الفراء:

عنطنط تغدو به عنطنطه

للماء فوق متنتيه غطمطه

ابن شميل: غُطامط البحر: لُجَّه حين يزخر، وهو معظمه.

وعدد غِطيمٌ: كثير،

والغطمطيط: الصوت، وأنشد:

بطيء صفَنّ إذا ما مشى لأعفاجه غطمطيطا

(١) عنترة بن شداد، ديوانه ١٤.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، عظيم ٤٣٩/١٢.

قال أبو عبيد: الهزج والتغطمط: الصوت.

وفي تاج العروس (ققق): ققة: شيء يردده الطفل بكلامه قبل أن يتدرب بالكلام.

وقد يسوق الناس العبارة، يريدون بها وصف الكلام بالكذب، ويبالغون في توكيد ذلك باستعمال التثنية والجمع، في[1]: دَهٌ دُرَّيْن سعدُ القيْن، وهو مثل تكلم فيه كثير من العلماء، فقال بعضهم: إن الأصل فيه أن العرب تعتقد أن العجم أهل مكر وخديعة، وكان العجم يخالطونهم، وكانوا يتجرون في الدر، ولا يحسنون العربية، فإذا أرادوا أن يعبروا عن العشرة قالوا: ده، وعن الاثنين قالوا: دو، فوقع إليهم رجل معه خرزات سود وبيض، فلبَّس عليهم وقال: دو درَّين، أي نوعان من الدر، أو دو درين، أي قال عشرة منه بكذا، ففتشوا عنه فوجوده كاذبًا فيما زعم، فقالوا: دُه درين، ثم ضموا إلى هذا اللفظ سعد اليقين، لأنهم عرفوه بالكذب حين قالوا: إذا سمعت بسري القين فإنه مُصبح[2]، فجمعوا بين هذين اللفطين في العبارة عن الكذب، وثنوا فقالوا: درين لمزاوجة القين، فإذا أرادوا أن يعبروا عن الباطل تكلموا بهذا، ثم تصرفوا في الكلمة، فقالوا: دُهْدُر، ودُهدُنّ، ودهدار، وجعلوا كلها أسماء للباطل والكذب.

وقال بعضهم: أصله «ده در» فثنّوه عبارة عن تضاعف معنى الباطل والمبالغة فيه، كما جمعوا أسماء الدواهي، فقالوا: الأقْورين والفتكرين والبُرَحين، إشارة إلى اجتماع الشر فيه، ثم غيروا أوله عن دَهٌ بالفتح إلى دُه بالضم ليكونوا قد تصرفوا فيه بوجه ما.

قالوا: وموضع المثل نصب بإضمار أعني أو أبصر، ويجوز أن يكون رفعًا على الابتداء، أي أنت صاحب هذه اللفظة، أو مثل من عرف بهذا وسعد: رفع إيضًا على هذا التقدير، أى أنت سعد القين، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين، قال أبو زيد فى نوادره: يقال للرجل يُهزأ منه: ده درين وطرطبين. قال أبو الفضل المنذري: وجدت عن أبي الهيثم دُه مضمومة وسعد منصوبًا، كأنه يريد يا سعد مضافًا إلى القين غير معرب، كأنه موقوف. قال: تقال هذه الكلمة عند تكذيب الرجل صاحبه. قال أبو الفضل: وقال أبو عبيدة: ده درين، قال : وإنما تركوا منها نون القين موقوفة، ولم ينونوا سعدًا في هذا الموضع، ونصبوا ده درين على إضمار فعل ينصبه وهو أعني، قال: وبعضهم يقولون «دُهْدُرَّيْ» بغير نون الاثنين، ومعناه عندهم الباطل، قال الأصمعي: ولا أدري ما أصله، قال أبو عبيدة، وأما أبو زيد الكلابيّ فإنه قال: ده دريه بالهاء، هذا ما قالوه فيه، ثم صار

(١) الميداني: مجمع الأمثال، ١/٢٦٦ - ٢٦٧.
(٢) المصدر نفسه، ١/٤١.

الدُّهْدُرُّ اسمًا للباطل، ثم أبدلوا الراء نونًا فقالوا: دُهدُنٌّ، ومنه قول الراجز:

لأجــعلنْ لابنـة عـــثم فنّا

حـتى يكون مـهـرها دُهْدُنّا

أي باطلا، ويقال دهدار بدهدار أي باطل بباطل...

وقال ابن دارة:

إن الفزاري لا ينفك مغتلمًا من النواكة دُهدارًا بدهدار

يقول: باطلا بباطل.

وقد أورد صاحب اللسان[1] إبدالا لراء (دهدر) نونًا، وذكر عن ابن بري: الدهدنّ كلام ليس له فعل، قال الجوهري: وربما قالوا دهدّر بالراء، وفي المثل: دهدرَّين وسعد القيْن، يضرب للكذاب.

ويروي اللسان [2] أصل المثل المذكور مقررًا في صدر روايته ما يفيد أن هذا الأصل تنوسي، وصارت العبارة أو المثل من أسماء الكذب والباطل، «ويقال: أصله أن سعد القَيْن كان رجلا من العجم يدور في مخاليف اليمن يعمل لهم، فإذا كسد عمله قال بالفارسية دُه بَدْرُود، كأنه يُودِّع القرية، أى أنا خارج غدا، وإنما يقول ذلك ليُستَعْمَل، فعرّبته العرب وضربوا به المثل في الكذب. وقالوا: إذا سمعت بسُرَى القَيْن فإنه مُصبِّح، قال ابن بري: والصحيح في هذا المثل ما رواه الأصمعي وهو: دُهْدُرَّيْن سعدُ القَيْن، من غير واو عطف، وكون دُهْدَرَّيْن متصلا غير منفصل، قال أبو علي: هو تثنية دُهْدُرّ وهو الباطل، ومثله الدُهْدُنّ في اسم الباطل أيضًا فجعله عربيا، قال: والحقيقة فيه أنه اسم لبَطَلَ كسرعان وهيهات اسم لسَرُع وبَعُد، وسعد فاعل به والقين نعته، وحذف التوين منه لالتقاء الساكنين، ويكون على حذف مضاف تأويله بَطَلَ قول سعد القين، ويكون المعنى على ما فسره أبو علي: أنّ سعد القين كان من عادته أن ينزل في الحيّ فيُشيع أنه غير مقيم، وأنه في هذه الليلة يَسرى غير مصبح ليبادر إليه من عنده ما يعمله ويصلحه له، فقالت العرب: إذا سمعتُ بسُري القَيْن فإنه مُصبِح، ورواه أبو عبيدة معمر بن المثني: دُهْدُرَّيْنِ بعد القَيْن، بنصب سعد، وذكر أن دُهْدُرَّيْنَ منصوب على إضمار فعل، وظاهر كلامه يقضي أن دُهْدُرَّينِ اسم للباطل تثنية دُهْدُرّ، ولم يجعله اسمًا للفعل كما

(١) ابن منظور: لسان العرب، دهدن ١٦٣/١٣.
(٢) المصدر نفسه، درر ٢٨٣/٤ - ٢٨٤.

جعله أبو علي، فكأنه قال: اطرحوا الباطل وسعدَ القينَ، فليس قوله بصحيح، قال: وقد رواه قوم كما رواه الجوهري منفصلا، فقالوا: دَهْ دُرَّيْن وفسر بأن دَه فعل أمر من الدَّهاء إلا أنه قُدِّمت الواو التي هي لامه إلى موضع عينه فصارت دَه، ثم حذفت الواو لالتقاء الساكنين فصارت ده، كما فعلت في قُلْ، ودُرَّيْن من دَرَّ يدرّ إذا تتابع، ويراد ههنا بالتثنية التكرار، كما قال لبَّيك وحنانَيْك ودوالَيْك، ويكون سعد القَيْن منادى مفردا والقين نعته، فيكون المعنى: بالغْ في الدَّهاء والكذب يا سعدُ القَيْن، قال ابن بري: وهذا القول حسن إلا أنه كان يجب أن تُفتَح الدال من دُرَّين؛ لأنه جعله من دَرَيْدر إذا تتابع. قال: وقد يمكن أن يقول: إن الدال ضُمَّتْ للإتباع إتباعًا لضمة الدال من دُهْ، والله تعالى أعلم.

في العدم والمجهول

أعني به العبارة عن شيء معدوم، أو شخص مجهول الهوية حقيقة أو مجازا، باستعمال ألفاظ من المهمَل اللغويّ الذي يعبر عن العدم، في اللسان(1): قال اللحياني: وسمع الكسائي رجلا من بني عامر يقول: إذا قيل لنا: أبقي عندكم شيء؟ قلنا: همهامْ وهمهامِ يا هذا ! أي لم يبق شيء، قال:

أولَمْتَ يا خِنَّوْتُ شَرَّ إيلامْ

في يوم نحس ذي عَجَاج مظلامْ

ما كان إلا كاصطفاف الأقدامْ

حتى أتيناهم فقالوا: هَمْهامْ

وفي رواية أخرى لهذا الأمر في اللسان أيضًا(2): قال العامري: قلت لبعضهم أبقى عندكم شيء؟ فقال همهام وحمحام ومحماح وبحباح، أي لم يبق شيء.

ويعبر العرب عن الباطل وما لا يكون بألفاظ مهملة أيضًا مثل تهلل؛ في اللسان(3): وتهلل من أسماء الباطل كثهلل، جعلوه اسمًا له علمًا، وهو نادر. وقال بعض النحويين: ذهبوا في تهلل إلى أنه تفعل لما لم يجدوا في الكلام (ت هـ ل) معروفة ووجدوا «هـ ل ل»، وجاز التضعيف فيه لأنه علم، والأعلام تُغَيَّر كثيرًا، ومثله عنده تَجنُب، وذهب في هِلِيَّان وبذي هِلِيَّان أي حيث لا يُدرَى أين هو.

(1) ابن منظور: لسان العرب، همم ١٢/٦٢٣.
(2) المصدر نفسه، همم ١٢/١٦٠.
(3) المصدر نفسه، هلل ١١/٧٠٥.

وقد يطلق على العَلم المعروف اسمًا من المهمل أي اللغوي تحقيرًا؛ في اللسان[١] يقال للذي لا يُعْرَف: بُهَل بن بُهَلان، ولما قتل المنتشر بن وهب الباهليّ مُرّة بن عاهان قالت نائحته:

يا عين جودي لمرَّةَ بن عاهانا
لو كان قاتله من غير من كانا
لو كان قاتله يوما ذوي حسب
لكن قاتله بُهلُ بنُ بُهلانا

فأعرضَتْ عن ذِكر اسم القاتل احتقارًا لشأنه، وأبدلت منه لفظا مهملا سمَّته به، بل أمعنت بالكتابة عن أبيه بلفظ هو من المهمَل كذلك، وكأنها تشير إلى أصالة افتقاره إلى الحَسَب.

وفي المزهر للسيوطي[٢]: قال ابن السكيت في المثنى: يقال للرجل الذى لايُعرف أبوه: قُلّ ابن قُلّ، وضُلّ ابن ضُلّ، وذُلّ ابن ذُلّ. ويقال للرجل الذي لا يُعرف: هَيّ ابن بِّي، وهيّان ابن بيّان، وصَلْعَمة ابن قَلْمعة. وفي اللسان[٣]: أنت في الضلال ابنُ فَهْلَلَ، فَهْلَلَ عن يعقوب، لا ينصرف، وهو الذي لا يَعرفَ. الجوهري: هو الضلال بن فَهْلَلَ غير مصروف من أسماء الباطل مثل تَهْلَلَ. وفي اللسان[٤]. وهو هَيّ بن بَيّ وهيّانُ بن بيان أي لايُعرف أصله ولا فصله، وفي الصحاح: إذا لم يعرف هو ولا أبوه، قال ابن بري: ومنه قول الشاعر يصف حربًا مهلكة:

فأقعصَتْهم وحكّتْ بَرْكَها بهِمُ وأعْطَت النَّهْبَ هَيّانَ بْنَ بَيّانِ

الجوهري: ويقال: ما أدري أيّ هَيّ بن بَيّ هو، أي: أيّ الناس هو، ويقال: إن هيّ ابن بيّ من ولد آدم ذهب في الأرض لما تفرق سائر ولد آدم فلم يُحَسّ منه عين ولا أثر وفقد، وفي اللسان[٥]: وهيّان بن بيّان: لايعرُف ولا يُعرف أبوه، وقد ذكر أن نونه زائدة، والله أعلم. وفي اللسان[٦]: وفُلُ بن فُل، محذوف (أي عن فلان)؛ فأما سيبويه فقال[٧]:

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، بهل ١١/٧٣.
(٢) السيوطي: المزهر، ٢/٢٤٤.
(٣) ابن منظور: لسان العرب، فهل ١١/٥٣٣ - ٥٣٤.
(٤) المصدر نفسه، ١٤/١٠١.
(٥) المصدر نفسه، هون ١٣/٤٤١.
(٦) المصدر نفسه، فلن ١٣/٣٢٥.
(٧) سيبويه : الكتاب، ٢/٢٤٨.

لا يقال فُلُ، يُعنى به فلان إلا في الشعر، كقوله (أبي النجم العجلي) [١]:

في لَجَّةٍ أمسِكْ فلانا عن فُلِ

وأما يا فُلُ التي لم تحذف من فلان فلا يستعمل إلا في النداء؛ قال: وإنما هو كقولك: يا هَنَاه، ومعناه: يا رجل... قال الخليل: وحجة قولهم فُل بنُ فلٍ كقولهم هَيّ بن بَيّ، وهيّان بن بيّان.

وفي المثل: طامر بن طامر، قال أبو عمرو: أي بعيد ابن بعيد، من قولهم طمر إلى بلد كذا إذا ذهب إليها، يضرب لمن يثب على الناس وليس له أصل ولا قدم[٢].

وفي اللسان [٣]: وصلعمة بن قلعمة: كناية عمن لا يعرف ولا يعرف أبوه، قال مغلس ابن لقيط:

أصلعمةُ بنَ قلعمة بنِ فَقْعٍ لهنَّكَ لا أبا لكَ تزدريني

ويقال للرجل الذي لا يعرف هو ولا أبوه: صلعمة بن قلعمة، وهو هَيّ بن بَيّ، وهيّان ابن بيّان، وطامر بن طامر، والضلال بن بُهْلُل. حكى ابن بري قال: تركته صلعمةَ بنَ قلعمة إذا أخذت كل شيء عنده.

وفي حكاية ابن بري توسع في استعمال المهمل اللغوي بحيث يعني أن من سُلب ما عنده، فكأنما سُلبت هويته واسمه كذلك.

وفي حديث عمر رضي الله عنه: لئن عِشْتُ إلى قابل لألحقَنَّ آخر الناس بأولهم حتى يكونوا بيّانا واحدًا، قال أبو عبيد: قال ابن مهدي: يعني شيئًا واحدًا... وقال أبو سعيد الضرير: ليس في كلام العرب بيّان، قال: والصحيح عندنا بيّانا واحدًا، قال: والعرب إذا ذكرت من لا يُعرف قالوا: هذا هيّان بن بيّان، ومعنى الحديث: لأسويَّن بينهم في العطاء حتى يكونوا شيئًا واحدًا لا فضل لأحد على غيره... [٤].

وقد استعمل المهمل اللغويّ ههنا في وصف من يتساوون بحيث يمَّحي ما بينهم من فروق، ويُنزع عن كل فرد ما يميزه، فيصير والمجهول سواء.

ومما ورد في الاستفهام عن الشخص المجهول قول صاحب المقرَّب[٥]: وسُمع من

(١) السيوطي: الهمع ١/١٧٧.

(٢) الميداني: مجمع الأمثال ١/٤٣٢.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، صلمع ٨/٢٠٦.

(٤) المصدر نفسه، بين ١٣/٤٥.

(٥) المقرب، ٣٢٨.

كلامهم: ضربَ مَنٌ مَنّا؟، وعلى هذه اللغة قوله:

أتَوا ناري فقلت مَنُـونَ أنتـمْ؟ فقالوا: الجنُّ، قلت: عِمُوا ظلاما

وقَد أُجرِيَ اسم الاستفهام في العبارة والبيت جميعًا مُجرى العلَم جمعًا وإعرابًا.

في المحال وما لا يكون

عرف التراث اللغوي في العربية عبارات تضمنت ضروبا من الأمور التي تدخل في نطاق المحال، وهو ليس المحال الكذب الذي أشار إليه سيبويه، لأنه يقصده القائل ويستجيب له السامع غير منكر، ويتحقق به المعنى المراد، تعجبًا من أمر غير مألوف، أو مبالغة في نفي فعل أو غيره.

في مجمع الأمثال (١): كان حمارًا فاستأتن، أي صار أتانًا، وهذا ما لا يكون، «وإنما أراد به أنه كان قويًا فطلب أن يكون ضعيفًا، أو كان ضعيفًا فطلب أن يكون قويًا، فمعنى استأتن: طلب أن يكون أتانًا.

ويؤكد غرابة الأمر ههنا وأنه أقرب إلى ما لا يكون، اشتقاق الفعل المعبَّر به من اسم الذات «أتان»، وهو خلاف الأصل في اشتقاق الأفعال...، وهو من باب قولهم: استنوَق الجمل.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ الزخرف ٨١/٤٣، يقول ابن الأنباري: «إن» فيها وجهان: أحدهما أن تكون شرطية، وتقديره: إن كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده، على أنه لا ولد له. وقيل تقديره: إن كان للرحمن ولد فأنا أول الآنفين، من قولهم عبِد عبَدا (من باب فرح)، إذا أنف. وقيل الشرط في الآية على حد قول الرجل لصاحبة: إن كنت كاتبًا فأنا حاسب، والمعنى لستَ بكاتب ولا أنا حاسب.

والوجه الثاني: أن تكون «إن» بمعنى «ما»، وتقديره: ما كان للرحمن من ولد»(٢).

وفي قوله تعالى ﴿قليلا ما تذكرون﴾ غافر ٥٨/٤٠، يقول ابن الأنباري (٣): قليلا منصوب لأنه صفة مصدر محذوف، وتقديره: تذكُرا قليلا تتذكرون، وما زائدة ومعناه: لا تذكر لهم؛ لأنه قد يطلق لفظ القلة، ويراد بها النفي كقولك: قلما تأتيني، وأنت تريد: ما تأتيني، ولهذا أبدل الشاعر من فاعل (قليل) في قوله (ذي الرمة):

---

(١) الميداني: مجمع الأمثال ١٣١/٢.

(٢) ابن الأنباري: البيان في غريب إعراب القرآن ٣٥٥/٢.

(٣) المصدر نفسه، ٣٣٣/٢ - ٣٣٤.

أنيختْ فألقت بلدةً فوق بلدةٍ قليلٍ بها الأصواتُ إلا بُغامها[1]

حاشية: الشاهد وصف الأصوات بقوله: إلا بغامها علي تأويل غير. والمعنى قليل بها الأصوات غير بغامها، أي الأصوات التي هي صوت الناقة، ويجوز أن يكون البُغام بدلا من الأصوات، على أن يكون قليل بمعنى النفي، فكأنه قال: ليس بها صوت إلا بغامها، وصَف ناقة أناخها في فلاة لا يُسمع فيها صوتٌ إلا صوتها لقلة خيرها، وأراد بالبلدة الأولى ما يقع على الأرض من صدر الناقة إذا بركت، وبالبلدة الأخيرة الفلاة.

وفي اللسان [2] يقال: لا أفعل ذلك ما أرزَمت أمٌّ حائل. ويقال لولد الناقة ساعة تلقيه من بطنها إذا كانت أنثى، حائل وأمها أم حائل، قال:

فتلك التي لايبرح القلبَ حبُّها ولاذكرُها، ما أرزمت أم حائلِ

وهو لأبي ذؤيب الهذلي، وبعده ذلك:

وحتى يئوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل

وفي معنى القارظيْن قول بشر بن أبي خازم:

إذا ما القارظ العنزيّ آبا

ومثله قول النمر:

وقومي إذا ما أطلقوا عن بعيرهمْ تلاقونه حتى يئوب المنخَّل

والمنخل قارظ عنزة [3].

وأنشد يعقوب: [4]

حلفت بمن أرسى ثبيرا مكانه أزوركمُ ما دام للطَّوْدِ عائنُ

يريد: لا أزوركم ما دام للطود عافن. يقال: عثن وعفَن بمعنى [ومعناه: صعد]، وفي اللسان[5] ولا أفعله ما عنَّ في السماء نجْم، أي عرض. والنكتة في مثل ما سبق، هي توكيد نفي فعل على سبيل التأبيد، وذلك بتعليق حدوثه بحدوث فعل آخر مما لا يكون، أو عدم فعل آخر مما لا شك في وقوعه، كانقطاع حنين الناقة في إثر ولدها، وأوب

(١) سيبويه: الكتاب ١/ ٣٧٠.
(٢) ابن منظور: اللسان، حول ١١/١٨٩ - ١٩٠.
(٣) شرح أشعار الهذليين ١/١٤٧.
(٤) ابن منظور: المصدر نفسه، عثن، ١٣/٢٧٦.
(٥) المصدر نفسه، عمن، ١٣/٢٩٠.

القارظين، وبعث من قُتِل، وأوب قارظ عنزة، وانقطاع صاعدي الجبَل، وامتناع عروض النجوم في السماء؛ وكل ذلكم مما يُضرَب مَثَلا للمُحال من الأمور.

وقالوا: لا أفعل ذلك حتى يحِنّ الضَّبّ في إثر الإبل الصادرة، وليس للضب حنين، إنما هو مَثَل، وذلك لأن الضَّبّ لا يرد أبدًا[1].

وفي اللسان[2]: ومن الأبديات: لا آتيك سن الحِسْل، أي أبدا، وفي المحكم: أي ما بقيت سِنُّه، يعني ولد الضب، وسِنُّه لا تسقط أبدًا؛ وقول أبي جرول الجشميّ، واسمه هند، رثى رجلا قتل من أهل العالية فحكم أولياؤه في ديته فأخذوها كلها إبلا ثنيانا، فقال في وصف إبل أخذت في الدية:

فجاءت كسِنِّ الضَّبّ لم أرَ مثلها سنــاءَ قَتِيـلٍ أو حَلُوبة جائــعِ
مضاعفةً شُمَّ الحَوارك والـذُّرَى عظامَ مقيلِ الرأيِ جُرِدُ المذارِعِ

كسن الضب، أي هي ثنيان؛ لأن الثنيَّ هو الذي يُلقي ثَنِيَّته، والضَّبّ لا تنبت له ثَنِيّة قط فهو ثَنِيّ أبدًا، وحكى اللحياني عن المفضل: لا آتيك سني الحِسْل. قال: وزعموا أن الضب يعيش ثلثمائة سنة، وهو أطول دابة في الأرض عمرًا، والجمع أسنان وأسِنّة.

وفي مجمع الأمثال[3]: لا أفعل كذا ما أن السماء سماء، أي السَّمَرَ والقَمَر، أي ما كان السمر والقمر، قال الأصمعي: السَّمَر عندهم الظلمة، والأصل في هذا أنهم كانوا يجتمعون فيسمرون في الظلمة، ثم كثر الاستعمال حتى سمَّوا الظلمة سَمَرا.

وفيه: لا أفعله ما جمَّر ابن جَمير. قال اللحياني: الجَمِير المظلم... قلت: جمَّر معناه جمع، والظلام يجمع كل شيء، وابن جَمِير الليل المظلم، وابن سمير الليل المقمر، وكذلك، لا أفعله ما سَمَر ابن سَمِير؛ قالوا: السَّمير،والجَمير الدهر، أجمر القوم على الشيء، أي اجتمعوا، وابنا جَمير الليل والنهار، سُمِّيا بذلك للاجتماع، كما سُمِّيا ابني سمير؛ لأنه يُسمَر فيهما.

وفي اللسان[4] قال أبو وجزة:

فإنــي لا وأمــك لا أســـاري لقــاح الجار ما سمر السَّمِير

(١) ابن منظور: اللسان، حنن ١٢/١٣١.
(٢) المصدر نفسه، ١٣/٢٢٠.
(٣) الميداني: مجمع الأمثال، ٢/٢٢٨ - ٢٢٩.
(٤) ابن منظور: المصدر نفسه، سرا ١٤/٣٨٣.

وفي اللسان[١]: ولا أفعله ما حدَا الليل والنهار، أي ما تبعه. وفي اللسان[٢]: وأنشد ثعلب لشاعر يهجو قومًا:

إذا غاب عنكمْ أسودُ العين كنتمُ كرامًا، وأنتم، ما أقام، ألائمُ

تحدَّثُ ركبانُ الحَجيجِ بلؤمكمْ ويقري به الضيفَ اللقاحُ العواتمُ

يقول: لا تكونون كرامًا حتى يغيب عنكم هذا الجبل الذي يقال له أسود العين، وهو لايغيب أبدًا.

وفي اللسان[٣] ولا آتيك أَلْوَةَ أبي هُبَيْرة، وأبو هُبَيْرة هذا هو سعد بن زيد مناة من تميم، وقال ثعلب: لاآتيك أَلْوَةَ بن هُبَيْرة، نَصَبَ أَلْوَةَ نصْب الظروف، وهذا من اتساعهم؛ لأنهم أقاموا اسم الرجل مُقامَ الدهر.

وفي اللسان[٤] ومن أمثالهم: مَنْ يَجمع بين الأروى والنعام؟ وذلك أن مساكن الأروى شعف الجبال، ومساكن النعام السهولة، فهما لاجتمعان أبدًا.

وفي اللسان [٥] وفي المَثَل: أَعَزّ من الأَبْلَق العقوق؛ يُضْرَب لما لا يكون، وذلك أن الأبلق من صفات الذكور، والعقوق الحامل، والذَّكَر لا يكون حاملا، وإذا طلَب الإنسان فوق ما يستحق قالوا: طلب الأبلق العقوق، فكأنه طلب أمرًا لا يكون أبدًا؛؛ يقال إنّ رجلا سأل معاوية أن يزوّجه أمه هندًا، فقال أمرها إليها وقد قعدَتْ عن الوَلَد وأبَت أن تتزوّج، فقال: فوَلِّني مكان كذا، فقال معاوية متمثلاً:

طلَب الأَبلَق العقُوق فلمّا لم ينَلْه أراد بيْض الأَنُوقِ

والأُنوق طائر يبيض في قُنَن الجبال فبيضه في حِرْز إلا أنه ممّا لا يُطْمَع فيه، فمعناه أنه طلبَ ما لا يكون، فلمّا لم يجد ذلك طلب ما يُطْمَع في الوصول إليه، وهو مع ذلك بعيد. ومن أمثال العرب السائرة في الرجل يسأل ما لا يكون وما لا يُقْدَر عليه: كلَّفْتني الأَبْلَق العَقُوق، ومثله: كلَّفْتني بَيْضَ الأَنُوقِ، وقوله أنشده ابن الأعرابي:

فلَو قَبِلُوني بالعَقُوق أتيْتهُمْ بألْفٍ أؤدّيهِ من المال أقرَعا

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، حدا ١٦٩/١٤.

(٢) المصدر نفسه، عتم ٣٨١/١٢.

(٣) المصدر نفسه، ألا ٤٢/١٤.

(٤) المصدر نفسه، نعم ٥٨٣/١٢.

(٥) المصدر نفسه، عقق ٢٥٩/١٠ - ٢٦٠.

يقول: لو أتيتهم بالأبلق العقوق ما قبلوني؛ وقال ثعلب: لو قبلوني بالأبلق العقوق لأتيتهم بالف، وقيل العقوق موضع، وأنشد ابن السكيت هذا البيت الذي أنشده ابن الأعرابي: معناه أنه لا داءَ به كما أن الظبي لا داءَ به، وأنشد الأموي:

فلا تَجْهَمينا أمَّ عمروٍ فإنّما بنا داءُ ظبي لم تخُنْه عواملُهْ

قال ابو عُبَيْدة: قال الأمويّ: وداء الظَّبْي أنه إذا أراد أن يَثِب مكثَ ساعةً ثمَّ وَثَب.. وذلك أن الظبي إذا ترك كِناسَه لم يعُدْ إليه، يقال ذلك عند تأكيد رفض الشيء، أيّ شيءٍ كان.

وفي اللسان(١):

أتانيَ عن أبي أنَس وعيدٌ ومعصوب تَخُبُّ به الركابُ

وعيدٌ تَخْدُج الآرام منه وتكره بَنَّةَ الغنمَ الذئابُ

ورواه ابن دريد، تُخدج أي تطرح أولادها نُقصا، ... وقوله معصوب كتاب، أي هو وعيد لا يكون أبدًا؛ لأن الأرام لاتُخدج أبدًا، والذئاب لاتكره بَنَّةَ [رائحة] الغنم أبدًا.

وفي اللسان(٢): وقول جرير:

ويَرضع من لاقى وإن يرَ مُقعَدًا يقود بأعمى، فالفرزدق سائله

أي لو رأى هذا لسأله، وهذا لا يكون؛ لأن المقعَد لايقدر أن يقوم فيقود الأعمى.

وفي مجمع الأمثال(٣): كان حمارًا فاستأتن، أى صار أتانًا، وهذا ما لا يكون، وإنما أراد به أنه كان قويًا فطلب أن يكون ضعيفًا، أو كان ضعيفًا فطلب أن يكون قويًا، فمعنى استأتن طلب أن يكون أتانًا.

ومن فعل ما لا يكون ما أورده صاحب اللسان(٤) من قوله:

سأرقم في الماء القُراح إليكم على بُعدكِمُ، إنْ كان للماء راقمُ.

أي ساكتب، وقولهم: هو يرقم في الماء إذا بلغ من حذقه بالأمور أن يرقم حيث لا يثبت الرقْم.

(١) ابن منظور: لسان العرب، بنن ١/ ٣٦١.

(٢) المصدر نفسه، رضع ١٢٨/٨.

(٣) الميداني: مجمع الأمثال ١٣١/٢.

(٤) ابن منظور: المصدر نفسه، ٢٤٨/١٢٢.

وفي الكامل للمبرد(١): وقال عمر بن الخطاب لرجل، وهو أبو مريم السلوليّ: والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم...؛ حاشية: هذا يراد منه التأبيد، لأن الأرض لاتحب الدم أبدًا، ومعنى عدم محبتها له أنها لا تبتلعه كالماء.

وفي اللسان(٢) من حديث عُمَر: ألا لا تغالوا صُدق النساء فإنَّ الرجال تغالي بصَداقها حتى تقول جَشِمْتُ إليك عَرَق القِرْبة؛ قال الكسائيّ: عَرَق القِرْبة أنْ يقول نصبْت لك وتكلَّفت وتعبت حتي عرقت كعَرَق القِرْبة، وعَرَقها سيَلان مائها، وقال أبو عبيدة: تكلَّفت إليك ما لا يبلغ أحد حتى تجشَّمت ما لا يكون؛ لأن القِرْبة لاتعرَق، وهذا مثل قولهم: حتى يشيب الغراب ويبيض الفأر، وقيل: أراد بعرق القِرْبة عرَق حاملها مِن ثِقَلها، وقيل: أراد أني قصدتك وسافرت إليك واحتجت إلى عَرَق القِرْبة وهو ماؤها، قال الأصمعيّ: عَرَق القِرْبة معناه الشدّة، ولا أدري ما أصله؛ وأنشد لابن أحمر الباهلي:

ليستْ بمَشْتَمة تُعَدّ وعفوُها عرَق السِّقاء على القَعود اللاغب

قال: أراد أنه يسمع الكلمة تغيظه وليست بمَشْتَمة فيؤاخذ بها صاحبَها، وقد أبلَغتْ إليه كعرَق السِّقاء على القَعود اللاغيب، وأراد بالسقاء القِربة، وقيل : لقيت منه عرق القِربة أي شدّة ومشقّة. ومعناه أنّ القِربة إذا عرقت وهي مدهونة خبُث ريحها، وأنشد بيت ابن أحمر: ليستْ بمَشْتَمة، وقال: أراد عرق القِربة فلَم يستجب له الشعر..، وقيل: معناه جشِمت إليك النَّصب والتعب والغُرْم والمئونة حتى جشِمت إليك عَرَق القِرْبة أي عراقها الذي يُخرزَ حولها.. وقال ابن الأعرابي: كيف كلفت إليك عَرَق القِرْبة وعلَق القِرْبة، فأمّا عَرَقها فعَرَقك بها عن جُهْد حَمْلها، وذلك لأن أشد الأعمال عندهم السَّقْي، وأمّا علَقها فما شُدَّت به ثم عُلِّقَ، وقال ابن الأعرابي: عَرَق القِرْبة وعلَقها واحد، وهو مِعْلاق تُحمَل به القِرْبة، وأبدلوا الراء من اللام كما قالوا: لعَمري ورَعَمْلي، قال الجوهري: لقِيت من فلان عَرَق القِرْبة، العَرَق إنما هو للرجل لا للقِرْبة، وأصله أنّ القِرَب إنما تحملها الإماء الزوافر ومَن لا مُعين له، وربما افتقر الرجل الكريم إلى حملها بنفسه فيعرَق لِمَا يلحقه مِن المشقّة والحَياء من الناس، فيُقال: جَشِمْتُ إليك عَرَق القِرْبة.

وفي تهذيب الألفاظ لابن السكِّيت (٣).. ولَقِي منه عَرَق القِرْبة أي أمرًا شديدًا، وفي الحاشية: لأن القِربة لاتعْرَق أبدًا، فإذا أتى أمر لَمْ يُرَ مثله فيما مضى، ولا يُظَنّ أنّه يقع في المستقبل قيل: هذا عَرَق القِرْبة، أي هو أمر لا يَقدر أحد أنْ يتكلّفه ولا يلتمسه أحد من غيره إلا ليُعْنِتَه ويؤذيَه.

---

(١) المبرد، الكامل فى اللغة، ١٤٤/٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٢٤١/١٠.

(٣) ابن السكيت: تهذيب اللغة ٤٣١.

فضائل القرآن الكريم
تراثه، وأهمية استثماره

أ. د. خالد فهمي(*)

١ - فضائل الذكر الحكيم : قيمة لا حدود لها

لقد استقر يقينا أن الذكر الحكيم هو القلب الذي نبض فأحيا به الله أمة متميزة في تاريخ الإنسانية الطويل، نزل فدبت روح بعثت العالم من موات حقيقي، وارتقى به من درك الحيوانية إلى قريب من درجة الملائكية!

وفضائل القرآن الكريم تعبير دال على ما يتميز به النص الحكيم من خصائص وحسنات تكشف عن منزلته ومكانته التي يتمتع بها إجمالا على مستوى النص كله ، وتفصيلا على مستوى مفاصل هذا النص، ومكوناته الجزئية من الأجزاء والأحزاب والأرباع ، أو السور والآيات، أو الترتيب والتناسب، إلخ.

وقد تنبهت الحركة العلمية الإسلامية لهذا الباب من العلم فأولته عنايتها، وتفننت في تفريع فوائده، وتشقيق القول في هذه الفضائل وتوزيعها على مكونات النص المادية، حتى طال الحديثُ أصغَر هذه المكونات المتمثلة في حروفه، ورسمه أو خطه، ونقطه، وضبطه.

لقد كانت القيمة المنفتحة لمفهوم الفضائل المحيطة بالذكر الحكيم نتاجًا طبيعيًا لما استقر فى النفس المسلمة من تقدير منزلة هذا الكتاب الحكيم ، وتقدير أثره الجوهري والمحوري والمؤسس في وجود أمة متمايزة ، وسمت فى التاريخ باسم الأمة الإسلامية ؛ لأنه هو الذي أعطاها ماهية تشكلها وقيامها، لقد كان الذكر الحكيم بمثابة نفس الصباح الذى انتقل بالأمة من الغياب إلى تمام الحضور المتألق.

٢ - فضائل القرآن الكريم : التراث الممتد!

١/٢ . يوشك - في رأيي- أن يكون الحديث عن فضائل القرآن الكريم هو المقدمة الطبيعية للتعامل مع النص الحكيم، وأبالغ فأقرر أن التصنيف فى فضائل الذكر الحكيم هو المقدمة لظهور ما سُمِّيَ باسم جامع فيما بعد هو علوم القرآن، بمعنى أن التصنيف في علوم القرآن كان هو التطور لمبحث فضائل القرآن الكريم في الحضارة الإسلامية،

(*) كلية الآداب ـ جامعة المنوفية.

و هذا الرأي الذى اخترعه له ما يدعمه و يسوغه؛ وفيما يلي محاولة لرصد بعض ما يدلل على ذلك:

أولا- قِدَم ظهور مصنفات فضائل الذكر الحكيم، إذ يعود تاريخ أقدم هذه المصنفات إلى القرن الثاني الهجري، فقد نسب إلى الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ) رضي الله عنه أنه من أوائل من صنف في فضائل القرآن الكريم.

هذا بالإضافة إلى ما جاء في مدونات الحديث النبوي الشريف المبكرة من أبواب جمعت أحاديث فضائل الذكر الحكيم.

ومن العجيب الذي ربما يدعم ذلك أن أقدم ما وصل إلينا من مصنفات علوم القرآن الجامعة، وهو كتاب (الجامع علوم القرآن) لعبد الله بن وهب بن مسلم أبي محمد المصري (١٢٥-١٩٧هـ) برواية سحنون بن سعيد (١٦٠-٢٤٠هـ) افتتح بباب الترغيب، وهو لفظ مرادف في التسمية بفضائل القرآن.

ثانيًا- تضمن مصنفات فضائل القرآن الكريم كثيرًا من مباحث علوم القرآن المختلفة التي تطورت وصارت فيما بعد علومًا مستقلة من علوم هذا النص الكريم المبهج، فقد ورد في كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) فصول حول رسم المصحف وتأويل القرآن الكريم، ولغاته، وإعرابه، ونزوله وبيان منازله، وقد تطورت هذه المباحث مع الزمن واستقلت في مصنفات خاصة، فضلا عن انضوائها مفاصل أساسية في كتب علوم القرآن الموسوعية، كالبرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي والمناهل للزرقاني .

وهذان المسوغان يصلحان من وجهة نظرنا دليلاً على القول بأن الحديث في فضائل القرآن الكريم هو المقدمة الطبيعية التي تطور عنها علوم القرآن الكريم، أو هو ما يمكن أن نعبر عنه بعبارة أخرى أكثر وضوحًا تقرر بأن مبحث فضائل القرآن هو علوم القرآن الكريم في صورتها الأولية المبكرة .

وهو رأي أرجو أن يأخذ حقه من المناقشة والفحص والمراجعة من قبل المختصين في علوم القرآن الكريم.

٢/٢ - التصنيف في فضائل القرآن الكريم : تراثًا و منهجًا

اتخذ التصنيف في فضائل القرآن الكريم أشكالا متنوعة، مختلطة منضوية تحت عدد من العلوم، ومستقلة بذاتها فى تصانيف خاصة، ويمكن إجمالها في المخطط التالي:

أولا- التصنيف في فضائل القرآن الكريم في إطار من علوم أخرى.

ثانيا- التصنيف في فضائل القرآن الكريم في إطار من الاستقلال.

وقد اعتنت فضائل القرآن الكريم بمجموعة من علوم إسلامية متنوعة بحكم ارتباطها بالذكر الحكيم و علوم الإسلام جميعًا ؛ فظهرت عناية خاصة بهذا المبحث في الميادين التالية :

١-كتب التفسير على اختلاف مناهجها، حيث رأت هذه التفاسير أن الحديث عن فضائل الذكر الحكيم مقدمة منهجية لازمة قبل الأخذ فى التفسير، لما تقدم هذه الفضائل من تهيئة البيئة للمتلقي لتفهم مسارات التفسير، ولا سيما أن عددًا من مباحث هذا الفرع المعرفي توجهت لبيان فضائل كل سورة على حدة مما يعين على تفهم مقاصد الذكر الحكيم وغاياته، وهو بعض أهم ما يرمي إليه كل مفسر من وراء نشاطه التفسيري .

٢-مدونات الأحاديث النبوية الشريفة، ذلك أن أهم ما رآه هؤلاء المحدِّثون هو الارتباط بين محور الرسالة (المتمثل في النص الخالد) ووظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم المتمثلة في البيان و البلاغ لهذا النص الخالد.

٣- مصنفات الببليوجرافيا التراثية (كتب تصنيف العلوم) حيث اهتمت هذه الكتب بحكم طبيعتها بالتعريف بالمصنفات العربية الإسلامية في العلوم المختلفة، ومنها التعريف بفضائل القرآن الكريم، ومصنفاته، وذكر بعض ما احتوته .

٤- الكتب الموسوعية في علوم القرآن، ذلك أن فضائل القرآن الكريم استحال منذ بدايات الكلام فيه إلى باب أصيل من أبواب هذه العلوم القرآنية، مما حدا بأصحاب الكتب الموسوعية في علوم القرآن أن يعقدوا فصولا لذكر هذه الفضائل .

٥- كتب أخلاق حَمَلَة القرآن الكريم، وهى الكتب التى تفرغت لبيان ما ينبغي أن يتحلى به المشتغلون بالقرآن الكريم من القراء والمقرئين وغيرهم ، وهو ما نجد أمثلة له فى مثل: كتاب «أخلاق حَمَلَة القرآن» للآجرى البغدداي ٣٦٠هـ، حيث افتتح كتابه بمقدمة كاشفة عن فضائل الذكر الحكيم أوردها سابقة للفصل الأول من كتابه الذى تحدث عن فضل حَمَلَة القرآن، وقد استغرقت المقدمة إحدى عشرة صفحة (من ٣١- ٤١)، وكذلك فعل النووي ٦٧٧هـ في كتابه «التبيان في أخلاق حملة القرآن» حيث افتتح كتابه بالباب الأول في (أطراف من فضيلة تلاوة القرآن).

أما فيما يتعلق بالمصنفات المستقلة في فضائل القرآن الكريم، فقد ظهر أنها قديمة جدًا يرجع بدء التصنيف فيها إلى القرن الثانى الهجري، وقد صنع يوسف عثمان فضل الله جبريل قائمة بها في مقدمة تحقيقه لكتاب فضائل القرآن الكريم، للغريابي (ص٢٣-٢٦).

سنشير إليها إجمالا، ثم نعود فنفرد ما وصل إلينا، وحقق ونشر على الناس بفضل بيان:

١-فضائل القرآن ، للشافعي سنة ١٥٠هـ.

٢- فضائل القرآن، لابن أبي شيبة سنة ٢٠٧هـ.

٣- فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام سنة٢٢٤هـ.

٤- فضائل القرآن، لخلف بن هشام ٢٢٩هـ.

٥- فضائل القرآن، لحفص بن عمر ٢٤٦هـ.

٦- فضائل القرآن، لابن مزين ٢٥٩هـ.

٧- فضائل القرآن، لأحمد بن المعذل ق ٣ .

٨- فضائل القرآن، لابن الضريس ٢٩٤هـ.

٩- فضائل القرآن، للفريابي الصغير ٣٠١هـ.

١٠- فضائل القرآن، للنسائي ٣٠٣هـ.

١١- فضائل القرآن، للسجستاني ٣١٠هـ.

١٢- فضائل القرآن، لابن حداد ٣٤٤هـ.

١٣- فضائل القرآن، للطالقاني ٣٨٥هـ.

١٤- فضائل القرآن، للنسفي٤٣٢هـ.

١٥- فضائل القرآن، للهراوي ٤٣٤هـ.

١٦- فضائل القرآن، للرازي ٤٥٤هـ.

١٧- فضائل القرآن، للتجيبي ٥٥٠هـ.

١٨- فضائل القرآن ، للخشاب ٥٦٧هـ.

١٩ فضائل القرآن، للمقدسي الغافقي ٦٤٣هـ.

٢٠- فضائل القرآن، لابن عبد السلام المقدسي ٦٧٨هـ.

٢١- فضائل القرآن، لابن كثير ٧٧٤هـ.

٢٢- فضائل القرآن، للكتاني ٨٥٢هـ.

٢٣- فضائل القرآن، لابن سلطان الهروي ١٠١٤هـ.

٢٤- فضائل القرآن، لمحمد هاشم السندي ١١٧٤هـ، وهو ما أخلت به قائمة يوسف عثمان فضل الله جبريل.

٢٥- فضائل القرآن، للسمان ١١٨٩هـ.

والقائمة المذكورة المختصرة هنا مع قيمتها وأهميتها يظهر عليها :

أ- أنها ناقصة، بدليل ما أضيف إليها هنا تحت رقم (٢٤).

ب- أنها ناقصة المعلومات فيما يخص المطبوع المحقق من هذه الكتب .

ج- أنها مختلطة، بمعنى أنها ضمت مصنفات ليست فى الفضائل .

و فيما يلى بيان بما وصل إلينا من تراث فضائل القرآن الكريم، وعرف طريقه للنشر بعد تحقيقه :

١-فضائل القرآن ومعالمه و آدابه ، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ٢٢٤هـ ، وقد حققه الأستاذ أحمد بن عبد الواحد الخياطي، ونشرته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م في مجلدين، ثم حققه مراون العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، ونشرته دار ابن كثير، بدمشق سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م في مجلد واحد.

٢- فضائل القرآن، وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس البجلي سنة ٢٩٤هـ، وقد حققته الأستاذة غزوة بدير، ونشرته دار الفكر بدمشق، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣-فضائل القرآن، وما جاء فيه من الفضل وفى كم يقرأ، والسنة في ذلك ، لأبي بكر جعفر محمد بن الحسن الفريابي سنة ٣٠١هـ ، وقد حققه الأستاذ يوسف عثمان فضل الله جبريل، ونشرته مكتبة الرشد بالرياض، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

٤- فضائل القرآن، لأبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي، وقد

حققه الأستاذ محمد أنس مصطفى الخن، ونشرته مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤٢٨هـ.

٥-هبة الرحمن الرحيم من جنة النعيم في فضائل القرآن الكريم، لمحمد هاشم السندي ١١٧٤هـ، حققه الأستاذ محمد شكور محمود الحاجي أمرير المياديني، ونشرته مكتبة المنار، بالزرقاء بالأردن، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

وقد صنف أصحاب هذه الكتب كتبهم وفق ما يمكن أن نسميه بمنهج المحدِّثين، بمعنى أنهم رتبوها على فصول أو أبواب متجانسة جمعوا في كل فصل أو باب منها الأحاديث المندرجة في موضوع كل منها.

وهذا المنهج الذي يضع للفصل أو الباب عنوانًا جامعًا لموضوعه ثم تورد تحته الأحاديث الخادمة له- منهج قديم وضعه المحدثون أصحاب الصحاح والسنن وهو منهج يجمع بين أمرين، هما :

١-النظر الفقهي أو الموضوعي،وهو الذي يلخصه عنوان الباب أو الفصل أو ما يسمى باسم ترجمة الباب ، وهو ناشئ من نظر المصنف واستنباطه العقلي من مجموع ما تحت يده من أحاديث يجمعها باب واحد.

٢-الرواية أو جمع الأحاديث التى تشكل باجتماعها بابًا واحدًا.

ولعل ذلك راجع إلى أن أوائل الذين صنفوا في هذا الباب من العلم كانوا من المحدِّثين من أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي سنة ٢٢٤هـ، وابن الضريس البجلى ٢٩٤هـ، والفريابي سنة ٣٠١هـ، وغيرهم.

هذا بالإضافة إلى انتشار التقدير لمنهج الرواية في التأليف العلمي عند المسلمين بتأثر من منهجية التحديث التي رسخ أقدامها الاشتغال بعلم الحديث النبوي الشريف.

وفيما يلي بيان ما يتعلق بالبناء الداخلي لهذه الكتب، فقد حكمها جميعًا منهج يسير على قدمين يفتتح كل مؤلف كتابه بأبواب في عموم ذكر فضائل القرآن الكريم إجمالا، ثم يعود فيفرد أبوابًا في ذكر الفضائل الجزئية التي تختص ببعض ما في القرآن الكريم، ومما يوضح ذلك ويؤكده أن أبا عبيد القاسم بن سلام افتتح كتابه بالأبواب التالية :

١-باب فضل القرآن، وتعلمه وتعليمه.

٢-باب فضل قراءة القرآن والاستماع إليه.

٣-باب فضل الحض على القرآن والإيصاء به، وإيثاره على ما سواه.

٤-باب فضائل اتباع القرآن، وما في العمل به من الثواب وما في تضييعه من العقاب.

وهي كما تبدو أبواب عامة ترعى فضل التعامل مع الكتاب الكريم كاملا، ثم يعود فيذكر أبوابًا خاصة في فضائل كل سورة على حدة.

وفي داخل كل باب يكتفي المصنف بإيراد الأحاديث بسلسلة سندها، مما يفهم منه تعلقها بهذا الكتاب أو ذاك، ومن أمثلة ذلك ما ورد في أول أبواب كتاب الفريابي، الذي عنوانه : باب فى فضل القرآن وقراءته، حيث ذكرت الأحاديث التالية مرتبة:

١- عن عقبة بن عامر الجهني أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: لو كان القرآن في إهاب (أي قلب) ما مسته النار".

٢- عن عائشة قالت ، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يتتعتع فيه له أجران".

٣- عن عثمان بن عفان قال : "أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه".

٤- عن ابن مسعود قال :" إن هذا القرآن شافع مشفَّع، وماحل مصدَّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار".

٥- عن عقبة بن عامر قال : "القرآن حجج فلكم أو عليكم"، وهكذا في كل باب من دون تدخل من المصنف.

ومن هنا يظهر لنا أن منهجية بناء هذه الكتب جميعًا اعتمدت ما يلى:

أولاً - وضع ترجمة (عنوان) للباب أخرجه المصنف بنظره فى الأحاديث، واستنبطه من تأمله ودرسه لها.

ثانيًا- إيراد الأحاديث الخاصة بموضوع الباب تحت الترجمة (العنوان) الذى استخرجه منها، من طرقها المختلفة، وهو ما يؤدي إلى تكرار عدد كبير من الأحاديث في الباب الواحد بسبب اختلاف الرواة.

ثالثًا-وفى بعض الأحيان يتدخل المصنف فيعلق على شيء مما ورد فى بعض الأحاديث، غالبًا ما تتوجه إلى توجيه معنى جاء غامضًا أو غريبًا من وجهة نظره، وهذا

أمر قليل ليس عامًا فى كل المصنفات، وأكثر من فعل ذلك كان أبو عبيد القاسم بن سلام، ثم ابن كثير الدمشقي الذي كان يتوسع أحيانًا ببيان بعض المسائل العلمية التي تتعلق ببعض الأحاديث.

رابعًا- وفى بعض هذه الكتب ظهرت عناية بالحكم على الأحاديث، وبيان درجتها وكان ابن كثير أظهر من فعل ذلك، واعتنى أبو عبيد القاسم بن سلام ببعض من ذلك.

٣ - فضائل القرآن الكريم : مقال فى الوظائف و الاستثمار

إن فحص تراث فضائل القرآن الكريم يعكس بشكل عام الحفاوة البالغة التي لا حدود لها التي وجهها علماء الأمة إلى نص الكتاب الكريم، وحياطتهم له بكل صنوف الرعاية التي أنتجت صورًا بديعة كثيرة مادية لتحقيق تكريمه وتعظيمه ، وتيسيره للناس جميعًا.

وفيما يلي محاولة للوقوف أمام عدد من الوظائف التي ظهرت من دراسة هذا التراث النبيل الذي حشد فضائل الذكر الحكيم، وهي وظائف متنوعة من الممكن استثمارها فى أكثر من مجال فى الحياة المعاصرة :

أولا- الوظيفة التعبدية

نزل الذكر الحكيم و أمر المسلمين جميعًا بصنوف من التعلق به تلاوة، واستماعًا، وتأملا وتدبرًا، وعملا وتطبيقًا، وحذر تحذيرًا ظاهرًا من هجر أي من هذه العبادات المرتبطة به .

وتراث الفضائل القرآنية تقدم محصولا وفيرًا يحيط هذه الأعمال التكليفية جميعًا بالبيان، وتبين منزلة متعاطيها، وتجلو ما ينبغي أن يلتزمه المتعبدون فى تعاملهم مع هذا النص الكريم؛ لأجل ذلك فإن النصوص التي جمعها تراث فضائل القرآن الكريم مفيدة فيما تقدمه للمتعبدين من تهيئة وتوضيح لما يحيط بهذا النص الكريم من خصائص، وسمات. والارتباط بالنص الكريم بعد بيان منزلته وسماته مؤثر جدًا فى طبيعة هذا الارتباط، ومؤثر في نفسيات المتعبدين، ذلك أن لكل عبادة جوها النفسي، وتهيئتها الخاصة التي تمهد للدخول فيها. ومعرفة فضائل الذكر الحكيم، وما يترتب على الإقبال عليه من ثواب مثمر جدًا في عوائده على القراء والمتدبرين والعاملين.

إن وعي المرتبطين بالذكر الحكيم بنصوص الفضائل يخلق حالة من حالات التهيئة النفسية التي تقوم مقام التمهيد، لتخضع الجسم، وتتهيأ النفس لاستقبال عبادة التعامل

معه بطرق العبادة المختلفة ، وتستهين بمشقات التكليف المحيطة بالتعبد به.

إن القارئ الذى يجد مشقة فى التلاوة لأي غرض يحتاج إلى مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم[١]: "والذى يقرأ القرآن وهو يشتد عليه فله أجران "ذلك أن أمثال هذا الحديث تبعث في النفس المسلمة نشاطًا يعين على الاستهانة بأعباء التكاليف ومشقاتها المرتبطة بقراءة الذكر الحكيم، والصبر على هذه الأعباء الناشئة من التلاوة ؛ لأي سبب كان.

وهذه النصوص تمثل طاقة تحفيزية تلزم أجواء التعبد، وهو بعض ما تقوم به نصوص تراث فضائل القرآن الكريم من تهيئة الجو الروحى الباعث على الإفادة من الذكر الحكيم.

ثانيًا- الوظيفة التربوية التعليمية

من المستقر أن الإسلام يرى في بعض تصويره لوظيفة النبوة على الأرض أنها تحمل رسالة تعليمية، وهو بعض ما يفسره ويدعمه قول النبي صلى الله عليه و سلم عن نفسه : بعثت معلمًا!

ومن هنا فإن تراث مصنفات الفضائل القرآنية يحتوي مادة ظاهرة الخطر فيما يسمى بالوظيفة التربوية التعليمية، يمكن التقاطها وتركيزها فى المحاور الإجمالية التالية :

١- حاجة العملية التعليمية إلى التحفيز و التهيئة النفسية، وهو ما تؤديه نصوص كثيرة من هذا التراث النبيل.

٢- يظهر فحص هذه المصنفات منهجية تتدرج من العموميات إلى الخصوصيات وهو بعض ما تقرره برامج التربية في عدد من مقررات أصول التربية.

٣- تضم مصنفات هذا الفرع العلمي عددًا من الإجراءات و الأساليب العملية التي يمكن استثمارها في بعض حقول التربية، من مثل التربية اللغوية.

من مثل :

أ- أثر تكرار النطق بالعبارة في عملية الاكتساب اللغوي.

ب- أثر القراءة بالصوت المرتفع في استقامة اللسان.

ج- أثر النظر في المكتوب في عمليات تعلم اللغة.

---

(١) في فضائل أبي عبيد ص ٤٨، حديث ٧ .

ثالثًا - الوظيفة المعرفية

يحتفظ تراث فضائل القرآن الكريم بمادة وفيرة حول طبيعة الذكر الحكيم، وتاريخ العناية بأبعاده المادية ، رسمًا وتقسيمًا، كما يحتوي مادة وفيرة تلزم المتعاملين معه تفسيرًا له واستنباطًا منه.

ومن الممكن تلخيص ما يقدمه هذا التراث من معرفة لازمة تعين على تدبره وتفسيره فيما يلي:

١- المعرفة التاريخية بالعناية بالنص، فقد احتوى كثير من مصنفات هذا التراث أبحاثا تتعلق بتقسيمه، ورسمه، وضبطه، ونقطه، وتزيينه وتحليته، ففي فضائل أبي عبيد القاسم بن سلام باب نقط المصاحف، وباب تعشير المصاحف؛ أي وضع علامة بعد كل عشر آيات، وباب تزيين المصاحف و تحليتها، وباب كتاب المصاحف أي كتابتها، وما يستحب من عظمها ويكره من صغرها .

وهذا الباب المهم فى كل تفكير للعناية المادية بالمصحف سعيًا نحو تيسير تلاوته على الناس، وتعلمه، تؤنس المجتمع العلمي والفقهي في اتخاذ القرارات المناسبة نحو كل ما من شأنه تعظيم المصحف، وتيسيره معًا.

٢-المعرفة المعينة على تفسير النص الكريم، فقد احتوى كثير من مصنفات هذا التراث مادة علمية وفيرة معينة على تفسيره، والكشف عن مقاصده، وغاياته الكلية والجزئية، ذلك أن هذه المصنفات ضمت فصولا كثيرة عن مقاصد السور تفصيلا، وضمت فصولا كثيرة عن مناهج الصحابة فى تدبره، والعمل بما فيه.

٣- المعرفة المعينة على تجويده، وهو ما يظهر من المادة التي تصف كيف أداه الصحابة، وتحملوه ؟ وكيف حاطوه بالرعاية، وعلّموا الأجيال من بعدهم، وقننوا قواعد تلاوته وتجويده، وأرسوا أخلاق التعامل معه من جوانبه كافة، الأمر الذى كان مقدمة مهمة لظهور علوم التجويد والقراءات.

رابعًا - الوظيفة اللسانية

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، مما أسهم في ترقية العلوم اللسانية أو اللغوية عند العرب، كأنما أوجدها من عدم، وخلقها قوية ناضجة مبهرة، وقراءة تراث فضائل القرآن يكشف عن منهجية مستقرة فى التربية اللغوية، صالحة فى تطوير برامج تعلم اللغة واكتسابها وترقيتها.

وقد سبق لي أن كتبت عن ملامح منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التربية اللغوية للصحابة، وعن أثر مجالس الإقراء في العصر النبوي في التربية اللغوية للصحابة، وكشفت فيما كتبته عما تضمه هذه المصنفات من مادة علمية خصبة تتعلق بهذه الوظيفة، يمكن إيجازها فيما يلي:

١- فى نصوص الأحاديث الواردة فى تراث فضائل القرآن أحاديث تصنع تهيئة نفسية لازمة للتربية اللغوية.

٢-تدريب النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة على النطق الصحيح.

٣- التحفيز على السماع، وبيان أثره فى عملية التربية اللغوية .

٤- تشجيع برامج القراءة بصوت مرتفع، وهو أمر مقرر في التربية اللغوية، ظاهر النفع و الجدوى.

٥- تنوع مجالس الإقراء في العصر النبوي، وأثر ذلك في التربية اللغوية.

٦- بيان أهمية تبين الحروف ، وتفصيل النطق بها وامتداح ذلك .

٧- الأمر ندبًا باستصحاب النظر في المصحف المكتوب في أثناء عمليات الإقراء.

وهذه كلها مفردات مبثوثة في هذا التراث العلمي المعجب، نافعة في باب تعلم اللغة، وترقيتها، وتنمية ملكتها عند أبنائها.

خامسًا- الوظيفة الحضارية

ضمت مصنفات فضائل القرآن الكريم فصولا عديدة تدور حول طرق كتابة المصحف، وخصائص خطه، ونقطه، وضبطه، ووضع علامات للوقوف والتجزئة، وهو الأمر الذى طور من علم الرسم بفروعه المختلفة، وهوالأمر الذي يعكس وعي الغرب بأبحاث علم اللغة الخطي.

كما كانت للفصول الخاصة بتزيين المصحف وتحليته أثر واضح فى القيم الجمالية البصرية الناشئة من التأنق في تزيين ورقه، وتنويع ألوان مداده، والتأنق في زخرفة السور الذي يحيط بالآيات في كل صفحة، مما أسهم فى تطوير الفنون التشكيلية الخادمة لزينته، وتطوير المفردات الفنية: النباتية، والهندسية، واللونية، مما أسهم فى خلق أبعاد فنية يصح أن تستقل علمًا برأسه خاصًا بزينة المصاحف، وتحليتها تعاطيًا مع متطلبات الذائقة الجمالية البصرية عن طريق العناية بالمفردات الفنية التالية :

أ- العناية بالتشكيل الجمالي للخط أو الرسم العثماني، ونسب كتابة الحروف، وتناسق الأسطر والهوامش.

ب- العناية بالتشكيل اللوني، والمراوحة في استعمال الألوان المختلفة في الكتابة والضبط.

ج- العناية بالتشكيل الجمالي الزخرفي للعناصر غير الكلامية في صفحات المصحف المختلفة من تشكيل الأسوار، وعلامات العشور، وافتتاح السور زخرفيًا.

وفي كتب فضائل القرآن الكريم فصول كاملة تمثل مهادًا صالحًا للتأريخ لجماليات العناية المادية بالمصحف في الحضارة الإسلامية .

خاتمة

ولا تزال نصوص فضائل الذكر الحكيم ذات أثر ملهم في غير مجال علمي يحتاجها العصر الحديث، وطاقات استثمارها متنوعة وافرة المسارات؛ يحتاجها علماء التربية في تصميم الكتب التعليمية، من اختيار حجم الخطوط، وطرق تزيينها للناشئة لخلق الارتباط بها، ويحتاجها علماء اللغة فيما ينتشر فيها من برامج تطبيقية ارتقت بلسان القراء الذين ألّفوا حول الذكر الحكيم، وقام رجال من جيل الصحابة ومن بعدهم يقعّدون القواعد لإتقان قراءته وضبطها وتصحيحها؛ ويحتاجها أهل الفنون ودارسوها لتعينهم على فحص النظرية الجمالية والفنية التي خلقها تاريخ العناية بتزيين المصحف، وتحليته.

لقد كان نزول القرآن الكريم حدثًا جبارًا فى تاريخ الإنسانية بوجه عام، وفي تاريخ الأمة العربية بوجه خاص، وكان ظهور علم فضائل هذا الكتاب الكريم بمثابة طلوع الصبح بعد ليل طويل، جاء الذكر، وظهرت فضائله، فتنفست الدنيا، وأشرق صبحها بعد طول غياب وإظلام.

وقد كشف فحص هذا التراث عن عدد من النتائج نوجزها فيما يلي:

أولا- اختلطت قوائم مصنفاته بغيرها مما ليس فيها، وظهرت الحاجة إلى استكمالها، والاستدراك عليها.

ثانيًا- اقترحت الورقة أن يكون مبحث فضائل القرآن هو المبحث الأوّلي الذي تطور فيما بعد ليكون علوم القرآن، أو في فضائل القرآن هى علوم القرآن في النسخة الباكرة.

ثالثا- كشفت الورقة أن منهجية بناء كتب فضائل القرآن امتداد للمنهجية الحديثة الفقهية، التي تورد الأحاديث والآثار التي يجمعها نسق معرفى واحد تحت عنوان جامع.

رابعًا- كشف فحص كتب فضائل القرآن الكريم عن عدد من الوظائف المستقرة توزعت على الوظائف التعبدية الروحية، والمعرفية، واللسانية، والحضارية الجمالية، والتربوية التعليمية، وكشف تأملها عن إمكان استثمارها وصلاحيتها حتى العصر الذي نعيشه.

قصص الحيوان في تراث الآداب الإسلامية
العربية والفارسية والأردية

د. منى محمد مصطفى(*)

مقدمة

يوجد لدى كل الشعوب قصص وحكايات تهدف إلى التسلية والترويح عن النفس، والقصة، أو الحكاية من أكثر فنون الأدب جاذبية وقبولا في الأدب العالمي، وقد حظيت بمكانة عالية وتناقلتها الشعوب فيما بينها. وظهرت القصص والحكايات منذ خلق الإنسان على سطح الأرض، وستنتهي مع نهاية الخلق.

ومن المعروف أنه كان لدى حضارات العالم القديم (العراق، ومصر، والصين واليونان) ثروة ضخمة من القصص، وبداية القصص والحكايات وتطورها مرتبط بوجود الإنسان على الأرض؛ ولذلك ظهرت فى هذه القصص ملامح عهدها القديم.

وكل حضارة لها ملامح خاصة، وقد يوجد تشابه فى قصص العالم كله رغم تنوعها وتفردها.

ولقد ارتقت القصص والحكايات شأنها شأن فنون الأدب الأخرى، ويوجد فى آداب الهند، وإيران، واليونان، والروم أقاصيص وحكايات طَبَّقت شهرتها الآفاق، وقد لاقت بعض الأقاصيص قبولاً منقطع النظير، وأصبحت محور اهتمام آدابها، ولا تزال تحظى بقبول لدى الجميع.

ومن المتعارف عليه أن الأقاصيص والحكايات بدأت من الشرق؛ لأن حكامهم كانوا ظلمة، وكانت القصص على ألسنة الحيوانات هي وسيلتهم الوحيدة ليوصلوا بها استغاثاتهم لدى الملوك والحكام.

١ - فى الأدب العربى

يعد العرب من بين شعوب العالم القديم التي حَظيَت قصصهم بمكانة عالية فقد خبروا الحياة بحلوها ومرها، وتناولوا فى شعرهم، ونثرهم ما حصلوه من تجارب. ومن بين أنواع النثر عند العرب الحكايات والأقاصيص .

(*) مدرس بقسم اللغات الشرقية ـ كلية الآداب ـ جامعة المنصورة.

ففي العصر الجاهلي كان الناس يفرغون من أعمالهم ثم يجتمعون ليتبادلوا الطرف والألغاز ويرووا القصص وكان القصاصون يستمدون قصصهم تارة من الأساطير، والخرافات السائرة المتنقلة بين الأمم وتارة أخرى من الأخبار والأحاديث الخرافية، والتاريخية المأثورة عن العرب أنفسهم وعمن جاورهم .

ويروى أن النضر بن الحارث المكي كان كثيراً ما يعارض النبي (صلى الله عليه وسلم) بحكاية أقاصيص من أساطير بطولة الفرس إذا أراد النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يعظ قومه ويستميلهم إلى الإسلام، وكان على النضر بن الحارث المكي أن يدفع ثمن ذلك بمقتله يوم بدر(١).

وقد أطلق العرب على القصص التي كانت تروى ليلاً أسمارًا وقال محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم :-

"أول من سمر بالليل الإسكندر وكان له قوم يضحكونه، ولا يريد بذلك اللذة وإنما يريد الحراسة، واستعمل لذلك بعده الملوك كتاب هزار أفسان؛ وهو يحتوي على ألف ليلة وعلى دون المائتي سمر "(٢).

وكان العرب في الجاهلية يتناولون في قصصهم موضوعات تتعلق بسير أسلافهم وشجاعتهم وبطولتهم وقصص العشق.

وقد استمرت هذه العادة في عصر النبوة، وما تلاه من العصور الإسلامية وذكر القرآن الكريم قصص الأمم السالفة في أكثر من موضع.

وقد ذكر ابن النديم في كتابه الفهرست :

"كان عبيد بن شريه الجرهمي في زمان معاوية وأدرك النبي - عليه الصلاة والسلام - ولم يسمع منه شيئاً ووفد على معاوية بن أبي سفيان، فسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب، والعجم وسبب تبلبل الألسنة وأمر افتراق الناس في البلاد وكان قد استحضره من صنعاء اليمن، فأجابه بما أمر فأمر معاوية أن يدون وينسب إلى عبيد بن شريه، وعاش (عبيد بن شريه) إلى أيام عبد الملك بن مروان، وله من الكتب كتاب الأمثال، وكتاب الملوك وأخبار الماضين"(٣).

---

(١) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ص ١٢٨ .

(٢) ابن النديم: الفهرست، المقالة الثامنة ، ص ٣٦١ .

(٣) ابن النديم: الفهرست، المقالة الثالثة ، ص ١٠٥ .

وذكر ياقوت الحموي أن عبيد الجرهمي كان من حكماء الجاهلية؛ وهو شخصية أقرب إلى الأساطير، ويعده الرواة من أقدم الإخباريين، ويزعمون أنه ألف لمعاوية كتابًا في تاريخ الملوك وأخبار الماضين "(١).

ويمكن تقسيم القصص التى كانت تروى فى العصر الجاهلي إلى قسمين:

حكايات القسم الأول يمكن أن نعتبرها من أصل عربي، أما حكايات القسم الثاني فقد اقتبسها العرب من أقوام آخرين، وصاغوها وفق مزاجهم وذوقهم .

وتستمد بعض حكايات القسم الأول من الأخبار والأحاديث الخرافية والتاريخية المأثورة عن العرب أنفسهم، وبعضها الآخر يتناول قصص المشاهير.

فمعروف أن العرب كانوا شجعان، ومحاربين حيث كانوا يقضون أغلب حياتهم فى أعمال الحرب، والغارات؛ لذلك يدور موضوع قصصهم بصفة عامة حول بيان أعمال الحرب والبطولة والشجاعة.

وقصص هذا النوع تتناول سير المشاهير من قبيل: عنترة، والزير سالم بن بلال البطال، والأميرة ذات الهمة، وسيف بن ذي يزن، وفيروز شاه .

ولا نجد في قصص المشاهير ذكرًا أو إشارة إلى الحيوانات، وقد يأتي بالصدفة ذكر أوصاف الجمل، أو الثعبان، أو ابن آوى، أو الغزال، أو الصقر، أو الحمام، وعاداتهم وخصالهم .

وفي القصص الحربية نجد ذكر الحصان أكثر من أي حيوان آخر، وقصة عنترة ليست قصة محارب فقط وبطل عربي، بل هو شخصية إنسان وفيٍّ مخلص غيور شريف، وزعيم قبيلة يدافع عنها ويحميها من مخاطر اعتداءات القبائل الأخرى عليها .

وفي العصر الجاهلي كان أغربة العرب أربعة، وهم: عنترة ، وخفاف بن ندبه ، وأبو عميرة بن الحباب، وسليك بن السلكة .

ففي قصة عنترة ذكر الحصان بصفة خاصة، وقد نظم عنترة أشعارًا في وصف حصانه(٢) .

كما نظم أشعارًا في وصف معشوقته عبلة، وشبهها بالغزال وغيره من الحيوانات.

---

(١) ياقوت الحموى: معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٢ .

(٢) الخطيب التبريزى: شرح ديوان عنترة ، ص ٥-٧ .

ويصف امرؤ القيس محبوبته عنيزة من شعرها حتى إخمص قدميها، فيشبهها في بعض الأحيان بالغزال، وفي أحيان أخرى بالناقة، وغيرها، ومعلقة طرفة بن العبد تشتمل على ١٠٥ أبيات من بينها ٣٥ بيتًا فى وصف الناقة، وقد شبه ناقة محبوبته بالقارب، وجاء فى وصف الناقة بتشبيهات نادرة[١].

وجاء ذكر الناقة مرارًا في الأحاديث النبوية الشريفة :

"روى مسلم وأبو داود عن النسائي عن عمران بن حصين – رضي الله عنه – قال: بينما النبي – صلى الله عليه وسلم – في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة قد لعنتها، فسمع ذلك الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقال: خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة "[٢] .

قال عمران بن حصين: فكأني آراها تمشى في الناس ما يعرض لها أحد[٣].

وتسمي العرب الناقة سفينة الصحراء ، ولم يكن هذا الحيوان يستعمل فقط فى الركوب وحمل الأحمال، بل كان بالنسبة لهم كل شيء، فهم يأخذون منه طعامهم وملبسهم ومبعث فخرهم ومؤنهم، ومواس لهم؛ ولذلك نجد ذكره فى الشعر العربي أكثر من أي حيوان آخر وليس ذلك الأمر عجيبًا .

وقد ورد ذكر الجياد عدة مرات في القرآن والحديث، وأكثر الشعراء والأدباء في العصر الإسلامي من ذكر الجياد، وفي ذلك الشأن يقول عبد الملك الأصمعي:

ذهبتُ ذات مرة أنا وأبو عبيدة عند فضل بن ربيع، وسألني: كم كتابك في الخيل؟ فقلت مجلد واحد، وسأل أبا عبيدة عن كتابه فقال: خمسون مجلدًا، فقال له : قم إلى هذا الفرس وأمسك عضوًا منه وسمّه، فقال : لست بيطارًا، وإنما هذا شيء أخذته عن العرب، فقال لي: قم يا أصمعي وافعل ذلك : فقمت، وأمسكت ناصيته، وجعلت أذكر

(١) ديوان طرفة ابن العبد، شرحه وقدم له: مهدى محمد ناصر الدين ، ص٢٠ ،٢٤ .

(٢) دعوها فإنها ملعونة .

معجم لعن : مَ بر ٨٠، ٨١، دَ جهاد٥٠ . دَى استئذان٤٥، ص ٤، ٤٢٩، ٤٣١

– مسلم ج ١٦/ م ١٥، كتاب البر والصلة والآداب (باب النهي عن لعن الدواب وغيرها)، عن عمران بن حصين النص؛ أبو داوود ج ٣/ ٤١ ، كتاب الجهاد (باب النهي عن لعن البهيمة) عن عمران بلفظ: (ضعوا عنها فإنها ملعونة)؛ الدارامي، ص ٨٧٩، كتاب الاستئذان (باب النهي عن لعن الدواب) عن عمران بن حصين بلفظ: (ضعوا عنها فإنها ملعونة).

(٣) وقال عمران: كاني أنظر إليها ناقة ورقاء. الموسوعة الحديثية، ج ١٠٢/٣ عن عمران بن حصين.

عضوًا عضوًا، وبلغت حافره ! فقال : خذه ! فأخذت الفرس قال : فكنت إذا أردت أن أغيظه ركبت ذلك الفرس وأتيته[١].

وكتب محمد حسين سليم فيما يتعلق بالفابلات (قصص الحيوان)[٢]:

بدأ حكي الأقاصيص والحكايات من الشرق؛ لأن حكامهم كانوا ظَلَمَة، وكان لدى رعاياهم طريقة واحدة يوصلون بها استغاثاتهم لدى الملك، وقد اشتهر لقمان الحكيم العربى وإيسوب اليوناني، وألَّف بيديا الهندي في ذلك الشأن كتاب "كليلة ودمنة" باللغة السنسكريتية قبل عشرين قرنًا من أجل الملك دبشليم، ووضعه على ألسنة الحيوانات والطيور، ثم ترجمه ابن المقفع إلى العربية عن الفارسية، وذكر المسعودي في كتابه "مروج الذهب" : "ألف سهل بن هارون الكاتب لأمير المؤمنين المأمون كتاباً ترجمة (ثعلة وعفرة) يعارض به كتاب "كليلة ودمنة" في أبوابه وأمثاله ويزيد عليه في حسن نظمه "[٣].

وكتاب "الصادح والباغم"، وكذالك كتاب "فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء" يتناولان ذلك الموضوع أيضًا .

ويرد ذكر الحيوانات في الحكايات والأمثال العربية، وقد أبدى شعراء وأدباء العراق، والأندلس، ومصر، وتركيا، والشام اهتمامًا خاصًا بذكر الحيوانات فى الشعر والنثر.

واستعمل أكثر العلماء قصص الحيوانات؛ من أجل التعليم والتعلُّم، وتقديم النصيحة والموعظة، ولا يمكن لأحد أن ينكر أن قراءة حياة الأنبياء والصحابة الكرام ومشايخ الدين مفيدة لكل مسلم، ولكن عندما تعرض أحوالهم في شكل قصص وحكايات؛ فهي تزيد من رغبة القراء فى مطالعتها، وفى الأدب نوع الحكاية محبب للقارئ؛ لأن فيها مواد تشبع فطرة الإنسان التى تميل إلى التجسس وتتبع الحوادث.

والأمر غير القابل للشك أن الله تعالى جعل القرآن الكريم يشتمل على القصص، ورغَّب فى ذلك الأمر، حيث يقول فى قرآنه الكريم :

" فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ "[٤].

وكتب فى الأدب العربى أدباء كبار مثل: ابن المقفع، والجاحظ، والأصمعى عن

---

(١) الموسوعة العالمية للشعر العربى ، من قصص الأصمعى ، ص٧٤ .

(٢) سليم محمد حسين : تلخيص اور تاريخ أدب عربى ، ص١٣٢ .

(٣) المسعودى: مروج الذهب ، ج ١ ، ص٨٠ .

(٤) سورة ا لأعراف: الآية ١٧٦ .

الحيوانات وقصصهم وكذلك أورد الكتاب المهتمون بموضوعات التاريخ والفلسفة ذكر الحيوانات في مواضع كثيرة، وألَّف عالم مصري مشهور يدعى شهاب الدين أحمد بن سلامة القليوبي (المتوفى ١٠٦٩ هـ) كتاب" النوادر"، وهذا الكتاب ظل لفترة طويلة يدرس في مدارس شبه القارة الهندية ضمن مقررات المناهج الدراسية، ومن قصص الحيوانات التي وردت فيه:

" حكي أنه اصطحب أسد ذئبًا وثعلبًا فخرجوا للصيد فاصطادوا حمارًا وظبيًا وأرنبًا فقال الأسد للذئب : اقسم بيننا، فقال: هذا أمر ظاهر، الحمار لك والأرنب للثعلب والظبي لي فضربه الأسد بكفه فلطم رأسه، ثم قال للثعلب: اقسم أنت بيننا !، فقال : الأمر واضح الحمار لغذاء الملك والأرنب لعشائه، والظبي لما بين ذلك، فقال الأسد: قاتلك الله، من علَّمك هذه القسمة، فقال: ما رأيت من تلك اللطمة، ثم ولّي هاربًا "[1].

وحُكِيَ أن الأسد مرض فعاده جميع الحيوانات إلا الثعلب فغضب عليه، فنمَّ عليه الذئب، ثم حضر الثعلب عند الأسد فقال له : ما سبب غيابك عنا ؟ فقال : كنت فى طلب ما يدوايك، فقال له : فماذا رأيت ؟ فقال له : جوزة فى ساق ذئب، فضرب الأسد مخلبه في ساق الذئب فانسل الثعلب، ثم مر الذئب على الثعلب ودمه يسيل، فقال له الثعلب: يا صاحب الخف الأحمر إذا جلست عند الملوك فانظر ما يخرج من رأسك "[2].

ومن بين الرسائل الخمسين التي كتبها إخوان الصفا الرسالة رقم ٢٢ فى كيفية تكوين الحيوانات وأوصافها[3]، وهي تشتمل على مناظرة بين بني الإنسان والحيوانات في صورة حكاية .

وكذلك يوجد في الأدب العربي عدة قصائد لأبي العلاء المعري فى ذكر الحيوانات، ويبدو الأسلوب التمثيلي في المناظرات بين الذئب والجدي ، والطائر والحمام، ومناجاة الحيوانات .

ويعتبر الأدب الفارسي من أقدم آداب العالم وأعظمها؛ ومع أن اللغة الفارسية وآدابها كانت موجودة قبل ظهور الإسلام بعدة قرون؛ لكنها حظيت بمكانة رفيعة عندما تمكن سعد بن أبي وقاص فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب فى سنة ١٦ هـ من هزيمة

(١) أحمد شهاب الدين بن سلامة القليوبي: النوادر ، ص ٦٠، ٦١ .

(٢) القليوبي: النوادر ، ص ٦١ .

(٣) إخوان الصفا: المقالة ٢٢ .

يزدجرد الثالث آخر الملوك الساسانيين في معركة القادسية، وجعل العلم الإسلامي يرفرف على المدائن عاصمة إيران، واعتنق الإيرانيون الإسلام وتغيرت لغتهم وطريقة كتابتهم وأسلوب معيشتهم وآدابهم "(١).

وفي عصر الدولتين: الأموية، والعباسية امتزجت الثقافتان: الإيرانية، والعربية ببعضهما عن طريق الدويلات شبه المستقلة الطاهرية، والصفارية، وبدأت تنتشر اللغة الفارسية وآدابها.

وبعد ذلك بدأ عصر السامانيين الذى يطلق عليه عصر إحياء اللغة الفارسية وآدابها، وفي تلك الفترة ظهر أول شاعر ينظم شعرًا بالفارسية في إيران وهو: الشاعر الرودكي السمرقندي المشهور.

ويعتبر الرودكي (٨٨٤ – ٩٤١م) أول شاعر رتب ديوانه باللغة الفارسية؛ ولذلك لقب بـ(آدم الشعراء) وأصيب في طفولته بالعمى، وكان حافظًا للقرآن الكريم، وألمَّ بكل العلوم الرائجة في عصره، وكان لديه اهتمام خاص بالموسيقى وحسن الصوت، وكان سريع البديهة، وحصل على مكانة عظيمة في بلاط نصر بن أحمد الساماني، وبناء على أمره نظم بالفارسية كتاب "كليلة ودمنة" وحصل على جائزة أربعين ألف درهم(٢) وهو في الأصل كتاب باللغة السنسكريتية القديمة، جلبه برزويه من بلاد الهند بناء على أوامر ملك الفرس كسرى أنوشيروان "(٣) وفي النصف الأول من القرن السادس نقله أبو المعالي نصر الله منشي من نسخة الترجمة العربية لابن المقفع – التي أهداها له أحد أصدقائه- إلى الفارسية، واشتهر باسم كليلة ودمنة بهرامشاهي(٤)، وفي القرن التاسع الهجري هذب ملا حسين على الكاشفي كليلة ودمنة لأبي المعالى نصر الله منشي، وزينها بالصناعات اللفظية، وأهداها للأمير شيخ أحمد أحد أمراء السلطان حسين ميرزا بايقرا، وكنيته سهيلي ، وسماها باسم أنوار سهيلي (٥)، ومنذ ترجمته تأثرت قصص الحيوانات في الأدب الفارسى بكليلة ودمنة، وفي ذلك يقول حميد يزداني:

يعتبر أسلوب كتابة القصة فى إيران قديمًا جدًا، وقد عثر على أسماء بعض الكتب التي نالت شهرة خاصة، ولا مجال هنا لذكرها، وترجمة كتاب كليلة ودمنة الذي أتمه أبو

(١) رضا زاده شفق: تاريخ أدبيات إيران، ص ٢٧ .

(٢) المصدر السابق، ص ٤٥ .

(٣) ابن المقفع: كليلة ودمنة، ص ٢٥ .

(٤) ترجمه كليله ودمنه، أبو المعالي نصر الله منشي، المقدمة.

(٥) عباس على عظيمي: شرح حال ابن المقفع، ص٣٠٤،٣١٢ .

المعالي نصر الله منشي تعتبر صورة طبق الأصل من التراجم العربية الموجودة فى إيران، ومن خلاله تُلقن دروسًا فى الأخلاق على ألسنة الحيوانات والطيور وكتبه المؤلف بشكل جذاب؛ وفضلاً عن الوقائع ظهر التأثير في القصص بسبب سلاسة اللغة وحلاوتها، وألف المليطوى كتاب "روضة العقول" على أسلوب كليلة ودمنة أي أنه: عبارة عن قصص تُحكى على ألسنة الوحوش والطيور "(١).

وكتب الجنيدى عن بداية كتابة الأقاصيص :

"يبدأ النثر فى كل لغة بكتابة الأسطورة، والأقاصيص والحكايات، وفي الأدب الفارسي أساطير لا حصر لها، ولكن هذه الأساطير إما أنها قصص على ألسنة الحيوانات مثل : "كليلة ودمنة"، أو "خمسة نظامي"، أو قصص لا يقبلها العقل بلا بداية ولا نهاية مثل: "إسكندر نامه،" و"رموز حمزة وحسين"(٢).

ولا يوافق الجنيدي على الرأي القائل إن قصص الحيوان أساس الأدب الذي يتناول موضوعات الحكمة، والموعظة - وخصوصًا- أن القصص المنظومة في الفارسية أو المثنويات لها مكانة عظيمة في الأدب العالمي، وقد تناول الشعراء والأدباء في الأدب الفارسي أسرار ورموز التصوف بشكل تمثيلي، وعلى رأس القائمة خواجه فريد الدين العطار المولود (٥١٣ هـ) والمتوفى ٦٢٧ هـ(٣).

وكان يعمل بالعطارة، والطب ويقال بشأن تركه الدنيا وميله إلى العزلة والتصوف:

"كان العطار في دكان عطارته، فجاءه ذات يوم فقير، وقال له عدة مرات : اعطنى شيئًا لله ، فلم يأبه بالفقير، فقال الفقير : أيها السيد: كيف تموت ؟ فقال العطار: كما ستموت أنت، فقال الفقير : أيمكنك أن تموت مثلى ؟ فقال العطار : نعم فوضع الفقير قدحه تحت رأسه وقال : الله، وأسلم الروح، فتغير حال العطار، وتخلص من متجره توًا، وجاء إلى هذا الطريق"(٤) .

وفي سنة ٦٢٧ هـ جرحه أحد المغول، ولم يستطع أن يتحمل جراحه؛ فتوفي عن عمر ناهز ١١٤ سنة(٥) وقد ألَّف العطار ١١٤ كتابًا، أهمها: "تذكرة الأولياء"، و"إخوان

(١) خواجه حميد يزدانى: پس پرد گ ؟ا، ص٥ .
(٢) محمد عظيم الحق جنيدى: مآثر عجم ، ص٢ .
(٣) سعيد أحمد : داستانين اور حيوانات، ص ٧٥ - ٧٦ .
(٤) فريد الدين العطار: منطق الطير، ص ٥ .
(٥) فريد الدين العطار: منطق الطير، ص ٧ .

الصفا"، و"أسرار نامه"، و"الهى نامه"، و"مصيبت نامه"، و"اشتر نامه"، و"جوهر الذات" ، و"وصيت نامه"، و"منطق الطير"، "بلبل نامه"[١]، و"جل وهرمز"، و"سياه نامه" و"ديوان غزليات"، ورباعيات، وكتاب "تذكرة الأولياء في أحوال الصوفية الكرام".

وقد تناول العطار مسائل التصوف في كتابه "منطق الطير" بطريقة سهلة سلسلة . وكتب حكيم مطيع الرحمن:

منطق الطير من روائع الشيخ العطار، وقد تناول العطار في ذلك الكتاب موضوعات التصوف بشكل تمثيلي، والمراد من السيمرغ[٢] البحث عن الذات، والهدهد فيها بمنزلة الرسول الذي يؤدي واجب الهداية للطيور في وادي السلوك، والمراد من الطيور سالكي طريق السلوك، وعند تناوله المسائل الدقيقة في حكايات تمثيلية مختلفة يثير الحيرة والتأثير[٣].

ويحتل "منطق الطير" مكانة مرموقة في الأدب الفارسي، وقد حصل العطار على مكانة عظيمة، وحظي بشهرة كبيرة بفضل هذا الكتاب.

ويبدأ العطار المنظومة بمناجاة الله عز وجل، ثم ينتقل إلى مدح الرسول - عليه السلام - ثم مدح الخلفاء الراشدين الأربعة، ثم كلمة في ذم التعصب بين السنة والشيعة، ثم أحاديث الرسول وبعض الصحابة، وكذلك الحديث عن الشفاعة وأنها للرسول وحده، وإلى هنا تنتهي المقدمة، وبعدها يبدأ العطار في سرد القصة التي جعلها في مقالات وصل عددها إلى ٤٥ مقالة، وخاتمة .

أما عن المقالات فتبدأ المقالة الأولى بعقد اجتماع كبير للطير للتشاور فيما بينهم للبحث عن ملك لهم يهديهم، ويرشدهم، وهنا يتقدم الهدهد في المقالة الثانية ليحدثهم عن السيمرغ، ويدعوهم لسلوك الطريق حتى يبدأ عدد كبير منهم بتقديم الأعذار، وقد خصَّص العطار المقالات من الثالثة حتى الثالثة عشرة؛ لسرد هذه الأعذار، وضعف حجج ضعاف العزيمة منهم، ثم ينتهي الاجتماع على اتفاق الطيور على ضرورة سلوك الطريق بعد أن سألوا الهدهد عن رسومه وآدابه، ولكن ما أن تبدأ الطير فى السلوك، وتحيط بهم أخطار الطريق حتى يتقاعس البعض عن مواصلة الرحلة، ويبدأ الكثيرون يسوقون الأعذار تلو الأعذار، كما هلك عدد كبير من الطيور إما لأنهم لم يحسنوا

(١) فريد الدين العطار: منطق الطير، ص ٢٠ .

(٢) السيمرغ طائر خرافي مثل العنقاء

(٣) مطيع الرحمن النقشبندي حكيم: حكايات فريد الدين عطار ، ص ٢٤ .

الاستعداد للطريق، وإما لأنهم كانوا غير صادقين فى سلوكهم، وشغل آخرون بمفاتن الطريق ومحاسنه. وهنا يتعرض العطار للحديث عن أودية[١] الطريق وهى: وادي الطلب، ووادي العشق، ووادي المعرفة، ووادي الاستغناء، ووادي التوحيد، ووادي الحيرة، ثم وادي الفقر، والغناء، وأخيرًا تصل الرحلة إلى نهايتها حيث وصل عدد قليل جدًا لا يتعدى الثلاثين طائرًا إلى الحضرة، وهنا تتبلور الفكرة الرئيسة للمنظومة، وهي فكرة وحدة الشهود بين السالك والحضرة الإلهية [٢].

وكتب غلام رسول مكران :

وضع العطار بكتابه "منطق الطير" حجر الأساس لكتابة القصة في الأدب الفارسي"[٣].

ويعتبر سنائى الغزنوي (المتوفى ١١٥٠م) أول من كتب قصة فارسية، ويتمثل ذلك في كتابه "حديقة الحديقة" يليه العطار؛ وهو حلقة الوصل بين سنائي ومولانا جلال الدين الرومي الذي أوصلها إلى قمة رقيها وازدهارها، وبدأ كتابه الشهير "المثنوي المعنوي" قائلاً ما معناه باللغة العربية :

مثنوي المولوي المعنوي: هو القرآن باللغة البهلوية، والرواد الثلاثة في الشعر الفارسي الصوفي هم : حكيم سنائي، ومولانا الرومي، والخواجه العطار، ومع أن المثنوي المعنوي أعلاهم شأنًا، لكن جلال الدين الرومي يعترف على الملأ، ويقول ما معناه بالعربية:

العطار هو الروح وسنائي عيناه، ونحن جئنا بعد سنائي والعطار، و ذاع صيت العطار في الدنيا كلها، ونحن في ركن من الحارة.

وكان مولانا جلال الدين الرومي (١٢٠٧ / ١٢٧٢م) مريد شمس تبريز، وبعد وفاة شمس تبريز اختار رفقة (صلاح الدين زركوب) وطبقت شهرة مثنوي مولانا الآفاق وأكمله مريده المقرب (حسن حسام الدين جلبي) في عشر سنوات .

وكتب عظيم الحق الجنيدي:

"تناول الرومي القضايا الصوفية والمسائل الحياتية بأسلوب جميل وشرح أدق المسائل عن طريق الحكايات، ونظرًا لقوة خيال مولانا جلال الدين الرومي يعتقد أنه

(١) يرمز بها العطار إلى المسالك عند الصوفية .

(٢) العطار : منطق الطير ، ص ٣٢، ٣٣ .

(٣) سعيد أحمد: داستانين اور حيوانات ، ص٧٨ .

جمع الحكايات من الحياة اليومية من أجل شرح المسائل الصوفية الأعلى من مستوى تفكير العامة ... ودروسه لها تأثير قوي على الذات، وقد أراد مولانا الرومي أن يبين أن الله هو الذي خلق الإنسان ، وشرَّفه من بين المخلوقات، واصطفاه خليفة له، وهو يعرف قوته ويجعله يشعر بها، وعندما يمنحه الجلوة يجعله يسخرها في خدمة الخلق، وفي العصر الحاضر حمل إقبال راية نظرية مولانا الرومي وأيدها "(١).

وقد تفرد كتاب المثنوى بنفاسة موضوعاته، فقد شرح مولانا الرومي فيه كل أنواع القضايا الإسلامية والأخلاقية، ولم يقترح على المرضى دواءً مستحيلاً، بل قدم وصفات سهلة بسيطة من أجل الإصلاح.

وقدم الرومي حكاية لشرح كل فكرة من أفكاره، ولا يمكن أن تحتل حكايات المثنوي مكانة أكثر من كونها مجرد حكاية تعرض بهدف تبسيط الفكرة ليسهل فهمها، ثم يستخلص منها النتائج التي هي روح المثنوي، ولا يوجد في الأدب الفارسي كتاب تصوف، ومواعظ أفضل من المثنوي، وقد نال القبول لقربه من الحياة اليومية، ومن قصص الحيوان التي وردت فيه قصة البقرة الحريصة:

"كان هناك بقرة وحيدة في جزيرة كبيرة ، وأنبت الله سبحانه وتعالى في تلك الجزيرة نباتات لتكون علفًا لها وبالليل تأكل تلك البقرة وتسمن، وعندما يحل الليل لا يأتيها النوم من الخوف، وتقول فى نفسها: ماذا آكل غدًا؟ حتى أنها أصبحت من التفكير نحيلة، وعندما تقوم فى الصباح، فترى كل الصحراء مملوءة بالخضرة، والعشب فتأكل وتسمن، وتقضى ليلها في الهم نفسه، وتمر سنوات على هذا النحو، ولكنها لا تثق في أن رزقها موجود؛ ولذلك على الإنسان أن يتذكر النعم التى حصل عليها، ولا يفكر فى المستقبل" (٢).

وقد حظي الشيخ مصلح الدين سعدي الشيرازي بمكانة مرموقة في الشعر والنثر الفارسي، ولم يكن سعدي الشيرازي فقط رسول الغزل الفارسي، والشاعر صاحب المكانة العالية؛ بل كان معلم الأخلاق، وصوفيًا، وعالمًا متبحرًا، ومصلحًا وصديقًا مخلصًا وإنسانًا نقي السريرة، ولم يظهر في إيران معلم أخلاق أفضل منه، وقد ألقى الضوء فى "البوستان" و"الجلستان" على كل جوانب الحياة، وقدم النصائح من أجل الوصول إلى النجاح في الحياة .

(١) جنيدي: مآثر عجم ، ص ١٤٧ .

(٢) جلال الدين الرومي: مثنوي معنوي ، ج٥ ، ص ٧٨٩ .

ونجد في "الجلستان" كثيرًا من قصص الحيوان مفعمة بالحكمة والموعظة، ويقال إنه لا يوجد كتاب نثر فارسي أفضل من "الجلستان" وعباراته سهلة ممتعة، وهو خزانة العلم والحكمة، ولقد جمع سعدي فيه بين الجدية والمزاح، ويقول أفسوس(١) :

"مع أن الشيخ سعدي كان دائمًا يخالط أهل الأدب والبلاغة؛ إلا أنه كان لا مثيل له في ذكر اللطائف والألغاز".

ومن قصص الحيوان التي وردت فيه:

"جعلوا ببغاء مع غراب فى قفص فكان من قبح مشاهدته في مجاهدة، وكان يقول: ما هذه الطلعة المكروهة، والهيئة الممقوتة، والمنظر الملعون والشمائل غير الموزونة يا غراب البين يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين، فبئس القرين.

والأعجب من ذلك أن الغراب أيضًا كان قد ضاق بمجاورة الببغاء ومل، وكان يئن محوقلاً من تقلب الدنيا ويضرب كفًا بكف، ويقول : ما هذا البخت المنكوس، والطالع الدون ، والأيام المتلونة كالحرباء.

كان يليق بقدري أن أمشي متبخترًا مع غراب على حائط بستان .

عجبًا ما عساني قد جنيت فصيرتني الأيام مبتلى بقيد البلاء في سلك صحبة أبله كهذا مغرور لئيم مهذار.

إنني آتي بهذا المثل؛ لتعرف أن وحشة الجاهل من العالم بقدر نفرة العالم من الجاهل مائة مرة "(٢).

ويوجد في الأدب الفارسي القديم أسلوب بيان القصص على ألسنة الطيور والحيوانات، وفي الأدب الفارسي الجديد شغلت حيزًا كبيرًا فى الأصناف والأنواع الأدبية الجديدة، فمثلاً حل الشعر الحر محل المثنوي والغزل، واتخذ الشعراء الجدد من الحيوانات وسيلة للتعبير، وتفسير الأحوال الاجتماعية والسياسية.

وفي سنة ١٩٧٠م في فترة الحكم البهلوي فرضت القيود على جمعية الأدباء، وتوقف نشاطها، ولحقت أضرار كثيرة بالشعراء والأدباء، وأشرفوا على الموت، وبسبب الضغط السياسي بدأ يضعف الأدب الثوري، وكثرت الرموز في الشعر والأدب، ولعل أفضل صورة لبيان الحالة الفكرية والعاطفية قصة "البومة العمياء" لصادق هدايت.

---

(١) مير شير على أفسوس: باغ اردو ، ص ٢٥٥ .

(٢) سعدي الشيرازي: كلستان، ص ١٣٤، ١٣٥ ، ص ٢٢٠، ٢٢١

ويعتبر (سبط حسن) صادق هدايت من أدباء إيران الجدد، ويعتبر "البومة العمياء" أفضل رواية فى العصر الحاضر[١] وتبدأ الرواية :

" الجروح فى الدنيا حتى أنها تصيب الروح بالوحدة مثل الصدفية وليس ممكنًا التعبير عن ذلك الألم؛ لأن الناس يتحملون متاعب لا يمكن تحملها، وحتى الآن لا يعرف الإنسان دواء لذلك الألم.

وبعدما يتجرع الناس الغم يحاولون أن يفرجوا عن أنفسهم إما باستعمال الأفيون أو المخدرات الأخرى التى لا تزيدهم إلا ألمًا ولا تبرئ لهم سقمًا"[٢] .

ولصادق هدايت قصة تحت عنوان (الكلب الشريد)[٣] مؤثرة جدًا، وفحواها :

دست الكلاب الجائعة للحب السم لصديقهم الكلب (بات) وضربته، ويختم القصة بتلك السطور :

ووقت المساء تضرب الغربان الثلاثة على رأس (بات)، ويشمون رائحته من بعيد ، ويرتجفون وهم يرونه ينزل على الأرض. وعندما يتأكد لهم أن روحه لم تخرج بطريقة كاملة يخافون ويضربون على رأسه، ويخرجون عيونه السوداء التى تشبه عيون الإنسان إلى حد يثير الدهشة"

وقد ساد الجبر والاستبداد في العصر البهلوي؛ لذا اعتمد الشعراء والأدباء أحيانًا على التمثيل الفكاهي، وأحيانًا اختاروا أسلوب الرمز والكناية، ودعوا الناس إلى التفكير في أمورهم المعيشية.

وفي ذلك ذكر سبط حسن قصة جذابة لصادق شويك:

"وقف الملك (رضا شاه بهلوي) في مقصورة قصره، ونظر إلى الخارج من بعيد، وفجأة وقع نظره على تمثاله الذي نصب في ميدان المدينة، والتفت مئات من الغربان حوله، وغطوا وجهه، وعبثوا بتاجه فاستشاط غضبًا وأمر بقتل كل غربان المدينة أو القبض عليهم، وعندما وصل خبر ما أمر به الملك للغربان ارتدوا السواد وفروا من المملكة [٤].

(١) صادق هدايت: بوف كور، ص٣ .
(٢) سبط حسن: انقلاب ،ص ٥٩ .
(٣) صادق هدايت: سگ ولگرد.
(٤) سبط حسن: انقلاب، ص٦٠ .

ادب الهند

كتب العالم الهندي الجليل الدكتور كيان جاند:

"تُرى حكايات الحيوان بوضوح في حضارة مصر؛ لأن المصريين القدامى كان لديهم شعور داخلى يمنعهم من إيذاء الحيوانات، وكانوا يعبدونها أيضًا، وانتقلت هذه الحكايات من مصر إلى غرب آسيا وبابل، وقد اشتهرت تلك الحكايات باسم "إيسوب". وتعرف حكايات إيسوب في الأردية بحكايات لقمان، وهذه الحكايات انتقلت من المناطق المختلفة إلى الهند واليونان"(١) .

وذكر الدكتور كيان جاند فى موضع آخر:

" هناك فرق بين الحكايات اليونانية والهندية ففي الحكايات اليونانية يؤدي شخصية الحيوان حيوان بينما في الحكايات الهندية يؤدي الإنسان دور الحيوان؛ لأنه في عقيدة الهندوس يدخل الإنسان في بعض الأوقات في جسد الحيوانات؛ ولذلك كانت تتصف الحيوانات في قصصهم بالفهم والحكمة، والبطل في كل الأوقات يسلك سلوكًا حسنًا مع الحيوان وبشكل خاص تكون الببغاء صاحبة الضمير الحي مرشدًا لكل أنواع الحيوانات، وغربان حكايات إيسوب وابن آوى حيوانات عادية وفى بنج تنترا أي: كليلة ودمنة، الأسد ملك قوي له البلاط والنفوذ كالمعتاد، والنسر الأمير الملم بالسياسة، ويرشد الحيوانات بطريقة هندية خالصة "(٢).

وذكر الدكتور كيان جاند أيضًا:

"أسلوب قصص الحيوان في الهند قديم، وأبنشد (٨٠٠ ق.م) هي حكاية ملخصها أنه اجتمع الكلاب واختاروا قائدًا يلتفون تحت قيادته، وثاروا من أجل طلب الطعام، واعتبر كيان شاند أن (جاتك) أي (كتاب بوذا) أكبر مخزن لقصص الحيوان في تاريخ الأدب بعد المهابهاراتا. ويوجد في (جاتك) قصص بنج تنترا الأساسية، وبعد اختفاء بنج تنترا تفرقت قصص الحيوانات في قصص (برهت كتها منجرى) و(كتها سرت ساجر) التي عثر عليها في كشمير، وترجع إلى سنة ٢٠٠ ق.م و(هتوبديش) التي دونت في القرن العاشر الميلادي، وتوجد في المهابهاراتا وحكايات إيسوب، وبنج تنترا حكايات كثيرة مشتركة، ويعتبر كتاب بنج تنترا المعروف بكليلة ودمنه من بين كتب الأساطير التي حظيت بقبول الجميع، وطبقت شهرتها الآفاق"(٣) .

---

(١) سعيد أحمد: داستانين اور حيوانات، ص ٨٩ ، ٩٠ .
(٢) سعيد أحمد: داستانين اور حيوانات ، ص٩٠ ، ٩١ .
(٣) سعيد أحمد: داستانين اور حيوانات ، ص٩٠ ، ٩١ .

وكتب (أحمد عقيل روبي) في بداية مسرحية (جنكل كتها) مصرع بيت شعر لشاعر مجهول في زمان بنج تنترا، ومعناه بالعربية: لو لم تكن قصص الطيور والحيوانات لَمَا خرج أي كلم صادق من فم أحد، وذلك المصرع الذي كتبه أحمد عقيل روبي في بداية مسرحيته يعتبر مفتاحًا لفهمها(١).

ويرى العالم الألمانى هرتل أن استعمال قصص الحيوان لتعليم السياسات هو أسلوب الهند؛ لذلك يتعين القول إن الهند مصدر الحكايات السياسية (٢).

وفضلاً عن بنج تنترا والمهابهاراتا تعتبر الأساطير مخزنًا مملوءًا بقصص الحيوان ، ويرى العالم (كوبى جند نارنك) أن حكايات الشياطين، وقصص (سورماؤن) هي أقدم مجموعات أساطير الهند القديمة، وتعتبر أساطير الهند القديمة خير وسيلة للتعبير عن المزاج الهندي، وطريقة تفكيره، وتلخيصًا للعقائد والنظريات الدينية (٣).

"وورد في الأساطير القديمة أن الإله فشنو يظهر في الدنيا في مختلف الأوقات والعصور في شكل الحيوانات، أو الإنسان، ويطلقون على ذلك تجسدات الإله، ومن المعروف أنه ظهر في عشرة تجسدات، وذلك طبقًا لعلم الأصنام الهندوسي الذي يؤمن أن الإله يحل ويتجسد في هيئة أرضية تكون إنسانية، أو حيوانية"(٤).

---

(١) روبى أحمد عقيل: جنكل كتها ، ص ١٥

(٢) سفيد أحمد: داستانين اور حيوانات، ص ٩١

(٣) كوبى چند نارنگ: پرانو کی کهانیان ، ص ١٣ .

(٤) عثمان الخشت: مقارنة الأديان الفيدية والبراهمانية والهندوسية، ص ١٧٦ .

المصادر والمراجع

أولاً - المصادر والمراجع العربية:

١- ابن النديم ، الفهرست ، تحقيق: رضا تجدد بن زين العابدين المازندرانى، بيروت، ١٩٨٨م .

٢- إخوان الصفا، تحقيق: بطرس البستانى، بيروت، دار صادر، ١٩٧٨م.

٣- محمد عثمان الخشت (د) ، مقارنة الأديان الفيدية والبراهمانية والهندوسية، ١٩٩٦ م.

٤- المسعودى، مروج الذهب، تحقيق: محمد محي الدين بن عبد الحميد، ج ١، بيروت، ١٩٨٧م.

٥- الخطيب التبريزى، شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزى، قدم ووضع هوامشه وفهارسه، مجيد طراد، بيروت، دار الكتاب العربى، د.ت .

٦- ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج ١ ، بيروت ، ١٩٧٧م

٧- الموسوعة العالمية للشعر العربي، من قصص الأصمعي، شبكة المعلومات الدولية COPY RIGht@2005.ADAB

ثانيًا - المصادر والمراجع الأردية:

١- أفسوس ، شير على ، مير : باغ اردو ، مجلس ترقى ادب ، لاهور ، ١٩٦٣م.

٢- حميد يزدانى، پس پرد گ ؟ا، لاهور، سنگ ميل پبلى كيشنز ، ١٩٩٢م .

٣- روبى أحمد عقيل، جنكل كتها ، الرزاق بيلى كيشنز ، لاهور ، ١٩٩٨م .

٤- سبط حسن ، انقلاب ، كراتشى، مكتبة دانيال، ١٩٨٨م .

٥- سعيد احمد، داستانين اور حيوانات، باكستان، مقتدره قومى زبان، ٢٠١٢ هـ

٦- كوبى چند نارنگ ، پرانو كى كهانيان ، فكشن هاوس ، لاهور ، ٢٠٠١م .

٧- محمد عظيم الحق جنيدي، مآثر عجم ، لاهور، مكتبة مانوس ، ١٩٩٤م

٨- مطيع الرحمن النقشبندي حكيم ، حكايات فريد الدين عطار ، ضيا القرآن ، بيلي كيشنز ، لاهور، ٢٠٠١م .

ثالثاً - المصادر الفارسية:

١- ابن المقفع، كليله ودمنه، ترجمة: أبو المعالي نصر الله منشي، تحقيق: مجتبي مينوي طهراني، تهران، ١٩٦٣م.

٢- جلال الدين الرومي، المثنوي المعنوي، ج٥ ، تهران، ١٩٩٥ م

٣- رضا زاده شفق، تاريخ أدبيات إيران، طهران، ١٩٤١م

٤- صادق هدايت، بوف كور، تهران، ١٩٧٢م، متن كامل، باهتمام: حسين خنجى، نشر الكترونيك وبكاه ايران www iran tarikh

٥ - صادق هدايت، سگ ولكرد، انتشار نسخة الكترونيك، سايت سخن skhon.com

رابعاً - المصادر المترجمة عن الفارسية:

-كلستان، ترجمة: د. أمين عبد المجيد بدوي، قصر النيل، مصر، ١٩٨٣م

إتلاف المؤلفين كتبهم في التراث العربي

د. مجدي عبدالجواد الجاسم(*)

أولاً- المقدمة المنهجية

١ - مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في قيام بعض المؤلفين في التراث العربي على مدار العديد من القرون بإتلاف مؤلفاتهم بأنفسهم، أو بوصية منهم، وغير معروف يقيناً حجم هذه الظاهرة، ولا هوية المؤلفين الذين قاموا بذلك.

٢ - أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في إعطاء صورة حقيقية - أو أقرب للحقيقة - لظاهرة إتلاف المؤلفين لكتبهم، وإيضاح معالم وملابسات ومبررات تلك الظاهرة.

٣ - أهداف الدراسة

الهدف الأساس لهذه الدراسة هو إيضاح حجم ظاهرة إتلاف المؤلفين لمؤلفاتهم، وحصر المؤلفين الذين أتلفوا أو أوصوا بذلك، ومعرفة هوياتهم، وتحديد مبررات وطرق إتلافهم.

٤ - تساؤلات الدراسة

تسعى هذه الدراسة للإجابة على سؤال عام، هو: من الذين أتلفوا مؤلفاتهم بدافع من أنفسهم؟ كم عددهم؟ وما هوياتهم ومبرراتهم؟ وما الطريقة التي استخدموها في الإتلاف؟

يستلزم للإجابة على هذا السؤال الإجابة على عدة تساؤلات، هي:

١ - متى بدأت هذه الظاهرة؟ وفي أي الفترات الزمنية بلغت ذروتها؟ ومتى تلاشت واختفت؟

٢ - ما المبررات التي كانت دافعًا لإتلاف المؤلفين لمؤلفاتهم؟

٣ - ما الطرق التي استخدمها المؤلفون في الإتلاف؟

٤ - ما التخصصات العلمية للمؤلفين الذين أتلفوا مؤلفاتهم؟

(*) مدرس بقسم المكتبات والمعلومات - كلية الآداب - جامعة بنها.

٥ – ما بلدان أو جنسيات المؤلفين الذين أتلفوا مؤلفاتهم؟

٦ – هل كان للمؤلفين الذين أتلفوا مؤلفاتهم نفس القدر والشأن، أم أنهم اختلفوا في قدرهم وشأنهم؟

٧ – هل توقفت الحياة العلمية للمؤلف بعد إتلافه مؤلفاته، أم عاد لها مرة أخرى؟

٥ – حدود الدراسة

يقتصر هذا البحث على دراسة حالات إتلاف المؤلفين لمؤلفاتهم وكتبهم في التراث العربي بدافع من أنفسهم، منذ القرن الأول الهجري وحتى القرن الخامس عشر الهجري، سواء فعلوا ذلك بأنفسهم أو أوصوا بذلك، ومن ثم لن تتعرض الدراسة لحالات إتلاف السلطة للكتب، سواء تمثلت هذه السلطة في الحاكم أو المجتمع أو العادات والتقاليد، أو بسبب الاضطهاد المذهبي، أو بسبب الفتن الداخلية أو الحروب الخارجية، أو نتجت عن الحوادث والكوارث والعوامل الطبيعية والإهمال وغيرها، كما أنها لن تتعرض لإتلاف المؤلفين لكتب غيرهم.

٦ – مجتمع الدراسة

وفقًا لحدود الدراسة أمكن حصر ست وستين حالة لإتلاف المؤلفين لكتبهم، موزعة على مدى أربعة عشر قرنًا، بدءًا من القرن الأول الهجري وحتى القرن الرابع عشر الهجري، موزعة على سبع دول، وثمانية تخصصات علمية، رتبتهم وفقًا لتاريخ وفاتهم، وهم: مسروق بن الأجدع (ت٦٣هـ)، وعبيدة بن عمرو السلماني (ت٧٢هـ)، وعروة ابن الزبير (ت٩٤هـ)، وأبو قلابة الجرمي (ت١٠٤هـ)، وطاووس بن كيسان (ت١٠٦هـ)، والحسن البصري (ت١١٠هـ)، ومحمد بن سيرين (ت١١٠هـ)، وابن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ)، وخالد الحذاء (ت١٤٢هـ)، وهشام بن حسان (ت١٤٧هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، ومحمد بن عبيد الله العرزمي (ت١٥٥هـ)، وشعبة بن الحجاج (ت١٦٠هـ)، وسفيان الثوري (ت١٦١هـ)، وداود بن نصير الطائي (ت١٦٢هـ)، وعاصم بن ضمرة (ت١٧٤هـ)، وعبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ)، وضيغم بن مالك (ت١٨١هـ)، وهشيم بن بشير (ت١٨٣هـ)، ومحمد بن يوسف بن معادن (ت١٨٤هـ)، ومطلب بن زياد الكوفي (ت١٨٥هـ)، وعيسى بن يونس السبيعي (ت١٨٨هـ)، وعلي بن مسهر (ت١٨٩هـ)، وعطاء بن مسلم الخفاف (ت١٩٠هـ)، ويوسف بن أسباط (ت١٩٥هـ)، وعبد العزيز بن عمران (ت١٩٧هـ)، والحسن بن رودبار (ت٢٠١هـ)، وحماد بن أسامة (ت٢٠١هـ)، ومحمد ابن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، ومؤمل بن إسماعيل (ت٢٠٦هـ)، وأبو صالح محمد بن

المهذب (ت٢١١هـ)، وأبو سليمان الداراني (ت٢١٥هـ)، وسلم بن ميمون الخواص (ت٢٢٠هـ)، ويحيى بن يحيى (ت٢٢٦هـ)، وبشر بن الحارث (ت٢٢٧هـ)، وزيد بن المبارك الصنعاني (ت٢٣٠هـ)، وإسحاق بن راهوية (ت٢٣٧هـ)، ومجاهد بن موسى (ت٢٤٤هـ)، وأحمد بن أبي الحواري (ت٢٤٦هـ)، وأبو كريب الهمداني (ت٢٤٨هـ)، ومحمد بن يحيى الذهلي (ت٢٥٨هـ)، وأحمد بن الطيب (ت٢٨٦هـ)، وموسى بن هرون (ت٢٩٤هـ)، وعبد الله بن محمد المقدسي (ت٣١٢هـ)، وأبو بكر الشبلي (ت٣٣٤هـ)، ومحمد بن عمر الجعابي (ت٣٥٥هـ)، وأحمد بن محمد الخلال (ت٣٦٠هـ) وأبو سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ)، وعبد الرحمن بن سلمة الجمحي (ت٣٦٨هـ)، وأبو حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ)، وعلي بن عيسى الربعي (ت٤٢٠هـ)، وعلي بن طلحة بن كردان (ت٤٢٤هـ)، وعلي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ)، وأبو سعيد بن أبي الخير (ت٤٦٧هـ)، ومحمد بن علي بن المطلب (ت٤٧٨هـ)، وأبو غالب الذهلي (ت٥٠٧هـ)، وأبو إسحاق الغزي (ت٥٢٤هـ)، وأبو طالب الكرخي (ت٥٨٥هـ)، وشميم الحلي (ت٦٠١هـ)، ومحيي الدين أبو زكريا النووي (ت٦٧٦هـ)، وصدر الدين بن الوكيل (ت٧١٦هـ)، أحمد بن يحيى بن أبي حجلة (ت٧٧٦هـ)، وإبراهيم بن أحمد بن الغرس (ت٨٨٨هـ)، وعبد الله الإلهي (ت٨٩٦هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، ومحمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ).

٧ - منهج الدراسة

استخدمت الدراسة المنهج التاريخي لتحديد ظاهرة إتلاف المؤلفين لكتبهم، ومعرفة نشأتها، والكشف عن أسبابها ومبرراتها، وجمع المعلومات حولها وتحليلها للإجابة على تساؤلات الدراسة، وتحقيق أهدافها.

٨ - إجراءات الدراسة

مرّت الدراسة بالمراحل التالية لإنجازها بفضل الله تعالى:

١ - حصر وقائع الإتلاف التي تقع ضمن حدود الدراسة من مصادرها الأصلية، ككتب التراجم، والتاريخ، والسير، وغيرها.

٢ - تحقيق اسم وتاريخ وفاة من أتلف كتبه، كي لا يختلط بغيره.

٣ - الحصول على أكثر من ترجمة من أكثر من مصدر لهذا المؤلف، وتجميعها في كيان واحد، للوصول لترجمة متكاملة عن هذا المؤلف، لرسم صورة أكثر وضوحًا لملامح شخصيته، وحياته العلمية، وأقواله، وأقوال غيره عنه.

٤ - قراءة تحليلية للتراجم التي أعدَّها الباحث عن كل مؤلف، للإجابة على تساؤلات الدراسة.

٩ - الدراسات السابقة

من خلال البحث في أدلة الإنتاج الفكري المختلفة، وسؤال أهل التخصص لم يصل الباحث لدراسة أكاديمية مستقلة عن موضوع الدراسة، وهذا لا يعني عدم وجود كتابات حول هذا الموضوع، فقد كانت البداية لتناول هذا الموضوع عبارة عن فكرة متضمنة في كتب "تاريخ الكتب والمكتبات"، كما في كتاب "لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات"[(١)] للأستاذ الدكتور عبد الستار الحلوجي، إذ عرض سيادته لهذا الموضوع في الفصل الخاص بتاريخ الكتب والمكتبات عند المسلمين، فذكر بداية التدوين وازدهار حركة التأليف عند المسلمين، وكثرة المؤلفات، والشغف بالقراءة، والإنفاق على الكتب بسخاء. ثم عرض متعجبًا لظاهرة إتلاف بعض المؤلفين المسلمين لكتبهم، قائلاً: "ولكن الشيء الغريب حقًا إلى جانب هذا الاهتمام الشديد بالكتب ظاهرة إقبال بعض المؤلفين وجامعي الكتب على إحراق كتبهم بالنار أو غسلها بالماء أو دفنها في باطن الأرض"[(٢)] ثم ذكر ثماني حالات للإتلاف، أعقبها بذكر ثلاثة مبررات لذلك.

كما تعرض الأستاذ الدكتور شعبان خليفة[(٣)] لهذا الموضوع في كتابه "الكتب والمكتبات في العصور الوسطى: الشرق المسلم والشرق الأقصى" عند حديثه عن مصائر الكتب الإسلامية ضمن الفصل العاشر، تحت فكرة "دفن وغسل وحرق الكتب"، قائلا: "انتشر بين العلماء المسلمين - وغيرهم أحيانًا - عادات في غاية الغرابة وسلوكيات غير مفهومة في التعامل مع الكتب؛ وهي سلوكيات الإقدام على حرق ودفن وغسل الكتب"[(٤)]، وذكر عشر حالات لإتلاف المؤلفين لكتبهم، سبقها بذكر ثلاثة مبررات لذلك.

كذلك تناول الأستاذ الدكتور يحيى وهيب الجبوري[(٥)] - الأستاذ بجامعة آل البيت الأردنية - في كتابه "الكتاب في الحضارة الإسلامية" بعض حالات إتلاف المؤلفين

(١) عبد الستار عبد الحق الحلوجي: لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٧ ، الصفحة ؟

(٢) المرجع السابق. ص٤٢ ، الصفحة؟

(٣) شعبان عبد العزيز خليفة: الكتب والمكتبات في العصور الوسطى: الشرق المسلم والشرق الأقصى. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧ ، الصفحة؟

(٤) المرجع السابق، ص٢٥٢ .

(٥) يحيى وهيب الجبوري: الكتاب في الحضارة الإسلامية. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨ ، الصفحة؟

لكتبهم، بدأها بذكر إتلاف عروة بن الزبير لكتبه، قائلاً: "وأما بالنسبة للكتب العربية فأقدم ما وصل إلينا من حرق الكتب كتب عروة بن الزبير"[١]، وأخذ يعدد حالات الإتلاف حتى أوصلها إلى سبع عشرة حالة، في الفصل السابع تحت عنوان: "آفات الكتب".

ومع بداية الألفية الثالثة بدأت الكتابات المستقلة حول هذا الموضوع - فيما أعلم - إذ جمع أحمد الباتلي[٢] - الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض - أربعاً وخمسين واقعة لإتلاف الكتب، منها اثنتان وثلاثون واقعة لإتلاف المؤلفين لكتبهم، في كتاب بعنوان: "علماء احترقت كتبهم أو دفنت أو غرقت أو محيت: لطائف وأخبار"، ولم يزد المؤلف على ذكر وقائع الإتلاف مختصرة، ولم يتعرض لها بالدراسة والتحليل، وإنما اكتفى بذكر أسباب إحراق العلماء لكتبهم في صفحة واحدة في أول كتابه.

وكتبت فوزية الجلال[٣] مقالاً من صفحة واحدة بعنوان "الكتب وفكر الإبادة" عرّجت فيه على إعدام هولاكو لمكتبات بغداد والشام، وحريق مكتبة الإسكندرية في القرن الأول الهجري، وتدمير الصليبيين لمكتبات بلاد الشام، ولم تتعرض فيه لتدمير المؤلفين لكتبهم.

وألّف ناصر الحزيمي[٤] كتاباً بعنوان "حرق الكتب في التراث العربي: مسرد تاريخي"، وهو يشكل سجلاً لكثير من عمليات إتلاف الكتب في التاريخ العربي، وقد اقتصر المؤلف في كتابه على نوعين للإتلاف، أولهما "إتلاف السلطة للكتاب، وثانيها "الإتلاف الشخصي للكتب"، وأكبر فصول الكتاب الفصل الذي حمل عنوان: "العلماء الذين اتلفوا كتبهم"، حيث ذكر سبعًا وثلاثين حالة إتلاف، وأورد أربع طرق لإتلاف الكتب، وهي الحرق، والدفن، والغسل، والتقطيع، وأرجع مبررات ذلك لثلاثة مبررات: علمية أو اعتقادية أو نفسية.

كما ظهرت كتابات اقتصرت على بعض المؤلفين الذين أتلفوا كتبهم، منها: دراسة الأستاذ عدنان الشمري[٥] بعنوان: "لماذا أحرق أبو حيان التوحيدي كتبه"، تناول فيها

---

(١) الكتاب في الحضارة الإسلامية، ص٢٩٩ .

(٢) أحمد بن عبد الله الباتلي. علماء احترقت كتبهم أو دفنت أو غرقت أو محيت: لطائف وأخبار. ـ الرياض: دار طريق، ٢٠٠٢ .

(٣) فوزية محمد الجلال: الكتب وفكر الإبادة. أحوال المعرفة. س ٨، ع ٣٠ (سبتمبر ٢٠٠٣). ص ٥٢ .

(٤) ناصر الحزيمي: حرق الكتب في التراث العرب: مسرد تاريخي. كلونيا (المانيا): منشورات دار الجمل، ٢٠٠٣ .

(٥) عدنان الشمري: لماذا أحرق أبو حيان التوحيدي كتبه. الفيصل. - ع ٣٤٨ (يوليو/ أغسطس ٢٠٠٥). - ص٣٠ .

حادثة إحراق أبي حيان التوحيدي لكتبه، موضحًا الأسباب التي دفعته لذلك.

وأول دراسة أكاديمية تناولت هذا الموضوع كانت رسالة ماجستير بعنوان: "مصائر الكتب الإسلامية: دراسة في عوامل اختفاء الكتاب الإسلامي في الفترة من القرن الثالث الهجري وحتى القرن الثالث عشر الهجري"(١) ذكرت وسام الزغبي اثنين وعشرين مؤلفًا أتلفوا كتبهم، قسَّمتهم وفق مبررات خمسة، هي: الندم على الانشغال بها عن عبادة الله، والخوف من أن تضل الكتب أصحابها، والخوف أن توضع الكتب في غير مواضعها، والضن بها على من لا يستحقها، ولنقص فيها أو لعارض بدا له. ويُلاحظ على هذه الدراسة أنها مختصرة، كما أنها اقتصرت على الفترة الزمنية من القرن الثالث حتى القرن الثالث عشر الهجري، في حين أن حالات الإتلاف في الفترة التي لم تغطها الحدود الزمنية للدراسة أكثر من حالات الإتلاف التي تقع ضمن حدودها، كما أنها لم تتناول بالدراسة طرق وبلدان والتخصصات العلمية لمن أتلف كتبه، ولم تتعرض أيضًا لمدى رجوع المؤلفين لحياتهم العلمية بعد الإتلاف.

مما سبق يتضح أن دراسة الباتلي مختصرة ومقتصرة على ذكر وقائع الإتلاف فقط، وأن دراسة فوزية الجلال لم تتعرض لذكر إتلاف المؤلفين لكتبهم، ودراسة الحزيمي عبارة عن سرد تاريخي لحالات إتلاف المؤلفين لكتبهم، كما أن عدد الحالات التي ذكرها لم تصل إلى نصف عدد الحالات التي حدثت، ومن ثم فهي مختصرة مقتصرة على السرد، وأما دراسة وسام الزغبي فهي الدراسة الأكاديمية الوحيدة التي تعرضت لدراسة إتلاف المؤلفين لكتبهم، إلا أنها لم تغط كامل الحدود الزمنية للظاهرة، كما أنها أتت مختصرة، ولم تتعرض لهويات من أتلف، كل ذلك كان مبررًا لإجراء الباحث للدراسة حول هذا الموضوع.

١٠ - مكونات الدراسة

تكونت الدراسة من عشرة عناصر رئيسة، هي: أولاً - المقدمة المنهجية، ثانيًا- المؤشرات الزمنية لظاهرة إتلاف المؤلفين المسلمين لكتبهم، ثالثًا- مبررات الإتلاف، رابعًا- طرق الإتلاف، خامسًا- التخصصات العلمية لمن أتلف كتبه، سادسًا- بلدان

(١) وسام منير عبد الرحمن الزغبي: مصائر الكتب الإسلامية: دراسة في عوامل اختفاء الكتاب الإسلامي في الفترة من القرن الثالث الهجري وحتى القرن الثالث عشر الهجري. إشراف: شعبان عبد العزيز خليفة، محمود عباس حمودة. رسالة ماجستير في تخصص الآداب قسم المكتبات. ـ جامعة الأزهر. كلية الدراسات الإنسانية. قسم الوثائق والمكتبات. شعبة المكتبات ٢٠٠٧. رسالة مجازة غير منشورة.

المؤلفين الذين أتلفوا مؤلفاتهم، سابعًا- قدر وشأن من أتلف كتبه، ثامنًا- مدى توقف الحياة العلمية للمؤلفين الذي أتلفوا، تاسعًا- نتائج الدراسة، عاشرًا- دراسات مقترحة، وأخيرًا- قائمة المصادر والمراجع.

ثانيًا- المؤشرات الزمنية لظاهرة إتلاف المؤلفين لكتبهم

"لم تُعنَ أمة من الأمم بالكتاب عناية العرب والمسلمين به، فقد أحبوا الكتاب وافتخروا بتأليفه واقتنائه وصونه"[١]، وقد بدأ اهتمام المسلمين بالكتاب مبكرًا؛ إذ "بدأت التآليف العربية تخرج إلى حيز الوجود قبل أن ينتصف القرن الأول الهجري،... ولا نكاد نصل إلى أوائل القرن الثاني حتى نجد الكتب قد كثرت وشاعت بين الناس،... ولقد شهد هذا القرن بداية حركة التدوين، التي تمثلت في جمع الحديث النبوي، ومن بعده المغازي والسير على أساس أنها تخدم النص القرآني وتساعد على فهمه وتقريبه إلى الأذهان، ثم تتابع التأليف في مختلف فروع المعرفة، ولم يلبث العرب أن أحسوا بالحاجة إلى تدوين تراثهم وتاريخهم، فظهرت كتب اللغة والشعر والتاريخ،... وبظهور حلقات الدرس ومجالس الإملاء في القرن الثاني بدأ التأليف يتجاوز حدوده القديمة، وأصبح العالم لا يلتزم بموضوع محدد، وإنما يتعرض لأكثر من موضوع ويتناول أكثر من فن من فنون المعرفة،... وقد ظل الإملاء هو الطريقة الشائعة في التأليف طوال القرنين: الثالث، والرابع الهجريين،... وخلال هذين القرنين ازدهت حركة التأليف ازدهارًا رائعًا،... ولم تكن كثرة الكتب وحدها هي التي تلفت النظر في هذا العصر،... ولكن الشيء الذي يسترعي الانتباه حقًا أن كثيرًا من هذه المصنفات كان يقع في مجلدات ضخمة،... والشيء الغريب حقًا أن توجد إلى جانب هذا الاهتمام الشديد بالكتب ظاهرة إقبال بعض المؤلفين على إحراق كتبهم بالنار، أو غسلها بالماء، أو دفنها في باطن الأرض"[٢]؛ فعلى مدار أربعة عشر قرنًا أتلف ستة وستون مؤلفاً مؤلفاتهم أو بعضها[٣].

ففي القرن الأول الهجري ظهرت ثلاث حالات، بما يساوي ٤,٥٪ من حالات الإتلاف محل الدراسة، وتضاعف هذا العدد ثمانية أضعاف في القرن الثاني الهجري، فبلغ ثلاثة وعشرين حالة، بما يساوي ٣٥٪ من حالات الإتلاف، ثم تراجع مؤشر الإتلاف قليلاً في القرن الثالث الهجري، فظهرت سبع عشرة حالة، بما يساوي ٢٧٪ من حالات

(١) يحيى وهيب الجبوري: الكتاب في الحضارة الإسلامية. ص٥ .

(٢) عبد الستار عبد الحق الحلوجي: لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات، ص ٣٤-٤٢ .

(٣) تم ذكر أسماء من أتلف وتاريخ وفاته تفصيلاً في "مجتمع الدراسة".

الإتلاف، وأخذ مؤشر الإتلاف في التراجع؛ إذ سُجلت ست حالات إتلاف في القرن الرابع الهجري، وست حالات أخرى في القرن الخامس الهجري بما يساوي ٩٪ من حالات الإتلاف في كل منهما، ثم تراجع معدل الإتلاف أكثر في القرن السادس الهجري، فسُجلت ثلاث حالات فقط، بما يساوي ٤,٥٪ من حالات الإتلاف، وتراجع معدل الإتلاف أكثر وأكثر، واستقر على نسبة ٣٪ من حالات الإتلاف، إذ تم رصد حالتي إتلاف في القرن السابع الهجري، ومثله في القرن الثامن والقرن التاسع الهجري، أما في القرن العاشر الهجري فلم يسجل سوى حالة واحدة، بما يساوي ١,٥٪ من حالات الإتلاف، وكادت الظاهرة أن تختفي نهائياً؛ إذ اختفت تماماً في القرن الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، إلا أنها عاودت الظهور من جديد في القرن الرابع عشر الهجري، فظهرت حالة إتلاف واحدة فيه، ولم تظهر أيُ حالة إتلاف في القرن الخامس عشر(١).

مما سبق يتبين أن أعلى معدل لظاهرة الإتلاف كان في القرن الثاني الهجري بنسبة ٣٥٪، تلاه القرن الثالث بنسبة ٢٧٪؛ إذ سُجِلَت في هذين القرنين وحدهما أربعون حالة إتلاف من بين ست وستين حالة، أي بنسبة ٦١٪ من حالات الإتلاف، ويفسر ذلك كون القرنين: الثاني، والثالث الهجريين فترة التدوين الذهبية في علم الحديث خاصة، الذي وجدت فيه معظم حالات الإتلاف.

وكما ارتبطت هذه الظاهرة بزيادة المؤلفين، وزيادة المؤلفات، كذلك ارتبطت برغبة المؤلفين الاعتماد على حفظهم وعدم الاتكال على الكتاب، والرغبة في التفرغ للعمل بدلاً من التأليف.

وقد بدأت هذه الظاهرة تختفي منذ القرن الحادي عشر الهجري، بعدما تيقن المؤلفون أن مصلحة وجود مؤلفاتهم تغلب على مفسدة تركها بعد مماتهم، وكذلك بسبب التأثير الإيجابي لمؤلفات وأقوال بعض المؤلفين العظام، أمثال الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، ومن بعده أبو الفرج بن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، وغيرهما ممن استنكر بقوة إتلاف المؤلف لمؤلفاته؛ فقد قال الإمام أحمد: "لا أعلم لدفن الكتب معنى"(٢)، كما "روى المروزي عن أحمد بن حنبل أنه سئل عن رجل أوصى أن تدفن كتبه، فقال: ما يعجبني أن يدفن العلم"(٣)، وقال ابن الجوزي: "وفي الناس من غلب عليه قصر الأمل وذكر الآخرة

(١) أي حتى سنة ١٤٣٣هـ تاريخ انتهاء هذه الدراسة.

(٢) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت: تقييد العلم، ج١، ص٦٣.

(٣) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: تلبيس إبليس، ج ١، ص ٢٩٠.

حتى دفن كتب العلم، وهذا الفعل عندي من أعظم الخطأ، وإن كان منقولاً عن جماعه من الكبار"(١)، واعتبر ذلك من تلبس إبليس(٢) .

وبهذا يتضح أن ظاهرة الإتلاف بدأت ضعيفة في القرن الأول الهجري، ثم وصلت إلى ذروتها في القرن الثاني والثالث، ثم أخذت في الضعف والتلاشي منذ القرن السابع الهجري، حتى اختفت تمامًا في القرون: الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر الهجري.

وفيما يلي دراسة لهذه الظاهرة من حيث مبررات الإتلاف، وطرق الإتلاف، والتخصصات العلمية لمن أتلف، وبلدانهم، وقدرهم وشأنهم، ومدى توقف حياتهم العلمية بعد الإتلاف.

ثالثًا: مبررات الإتلاف

لقد تعددت مبررات إتلاف المؤلفين لمؤلفاتهم في التراث العربي؛ وأول هذه المبررات وأكثرها: الرغبة في التفرغ للعبادة، وكان ذلك بنسبة ٢٧٪. ثاني هذه المبررات: الرجوع عما فيها؛ إما لخطأ علمي، أو ندم عما كتبوه، أو لعدم رضاهم عنها، وكانت نسبتهم ٢٠٪. ثالثها: خوفهم من تحريفها بعد موتهم، ونسبة هؤلاء ١٨٪. رابعها: خوف الاتكال على الكتاب وإهمال الحفظ، ونسبتهم ١٢٪. خامسها: ضنهم بها على غيرهم، ونسبتهم ٩٪، سادسها: اتهام المؤلف نفسه بعدم الإخلاص في تأليفها، وكانت نسبة هؤلاء ٦٪. سابعها: الرغبة في عدم اتخاذ كتاب مع كتاب الله تعالى، بنسبة ١,٥٪. ثامنها: الإصابة بمرض الاكتئاب، بنسبة ١,٥٪. تاسعها: كلام شيخه عن أحد الصحابة بأسلوب غير لائق، بنسبة ١,٥٪. عاشرها: إرضاء لشيخ آخر ليحدثه، بنسبة ١,٥٪. وأما المبرر الحادي عشر والأخير فقد كان الرغبة في التبرك بدفنها معه.

كما تعددت مبررات إتلاف المؤلفين لمؤلفاتهم عبر المراحل الزمنية للحضارة الإسلامية؛ ففي القرن الأول الهجري تمثلت مبررات الإتلاف في: خوف الاتكال على الكتاب وإهمال الحفظ، والخوف من تحريفها بعد موتهم، وعدم الرغبة في اتخاذ كتاب مع كتاب الله تعالى.

أما مبررات الإتلاف في القرن الثاني الهجري فغلب عليها "الرغبة في التفرغ للعبادة" بنسبة ٣٠٪ من مؤلفي هذا القرن، تلاه "الخوف من الاتكال على الكتاب وإهمال

(١) ابن الجوزي: صيد الخاطر، ص ٥٦ - ٥٧.

(٢) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ج١، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

الحفظ" بنسبة ٢٦٪، ثم "الخوف من تحريفها" بنسبة ٢٢٪، وأما "الرجوع عما فيها" فلم يزد عن ٩٪، بينما كانت أقل مبررات الإتلاف في هذا القرن: "اتهام المؤلف نفسه بعدم الإخلاص"، و"الاكتئاب"، و"الضن بها" حيث لم يظفر كل واحد من تلك المبررات إلا بـ٤٪ من مؤلفات هذا القرن. وفي القرن الثالث كان أغلب مبررات الإتلاف "الرغبة في التفرغ للعبادة" بنسبة ٣٥٪، تلاه "الخوف من تحريفها"، ثم "الرجوع عما فيها" بنسبة ٢٣,٥٪ لكل منهما، بينما كان أقلها "اتهام المؤلف نفسه بعدم الإخلاص"، و "كلام شيخه عن أحد الصحابة بأسلوب غير لائق" بنسبة ٦٪ لكل واحد منها. كذلك كان مبرر "الرغبة في التفرغ للعبادة" هو المبرر الغالب على مبررات القرن الرابع بنسبة ٥٠٪، بينما تساوت نسب باقي مبررات هذا القرن، فلم تزد عن ١٦,٥٪، وهذه المبررات هي: "إرضاء شيخ آخر"، و"الرجوع عما فيها"، و"خوف الاتكال على الكتاب". وغلب على مبررات القرن الخامس "الضن بها" بنسبة ٥٠٪، بينما تساوت مبررات "اتهام المؤلف نفسه بعدم الإخلاص"، و"الرغبة في التفرغ للعبادة"، و"الرجوع عما فيها" بنسبة ١٦,٥٪ لكل منها. وأما القرن السادس فغالب من أتلف كان مبرره "الرجوع عما فيها" بنسبة ٦٦٪، وأما مبرر "الضن بها" فكانت نسبته ٣٣٪ فقط. وأما القرن السابع فلم يغلب عليه مبرر معين، إذ كان مبرراته هي "الرجوع عما فيها"، و"الخوف من تحريفها" بنسبة ٥٠٪ لكل منهما. كذلك كانت مبررات الإتلاف في القرن الثامن هي: "الرجوع عما فيها"، و"التبرك بدفنها" بنسبة ٥٠٪ لكل منهما. ومثله القرن التاسع الذي ظهر فيه حالتا إتلاف، مبررهما: "الضن بها"، و"الرغبة في التفرغ للعبادة" بنسبة ٥٠٪ لكل منهما. وأما القرن العاشر فقد ظهرت به حالة إتلاف واحدة، كان مبررها "الرجوع عما فيها". وكذلك القرن الرابع عشر الذي ظهرت فيه حالة واحدة، كان مبرر إتلافها "اتهام المؤلف نفسه بعدم الإخلاص".

وهكذا يتبين أنه لم يغلب مبرر بعينه في حالات الإتلاف في القرون: الأول، والسابع، والثامن، والتاسع، والعاشر، والرابع عشر، بينما كانت "الرغبة في التفرغ للعمل الصالح" هي المبرر الأغلب في القرن الثاني، والثالث، والرابع؛ ففي ذلك الوقت فتحت الدنيا على المسلمين، وانشغل بعضهم بها، مما جعل البعض يرغبون في البعد عن جميع مظاهر الدنيا، ومنها الكتب وفقًا لرؤيتهم، أما في القرن الخامس فكان "الضن بها" هو المبرر الغالب؛ إذ انغمس الناس في الدنيا أكثر، وربما تحول الدافع للتأليف من الرغبة فيما عند الله والدار الآخرة إلى الرغبة فيما عند الناس، فلما ضن الناس على المؤلفين بالعائد المادي ضن المؤلفون على الناس بكتبهم. أما في القرن السادس فقد غلب مبرر "الرجوع عما فيها"؛ بعدما استقرت العلوم وكثرت المؤلفات فيها، وأتيحت الفرصة

للمؤلف لمراجعة مؤلفاته؛ فأدرك بعضهم أن بمؤلفاته أخطاء علمية، فأتلفها رجوعًا عنها.

كما أمكن تقسيم مبررات إتلاف المؤلفين لمؤلفاتهم إلى مبررات علمية، تمثلت في الرجوع عما فيها، والخوف من تحريفها بعد مماتهم. ومبررات شرعية تمثلت في الرغبة في التفرغ للعبادة، وعدم الرغبة في اتخاذ كتاب مع كتاب الله، وكلام شيخه عن أحد الصحابة بأسلوب غير لائق، والتبرك بدفنها معه. ومبررات نفسية تمثلت في خوف الاتكال على الكتاب وإهمال الحفظ، واتهام المؤلف نفسه بعدم الإخلاص لله، والإصابة بمرض الاكتئاب. ومبررات اجتماعية، تمثلت في الضن بها على المجتمع، وإرضاء شيخ آخر ليحدثه.

وفيما يلي عرض مفصل لهذه الظاهرة وأسبابها.

١ - الرغبة في التفرغ للعبادة

وهو شعور اعترى بعض المؤلفين، فرغب في عدم الانشغال بأي شيء عن العمل الصالح لله تعالى حتى لو كان أفنى عمره في إعداد ذلك الشيء وتأليفه، وهذا يحدث أحيانًا في عصرنا هذا ،فبعد أن يصل بعض العلماء لمرحلة عمرية معينة، يتجه الواحد منهم إلى العمل أكثر وأكثر للدار الآخرة، فتجده ينقطع شيئًا فشيئًا عن العمل المجتمعي، ويتجه لذاته، مفكرًا فيما قدمه وما سيقدمه، فينقطع للعبادة إلى حد كبير، ويقل ارتباطه بالدنيا ومظاهرها.

من هذا المنطلق بلغ عدد المؤلفين الذين أتلفوا كتبهم بدافع الرغبة في التفرغ للعمل الصالح ثمانية عشر مؤلفًا بنسبة ٢٧٪، وهم: أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، ومحمد بن عبيد الله العرزمي (ت١٥٥هـ)، وضيغم بن مالك (ت١٨١هـ)، ومحمد بن يوسف بن معادن (ت١٨٤هـ)، والمطلب بن زياد الكوفي (ت١٨٥هـ)، وعطاء بن سلم الخفاف (ت١٩٠هـ)، ويوسف بن أسباط (ت١٩٥هـ)، والحسن بن رودبار (ت٢٠١هـ)، وحماد بن أسامة (ت٢٠١هـ)، ومؤمل بن إسماعيل (ت٢٠٦هـ)، وأبو سليمان الداراني (ت٢١٥هـ)، وسلم بن ميمون الخواص (ت٢٢٠هـ)، وأحمد بن أبي الحواري (ت٢٤٦هـ)، وأبو بكر الشبلي (ت٣٣٤هـ)، أحمد بن محمد الخلال (ت٣٦٠هـ)، وأبو سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ)، وأبو سعيد بن أبي الخير (ت٤٤٧هـ)، وعبد الله الإلهي (ت٨٩٦هـ).

وقد صرح اثنان من المؤلفين بأنهم لم يعودوا بحاجة إلى كتبهم ولا كتب غيرهم، فقد أدت الكتب الهدف منها، وهو - في رأيهم- الدليل إلى الله تعالى، فرأوا أنهم بعد أن

وصلوا إلى الهدف، لم تعد هناك حاجة إلى الوسيلة. أولهما أحمد بن أبي الحواري، وهو "أحد العلماء الزهاد المشهورين، والعباد المذكورين، والأبرار المشكورين، ذوي الأحوال الصالحة، والكرامات الواضحة"(١). "حمل كتبه إلى البحر ففرقها، وقال: يا علم، لم أفعل بك هذا استخفافاً، ولكن لما اهتديت بك استغنيت عنك"(٢)، وأثر عنه قوله: "نعم الدليل كنت لي على الله وإليه، ولكن الاشتغال بالدليل بعد معرفة المدلول عليه والوصول إليه محال"(٣).

والثاني أبو بكر الشبلي الذي خاطب كتبه قبل أن يتلفها قائلاً "نعم الدليل أنتم، ولكن اشتغالي بالدليل بعد الوصول إلى المدلول محال"(٤). "وهو أحد شيوخ الصوفية المعدودين وزهادهم الموصوفين"(٥). وقد وصفه ابن فرحون بأنه "شيخ الصوفية، وإمام أهل علم الباطن، وذو الأنباء البديعة والإشارات الغريبة، وأحد المتصرفين في علوم الشريعة"(٦).

على شاكلتهما كان خمسة مؤلفين، هم: محمد بن يوسف بن معادن، وسلم بن ميمون الخواص، وأحمد بن محمد الخلال، وأبو سعيد بن أبي الخير، وعبد الله الإلهي، فهؤلاء الخمسة كانوا من المتصوفة الذين يرون الزهد في كل شيء حتى العلم الشرعي، ويزعمون أنهم يهتمون بعلم الباطن الذي لا يُحصل عليه بالكتب، وإنما يُحصّل من اللوح المحفوظ والملأ الأعلى عن طريق المشاهدة والمجاهدة. وهذا الأمر خلاف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يعارضه جبريل القرآن، وخلاف ما كان عليه الصحابة الذين كانوا يتذاكرون من بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وخلاف ما كان عليه التابعون وتابعو التابعين ومن تبعهم ممن كانوا يضربون أكباد الإبل طلبًا للعلم ومدارسته.

هؤلاء الخمسة لم يعودوا بحاجة إلى كتبهم - من وجهة نظرهم- فأتلفوها؛ فأما محمد بن يوسف بن معادن فقد "دفن كتبه، وأقبل على التوحد والتعبد، وآثر الخمول

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي: البداية والنهاية، ج١٠، ص٣٨٤ .

(٢) الذهبي، شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز: سير أعلام النبلاء،ج١٢، ص٨٨.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص٣٨ .

(٤) الإستانبولي، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي: تفسير روح البيان، ج٢ ، ص٤٢١ .

(٥) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي: تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أو اجتاز بنواحيها من ورديها وأهلها، ج٦٦ ، ص٥٠ .

(٦) ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ج١، ص٦٣.

واتباع منهج رسول الله، وابتغى الدنو والوصول"[١].

وأما سلم بن ميمون الخواص فهو "من عباد أهل الشام وقرائهم ممن غلب عليه الصلاح حتى غفل عن حفظ الحديث"[٢]. "وهو في عداد المتصوفة الكبار، وليس الحديث من عمله"[٣]، واشتهر بالزهد، وقال عنه ابن حجر: "سلم بن ميمون الخواص الزاهد"[٤].

وأما أحمد بن محمد الخلال فقد "كان يتصوف ويرمي بالحديث"[٥]، وأما أبو سعيد بن أبي الخير"لما بلغ السادسة والعشرين من عمره سمع في يوم من الأيام درساً لأبي علي يدور حول قول الله تعالى "قل الله، ثم ذرهم في خوضهم يعلبون" ما كاد يسمع هذه الآية حتى فتح في قلبه باب الإيمان، وكأنما انتزع من نفسه، فجمع كتبه كلها وأحرقها، ثم آوى إلى ركن في بيته، وجلس فيه سبع سنين يذكر فيها اسم "الله". ولقد كان تكرار لفظ الجلالة عند الصوفية المسلمين سبيلاً محببة إلى الفناء، ويقصدون به انتقال الصوفي عن نفسه في حال وجده"[٦]، وأما عبد الله الإلهي الصوفي الحنفي فقد اشتغل بالعلوم الظاهرة، ثم غلبت عليه داعية الترك فقصد حرق كتبه"[٧].

وستة آخرون من المؤلفين تم الاستدلال على رغبتهم في التفرغ للعمل الصالح كمبرر لإتلاف كتبهم من خلال سيرتهم وأقوال معاصريهم، وهم: أبو عمرو بن العلاء الذي وصفه ابن العماد الحنبلي بأنه "أعلم الناس بالقرآن والعربية والشعر وأيام العرب"[٨]، ووصفه السيوطي بأنه "النحوي، المقرئ، أحد القراء السبعة المشهورين....، كان إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة....، وكان من أشراف العرب ووجهائها"[٩]، "وكان إذا دخل رمضان لم ينشد بيتًا حتى ينقضي"[١٠]، ثم تنسك فأحرق

---

(١) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني: تاريخ أصبهان، ج١، ص٢٧٠.

(٢) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البُستي: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، ج١، ص٢٣١.

(٣) الجرجاني، أبو أحمد عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد: الكامل في ضعفاء الرجال، ج٣، ص٣٢٨

(٤) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد. لسان الميزان، ج٣ ، ص٦٤.

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج٤، ص٢٩٠.

(٦) ديورانت، ول دايريل: موسوعة قصة الحضارة، ج١٤، ص ٨٠.

(٧) ابن العماد، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٧، ص٣٥٧، ٣٥٨.

(٨) المرجع السابق، ج١، ص٢٣٧.

(٩) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج٢، ص٢٣١.

(١٠) ابن العماد: شذرات الذهب، ج١، ص٢٣٧.

مؤلفاته[١]؛ أي أن رغبته في العبادة كانت مبرر إتلاف كتبه.

وثانيهم محمد بن عبيد الله العرزمي الكوفي، الذي قال عنه ابن سعد: "كان قد سمع سماعًا كثيرًا وكتب ودفن كتبه"[٢]، وتفرغ للعمل الصالح، حتى اشتهر بذلك، وقال عنه وكيع "كان العرزمي رجلاً صالحًا"[٣].

وثالثهم ضيغم بن مالك وهو "أبو بكر الراسبي، البصري، الزاهد، العابد ,أخذ عن التابعين...، قال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأيت مثله في الصلاح والفضل، وقال ابن الأعرابي في طبقات النساك: "كان من المجتهدين في العبادة، وكان ورده في اليوم والليلة أربعمائة ركعة، وصلى حتى بقي راكعاً لا يقدر على السجود فوقع، وقال: قرة عيني، ثم خر ساجداً. حكاها عنه سيار بن حاتم. وقال القواريري: رأيت ندىً في موضعين، فقال لي رجل: هذا والله من عيني ضيغم البارحة"[٤]، وكان من الخائفين البكائين"[٥]، قال علي بن المديني: "كان ضيغم قد دفن كتبه، وكان ينام ثلث الليل ويتعبد ثلثيه"[٦]. ومن ذلك يتبين أنه أتلف كتبه ليتفرغ لعبادة ربه أكثر، فلما دفنها أصبح ينام ثلث الليل ويتعبد ثلثيه، وأصبح ورده في اليوم والليلة أربعمائة ركعة. بل إنه كان على استعداد أن يتخلص من كل شيئ حتى نفسه، رغبة في الوصول لرضا ربه، فأُثر عنه قوله: "لو أعلم أن رضاه أن أقرض لحمي، لدعوت بالمقراض فقرضته"[٧].

ورابعهم عطاء بن مسلم الخفاف "محدث، كوفي، سكن حلب"[٨]، "كان شيخًا صالحًا، يشبه بيوسف بن أسباط، وكان دفن كتبه"[٩]، وقد أتلف يوسف بن أسباط كتبه بدافع التفرغ لعبادة الله، وقال "لا يصلح قلبي عليها"[١٠]، فأساس الشبه بينهما الصلاح، وكذلك مبررات إتلاف كليهما لكتبه[١١].

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٤٠٨.
(٢) ابن سعد، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٦٨.
(٣) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد: تهذيب التهذيب، ج٩، ص٢٨٧.
(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ج٤، ص٨٦٧.
(٥) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١، ص١٣٩.
(٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤، ص٨٦٧.
(٧) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٣، ص٣٥٧.
(٨) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤، ص٩٢٤.
(٩) ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم : الجرح والتعديل، ج٦، ص٣٣٦
(١٠) العجلي، أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن الكوفي: معرفة الثقات، ج٢، ص٢٧٤ .
(١١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١، ص٢٩٩.

وخامسهم حماد بن أبي أسامة، "أبو أسامة، الكوفي، أحد الأئمة الأثبات اتفقوا على توثيقه، وكان "أعلم الناس بأمور النار وأخبار أهل الكوفة...، وكان ثبتًا ما كان أثبته، لا يكاد يخطئ"[١]، "وحكى عنه سفيان بن وكيع قال: كان أبو أسامة يتتبع كتب الرواة فيأخذها وينسخها، فقال لي ابن نمير إن المحسن لأبي أسامة يقول إنه دفن كتبه"[٢]، ويبدو أنه دفن كتبه للانقطاع للتعبد، فقد اشتهر بعبادته وتنسكه، حتى قال عنه ابن عمار: "كان أبو أسامة في زمن الثوري يعد من النساك"[٣].

وسادسهم "مؤمل بن إسماعيل القرشي، العدوي، أبو عبد الرحمن البصري، نزيل مكة"[٤]، وهو "من رجال الحديث"[٥]، "قال أبو حاتم: صدوق، شديد في السنة، كثير الخطأ"[٦]، وكثر خطؤه لأنه أتلف كتبه لينقطع للعبادة، فحدث بعد أن أتلف كتبه؛ قال ابن رجب "مؤمل بن إسماعيل، فقد دفن كتبه، ثم حدّث بعد، فدخل الوهم في حديثه"[٧]، وقال ابن عمار: "فأما المؤمل، فكان قد دفن كتبه، وكان يحدث حفظًا فيخطئ الكثير"[٨]، ومبرر إتلافه لكتبه الرغبة في التفرغ للعمل الصالح، وقد وصفه ابن قانع بأنه "صالح يخطئ"[٩].

وصرح أربعة آخرون من المؤلفين بمبرر إتلافهم لكتبهم، لكونها تشغلهم عن الله تعالى، وهم يريدون التفرغ الكامل لله وحده، ولا يستطيعون الجمع بين الكتب وبين التفرغ للعبادة، وهؤلاء هم: المطلب بن زياد الكوفي، وهو "صاحب سنة وخير"[١٠]، و"محدث جليل"[١١]، "تحول من الكوفة إلى قرية تقال لها سحلبون بين أنطاكية وحلب،

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٣، ص٣.

(٢) ابن حجر: فتح الباري، ج١، ص٣٩٩.

(٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٣، ص٣.

(٤) المزي: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي: تهذيب الكمال، ج٢٩، ص١٧٦.

(٥) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي: الأعلام: (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، ج٧، ص٣٣٤.

(٦) الذهبي: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، ج٢، ص٣٠٩.

(٧) ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، ج١، ص٥.

(٨) ابن عمار، أبو الفضل محمد بن أبي الحسين ابن عمار الشهيد: علل الأحاديث في كتاب الصحيح لمسلم ابن الحجاج، ج١، ص٢٥.

(٩) الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد: نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، ج١، ص٣١٧ .

(١٠) العجلي: معرفة الثقات، ج٢، ص٢٨٢.

(١١) الخزرجي، صفي الدين أحمد بن عبد الله الأنصاري اليمني: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج١، ص٣٧٩.

فآواه أبو أسامة إلى قريته، دفن كتبه وقال لا يصلح قلبي عليها"(١).

ويوسف بن أسباط "صاحب سنة وخير"(٢)، "كان رجلاً صالحاً"(٣)، "عابداً "(٤)، "ومن جِلّة الزهاد بالشام"(٥)، أتلف كتبه، وصرح بمبرر الإتلاف، حيث "قال: لا يصلح قلبي عليها"(٦).

والحسن بن رودبار، "كوفي، ثقة، دفن كتبه، وقال: لا يصلح قلبي على الحديث"(٧).

وأبو سليمان الداراني، هو "عبد الرحمن بن أحمد بن عطية، العنسي، الداراني، من أهل داريا، وهي ضيعة إلى جنب دمشق، كان أحد عباد الله الصالحين، ومن الزهاد المتعبدين، ورد بغداد، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام، فأقام بداريا حتى توفى"(٨)، وهو "أستاذ أحمد بن أبي الحواري، له الكلام المتين، والأحوال السنية، والرياضات، والسياحات"(٩). قال أبو سليمان "اختلفت إلى مجلس قاص، فأثّر كلامه في قلبي، فلما قمت لم يبق في قلبي شيئ، فعدت ثانياً، فسمعت كلامه، فبقي في قلبي كلامه في الطريق ثم زال، ثم عدت ثالثاً فبقي أثر كلامه في قلبي حتى رجعت إلى منزلي، وكسرت آلات المخالفات ولزمت الطريق(١٠). وكان يقول: "كل ما شغلك عن الله من أهل ومال أو ولد فهو عليك مشئوم"(١١)، قال أحمد بن الحواري: "رأيت أبا سليمان حين أراد أن يلبي غشي عليه، فلما أفاق، قال: بلغني أن العبد إذا حج فقال لبيك، قيل له: لا لبيك ولا سعديك حتى تطرح ما في يديك"(١٢). وصرح أبوسليمان الداراني أنه ما أقدم على إتلاف كتبه إلا لكونها شغلته عن الله، حتى كادت تكون سبباً في عذابه بالنار، فقال وهو يضرم النار في كتبه: "والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك"(١٣)، أي أنك كدت تكونين

---

(١) العجلي: معرفة الثقات، ج٢ ، ص٢٨٢ .
(٢) المرجع السابق، ج٢، ص٣٧٤.
(٣) ابن الجوزي: الضعفاء والمتروكين، ج٢، ص ٢١٨.
(٤) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٩، ص٢١٨.
(٥) المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي: مختصر الكامل في الضعفاء، ج١، ص٨٠١.
(٦) العجلي: معرفة الثقات، ج٢، ص٣٧٤.
(٧) المرجع السابق، ج١، ص٢٩٤ .
(٨) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٢٤ ، ص١٢٢ .
(٩) المرجع السابق، ج٣٤، ص١٢٤.
(١٠) المرجع السابق، ج٣٤، ص١٢٥.
(١١) المرجع السابق، ج٣٤، ص١٢٩.
(١٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء،.ج ١٠، ص١٨٥.
(١٣) ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي: مصنف ابن أبي شيبة، ج ٩، ص١٦.

سبباً في عذابي بالنار لكوني انشغلت بك عن الله تعالى.

فهؤلاء الأربعة صرحوا بأنهم لا يتفرغون للعبادة تفرغاً كاملاً حتى تتفرغ قلوبهم من كل شيء، ولا تتفرغ قلوبهم حتى يتخلصوا من كتبهم التي قد يفكرون بما فيها.

ومؤلف آخر توصل في نهاية حياته إلى أن الكتب من الممكن أن تشغل عن عبادة الله، فخاف على ابنه من ذلك، فأوصاه "بأن يجعل مكتبته طعمة للنار"[١]، و"قال لولده محمد: قد تركت لك هذه الكتب تكتسب بها خير الأجل، فإذا رأيتها تخونك فاجعلها طعمة للنار"[٢]، هذا المؤلف هو "الحسن بن عبد الله بن المرزبان، القاضي، أبو سعيد السيرافي ولي قضاء بغداد، وسكن الجانب الشرقي"[٣]، وهو "شيخ الشيوخ، وإمام الأئمة، معرفة بالنحو، والفقه، واللغة، والشعر، والعروض، والقوافي، والقرآن، والفرائض، والحديث، والكلام، والحساب، والهندسة، أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة فما وجد له خطأ، ولا عثر له على زلة، وقضى ببغداد، هذا مع الثقة والديانة والأمانة والرزانة، صام أربعين سنة أو أكثر، الدهر كله"[٤].

مما سبق يتبين أن اثنين من المؤلفين أتلفا كتبهما لأنهما لم يعودوا بحاجة إليها؛ إذ أنها قد دلتهم على الله، وقال أحدهم: نعم الدليل كنت لي على الله، وهما: أحمد بن أبي الحواري، وأبو بكر الشبلي، وخمسة من المؤلفين أتلفوا كتبهم بسبب تصوفهم الذي دعاهم إلى الزهد في كل شيئ حتى العلم الشرعي، وهم: محمد بن يوسف بن معادن، وسلم بن ميمون الخواص، وأحمد بن محمد بن إسماعيل الخلال، وأبو سعيد بن أبي الخير، وعبد الله الإلهي.

وستة من المؤلفين لم يكونوا من المتصوفة، وإنما رغبوا في التفرغ للعبادة بعد طلب العلم فأتلفوا كتبهم، واستدل على ذلك من خلال سيرهم وأقوالهم وأقوال معاصريهم، وهم: أبو عمرو بن العلاء، ومحمد بن عبيد الله العرزمي الكوفي، وضيغم بن مالك، وعطاء بن مسلم الخفاف، وحماد بن أبي أسامة، ومؤمل بن إسماعيل القرشي.

---

٧١ المرجع السابق، نفسه.

٧٢ الحموي، أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي: معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج٢، ص١٤٦.

٧٣ الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ج١، ص١٦.

٧٤ الغزي الحنفي، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي المصري: الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ج١ ، ص٢٢٩.

وصرح أربعة مؤلفين بأنهم لا يستطيعون التفرغ لعبادة الله مع وجود كتبهم، وتضافروا على تلك المقولة: "لا يصلح قلبي عليها"، وهم: المطلب بن زياد الكوفي، ويوسف بن أسباط، والحسن بن رودبار، وأبو سليمان الداراني.

ومؤلف خاف على ابنه من أن تشغله كتبه عن الله، فأوصاه "بأن يجعل مكتبته طعمة للنار إن شغلته"، وهو أبو سعيد السيرافي.

وهكذا اتفق هؤلاء الثمانية عشر مؤلفًا على أن رغبتهم في التفرغ لعبادة الله هي مبرر إتلاف كتبهم، فهل هذا أمر يقره الدين ويؤيده؟

يردّ ابن الجوزي على من قال: إن الكتب تشغلني عن العبادة، بأن هذا مردود من ثلاثة أوجه: "أحدها أنك لو فهمت لعلمت أن التشاغل بالعلم أوفى العبادات، والثاني أن اليقظة التي وقعت لك لا تدم، فكأني بك وقد ندمت على ما فعلت بعد الفوات، واعلم أن القلوب لا تبقى على صفائها، بل تصدأ وتحتاج إلى جلاء، وجلاؤها النظر في كتب العلم...، والثالث أننا نقدر تمام يقظتك ودوامها والغنى عن هذه الكتب، فهلا وهبتها لمبتدئ من الطلاب ممن لم يصل إلى مقامك، أو بعتها وتصدقت بثمنها"(١).

ويرى ابن الجوزي أن إتلاف المؤلف لكتبه بدافع التفرغ للعمل من تلبيس إبليس، فقال: "كان جماعة منهم تشاغلوا بكتابة العلم، ثم لبس عليهم إبليس، وقال ما المقصود إلا العمل، ودفنوا كتبهم"(٢)، ويرى أن ذلك من خفي مكائد الشيطان، ويقول: "وإن من خفي مكائد الشيطان أنه يزيد في نفس الإنسان التعبد ليشغله عن أفضل التعبد وهو العلم"(٣)؛ وذلك لأن "العلم نور، وأن إبليس يحسّن للإنسان إطفاء النور، ليتمكن منه في الظلمة، ولا ظلمة كظلمة الجهل، ولما خاف إبليس أن يعاود هؤلاء مطالعة الكتب، فربما استدلوا بذلك على مكايده ـ حسَّن لهم دفن الكتب وإتلافها، وهذا فعل قبيح محظور، وجهل بالمقصود بالكتب"(٤). "وهذا من خفي حيل إبليس، ولقد صدق عليهم إبليس ظنه، وإنما فعل وذلك لسببين أحدهما أنه أرادهم يمشون في الظلمة، والثاني أن تصفح العلم كل يوم يزيد في علم العالم، ويكشف له ما كان خَفِيَ عنه، ويقوي إيمانه ومعرفته، ويريه عيب كثير من مسالكه، خصوصًا إذا تصفح مناهج الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة، فأراد إبليس سد تلك الطرق بأخفى حيلة، فأظهر أن المقصود العمل، لا

(١) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ج١، ص٢٩٠.

(٢) المرجع السابق، ج١، ص٢٨٨.

(٣) ابن الجوزي: صيد الخاطر، ج١، ص٣٠.

(٤) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ج١، ص٢٨٩.

العلم نفسه، وخفي على المخدوع أن العلم عمل وأي عمل، ما حذر من هذه الخديعة الخفية، فإن العلم هو الأصل الأعظم والنور الأكبر، وربما كان تقليب الأوراق أفضل من الصوم والصلاة والحج والغزو"[١].

وخلاصة الأمر أنه لا بد من العلم والعمل معًا حتى تتم العبادة والسعادة، فـ"السعادة الأبدية لا تتم إلا بالعلم والعمل، ولا يعتد بواحد منهما بدون الآخر، وإن كلاً منهما ثمرة الآخر"[٢].

٢ - الرجوع عما فيها

أتلف ثلاثة عشر مؤلفًا ـ بما يساوي ٢٠٪ من مجتمع الدراسة ـ مؤلفاتهم أو بعضها لأنهم رجعوا عما كتبوه فيها؛ خمسة منهم أتلفوها لوجود أخطاء علمية بها وهم: سفيان الثوري (ت١٦١هـ)، وعبد العزيز بن عمران (ت١٩٧هـ)، والشافعي (ت٢٠٤هـ)، ويحيى بن يحيى (ت٢٢٦هـ)، والسيوطي (ت٩١١هـ). وخمسة آخرون أتلفوها ندمًا منهم على ما كتبوه، وهم: أبو صالح محمد بن المهذب (ت١٢١١هـ)، ومحمد بن علي بن المطلب (ت٤٧٨هـ)، وأبو غالب الذهلي (ت٥٠٧هـ)، وأبو إسحاق الغزي (ت٥٢٤هـ)، وصدر الدين ابن الوكيل (ت٧١٦هـ). وثلاثة أتلفوا مؤلفاتهم لعدم رضاهم عنها، وهم: أحمد بن الطيب(ت٢٨٦هـ)، ومحمد بن عمر الجعابي (ت٣٥٥هـ)، وشميم الحلي (ت٦٠١هـ).

أما الذين أتلفوا كتبهم رجوعًا عما فيها لوجود أخطاء علمية بها، فأولهم "سفيان ابن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري، الإمام، الحافظ، أبو عبد الله، الكوفي، أحد الأئمة الأعلام"[٣]، و"أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد زمانه في علوم الدين والتقوى"[٤]، وهو "رجل صالح زاهد عابد، ثبت في الحديث، فقيه، صاحب سنة واتباع، وكان من أقوى الناس بكلمة شديدة عند سلطان يتقى"[٥]، وكان "من سادات أهل زمانه فقهًا وورعًا وحفظًا وإتقانًا، شمائله في الصلاح والورع أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق في ذكرها"[٦]، "وكان قد أوصى إلى عمار بن سيف وكان ابن أخته بكتبه ليمحوها

(١) ابن الجوزي: صيد الخاطر، ج١، ص٣١.
(٢) حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج١، ص ٥٢.
(٣) ابن حجر: لسان الميزان، ج٧، ص٢٣٣.
(٤) الزركلي: الأعلام، ج٣، ص١٠٤.
(٥) العجلي: معرفة الثقات، ج١، ص٤٠٧.
(٦) ابن حبان: الثقات، ج٦، ص٤٠٢.

ويدفنها"(١)، "فأنفذ وصيته، فمحاها ثم أحرقها"(٢)، وقد نقل الذهبي عن الأصمعي قوله: "وكان ندم على أشياء كتبها عن قوم"(٣)، ويبدو أن هذه الأشياء التي كتبها وندم عليها هي أحاديث ضعيفة؛ بدليل قول ابن الملقن: " وكان ندم على أشياء كتبها عن الضعفاء"(٤)، كتبها سفيان وهو يعلم أنها أحاديث ضعيفة، وقد كان يكتبها؛ لأنه كان يحب أن يجمع الحديث: صحيحه، وضعيفه، "وقال: حملني عليها شهوة الحديث"(٥)، قال سفيان الثوري: "إني أحب أن أكتب الحديث على ثلاثة أوجه، حديث أكتبه أريد أن اتخذه دينًا، وحديث رجل أكتبه فأوقفه لا أطرحه ولا أدين به، وحديث رجل ضعيف أحب أن أعرفه ولا أعبأ به"(٦)، فلما كبر لم يستطع التمييز بين الأنواع الثلاثة فأتلفها كلها "فكأنه لما عسر عليه التمييز بين الصحيح وغيره، أوصى أن تدفن كلها"(٧).

وثانيهم "عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف"(٨)، وهو "ضعيف الحديث، لا يعتمد على روايته"(٩)، " لم يستحق الدخول في جملة الثقات، فكان الغالب عليه الشعر والأدب دون العلم"(١٠)، و" كان صاحب نسب، ولم يكن من أصحاب الحديث"(١١)، ورغم أنه كان صاحب شعر، وصاحب نسب، إلا أنه كتب الأحاديث، ونظرًا لأن الحديث ليس من عمله، فلم يعرف صحيحها من ضعيفها ولم يميز بينهما، فأتلفها جميعًا. ولعله أدرك أن بعض الأحاديث التي كتبها منكرات، فقد كان "يروي المناكير عن المشاهير"(١٢)، أو لعله أدرك أن "منكر الحديث، لا يكتب حديثه"(١٣)، فأتلف الأحاديث التي كتبها، و"أحرق كتبه"(١٤).

وثالثهم "يحيى بن يحيى، بن بكر بن عبد الرحمن، شيخ الإسلام، و عالم خراسان،

---

(١) ابن حيان: الثقات، ج ٦، ص ٤٠٢.
(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى: انساب الأشراف، ج٤، ص٧١.
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٢٦١.
(٤) ابن الملقن، سراج الدين حفص عمر بن على احمد المصري: طبقات الأولياء، ج١، ص٥.
(٥) المرجع السابق، نفسه.
(٦) القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري: جامع بيان العلم وفضله، ج١، ص ٧٦.
(٧) ابن الملقن: طبقات الأولياء، ج١، ص٥.
(٨) البخاري: التاريخ الكبير، ج١، ص٣٢٢.
(٩) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٢، ص ٥٢١.
(١٠) ابن حبان: المجروحين، ج١، ص٢٧٠.
(١١) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٦، ص٣١٢.
(١٢) ابن حبان: المجروحين، ج١، ص٢٧٠.
(١٣) البخاري: الضعفاء الصغير، ج١، ص٧٨.
(١٤) ابن شبة، أبو زيد عمر النميري البصري: تاريخ المدينة المنورة، ج١، ص٨٠.

أبو زكريا التميمي المنقري النيسابوري الحافظ، كتب ببلده وبالحجاز والعراق والشام ومصر، وهو إمام لأهل الدنيا"[١]، دفن كتبه، بدليل ما نقله صاحب النكت على مقدمة ابن صلاح، حيث قال: " جماعة دفنوا كتبهم، منهم: محمد بن يحيى، وإسحاق بن راهويه ويحيى بن يحيى، وعبد الله بن المبارك"[٢]، ومبرر دفنه لكتبه رجوعه عما كتبه، لأنه شك فيه؛ قال الإمام أحمد بن حنبل: "كنا نسميه يحيى الشكاك، من كثرة ما كان يشك في الحديث، يعني أنه كان كلما توقف في كلمة أبطل سماعه لذلك الحديث، ولم يروه"[٣]، "فإنه إذا شك في حديث أرسله، هذا في بدء أمره، ثم صار إذا شك في حديث تركه"[٤]، فيبدو أنه في أواخر عمره شك في أحاديثه كلها فرجع عنها، وأتلف كتبه.

ورابعهم "محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، الشافعي، "ولد بالشام بغزة وقيل باليمن، وحمل إلى مكة فسكنها، وتردد على الحجاز والعراق وغيرهما، ثم استوطن مصر وتوفي بها....، كان صاحب سنة وأثر وفضل مع لسان فصيح وعقل رصين صحيح....، قال أحمد بن حنبل: كان الشافعي أفقه الناس في كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان للعلم كالشمس للدنيا والعافية للناس"[٥].

"قلت (أي النووي) ليس القول القديم مذهبًا له (أي للشافعي) فإنه غسل كتبه القديمة، وأشهد على نفسه بالرجوع عنها، هكذا نقل عنه أصحابه"[٦]، وقال فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي: "هذا في القديم، وليس القول القديم مذهبًا، فإنه غسل كتبه القديمة، وأشهد على نفسه بالرجوع عنها"[٧].

وقد أتلف الشافعي كتبه القديمة، لأنها كانت أقل إحكامًا، فرجع عنها، يدل على ذلك إجابة الإمام أحمد بن حنبل حينما سأله أحد طلابه عن كتب الشافعي القديمة، "أحمد ما ترى في كتب الشافعي التي عند العراقيين، أهي أحب إليك، أم التي بمصر؟ قال: عليك بالكتب التي عملها بمصر، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمها، ثم رجع إلى مصر فأحكم تلك"[٨].

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥١٢.

(٢) ابن بهادر، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله الزركشي الشافعي المصري: النكت على مقدمة ابن الصلاح، ج٣ ، ص٥٦١.

(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٢، ص٥٤.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥١٥.

(٥) ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢، ص١٥٦-١٥٨.

(٦) العيني، بدر الدين أبو محمد بن أحمد: عمدة القارى شرح صحيح البخاري، ج١٦، ص ٤٩٠.

(٧) الزيلعي، فخر الدين عثمان بن على الحنفي: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، ج٤، ص١٤٢.

(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥٥.

وخامسهم "جلال الدين، أبو الفضل، عبد الرحمن ابن أبي بكر بن محمد بن ساق الدين السيوطي، الشافعي، المسند، المحقق، المدقق، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة...، وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه ,رجالاً وغريبًا ومتنًا وسندًا واستنباطًا للأحكام منه"(١)، يقول عن نفسه: "ورُزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع"(٢)، ثم يقول بعد ذلك "وشرعت في التصنيف في سنة ست وستين، وبلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه"(٣).

وهكذا كان مبرر هؤلاء الخمسة هو الرجوع عما فيها لتيقنهم أو لتوهمهم بوقوع أخطاء علمية بها.

وخمسة مؤلفين آخرون أتلفوا كتبهم توبةً منهم وندمًا عما كتبوه فيها؛ وهم: " أبو صالح محمد بن المهذب الساطعي التوخي المعري، كان إماماً في الأدب وقول الشعر"(٤)، إلا أنه ترك قول الشعر، وأتلف ما كتبه من الشعر، رجوعًا عنه، وتوبة منه؛ يدل على ذلك ما قاله ابن ماكولا: "أدركته وقد نسك، وترك قول الشعر، وخرق ديوانه، ولازم منزله ومسجده"(٥).

و"محمد بن علي بن المطلب، أبو سعد، كان قد قرأ النحو واللغة والسير والآداب وأخبار الأوائل وقال شعرًا كثيرًا"(٦)، وهو "الأديب الأوحد، الكرماني، ثم البغدادي، الشاعر، والد الوزير الصاحب أبي المعالي هبة الله بن المطلب"(٧)، إلا أنه ترك قول الشعر رجوعًا عنه وتوبة منه، "وقال شعرًا كثيرًا، إلا أنه كان كثير الهجوم، ثم مال عن ذلك، وأكثر الصوم والصلاة والصدقة وروى الحديث...، وغسل مسودات شعره، وأحرق بعضها بالنار"(٨)، و" قال هبة الله السقطي: أخذت عنه، ثم تاب، وألهم الصلاة والصوم والصدقة، وغسل مسودات شعره، رحمه الله"(٩).

---

(١) السيوطي: العَرْفُ الوَرْدِي في أخبار المَهْدِي، ج١، ص٤٧-٤٩ .

(٢) السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج١، ص١١٠ .

(٣) المرجع السابق، ج١، ص١١١.

(٤) ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن أبي نصر: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ج٧، ص ٢٤٤.

(٥) المرجع السابق، نفسه.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٩، ص ٢٤.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٤٩٠.

(٨) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٩، ص٢٤.

(٩) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٤٩١.

وأبو غالب الذهلي، وهو "شجاع بن فارس بن حسين بن فارس بن حسين بن غريب ابن بشير، الإمام المحدث، الثقة الحافظ المفيد، أبو غالب الذهلي، السهروردي، ثم البغدادي الحريمي"(١)، و"كان يورق للناس"(٢)، و"نسخ بخطه كثيرًا من التفسير والحديث والفقه ما لم ينسخه أحد الوراقين"(٣)، "وكان مفيد أهل بغداد، والمرجوع إليه في معرفة الشيوخ وأحوالهم بعد الخطيب أبي بكر، وكان ثبتًا ثقةً أمينًا فهمًا أديبًا"(٤)، و"نسخ ما لا يدخل تحت الحصر من التفسير والحديث والفقه للناس، حتى أنه كتب شعر ابن الحجاج سبع مرات"(٥)، وقد ندم على ذلك، وأراد التوبة، " قال عبد الوهاب الأنماطي: دخلت يومًا (أي على أبي غالب الذهلي)، فقال لي: توبني، فقلت: من أي شيء؟ قال: كتبت شعر ابن الحجاج بخطي سبع مرات"(٦)، ويبدو أن شيخه أفتاه بإتلاف ما كتب من الشعر، فأتلفه فعلاً، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك وأتلف كتبًا أخرى ألفها؛ فلقد "عمل مسودة لتاريخ بغداد ذيلاً على تاريخ الخطيب، فغسله في مرض موته"(٧)، و"شرع في تتميم تاريخ الخطيب، ثم غسله، وكان يكثر من الاستغفار والتوبة"(٨)، فلعله فعل ذلك مبالغة في التوبة.

و"محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد بن عطية أحمد الأموي، صدر الدين بن الوكيل...، ولد بدمياط وقيل بأشمون...، تفقه بأبيه...، وتقدم في الفنون، وفاق الأقران وقال الشعر فلم يتقدمه فيه أحد من أبناء جنسه، وأتى فيه بالمرقص والمطرب"(٩). وقال الصفدي: "وكان فيه لعب ولهو، ومع ذلك فحكى لي عنه جماعة ممن صحبه ونادمه في خلواته أنهم إذا فرغوا من حالهم قام وتوضأ ولبس قماشًا نظيفًا وصلى وبكى ومرّغ وجهه على الأرض والتراب، وبكى حتى بلّ لحيته بدموعه، واستغفر وسأل الله التوبة والمغفرة...، وكان إذا مرض غسل ديوانه"(١٠)، ويبدو أنه كان يفعل ذلك رجوعًا عما كتبه من باب التوبة.

---

(١) المرجع السابق، ج١٩، ص٣٥٥.
(٢) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٩، ص١٧٦.
(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص٢٧.
(٤) البغدادي: التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، ج١، ص٢٩٨.
(٥) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص١٦.
(٦) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص٢٧.
(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٥٦.
(٨) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٢١٧.
(٩) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٢، ص٥٦-٦٠ .
(١٠) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٢، ص٣٧٣.

وآخرهم: "إبراهيم بن عثمان بن محمد بن محمد، أبو إسحاق الغزي، من أهل غزة...، وكان أحد فضلاء الدهر، ومن يضرب به المثل في صناعة الشعر، وكان له خاطر مستحسن، وشعر مليح...، وترك قول الشعر، وغسل كثيرًا منه، وقال في إيضاح مبررات إتلافه:

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب البواعث والدواعي مغلق"(١).

وفي هذا البيت عبّر عن مبررات إتلافه لشعره، فلا باعث عليه، ولا فائدة منه، "وكان يقول: إني لأرجو أن يعفو الله عني ويرحمني"(٢). أتلف هؤلاء الخمسة كتبهم توبةً منهم، وندمًا عما فيها.

وثلاثة آخرون أتلفوا مؤلفاتهم رجوعًا عنها لعدم رضاهم عما كتبوه فيها، وهم: "أحمد بن الطيب بن مروان الخراساني السرخسي، ويعرف بابن الفرانقي"(٣)، " ولي الحسبة ببغداد، وكان موضعه من الفلسفة لا يُجهَل، وله مصنفات حسان في أنواع من الفلسفة وفنون من الأخبار"(٤)، "وهو تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي الفيلسوف"(٥)، " وكان نديمًا للمعتضد، وخصيصًا به قبل الخلافة وبعدها، ثم غضب عليه"(٦)، " أحمد لأنه أحمد كان قديمًا يمدح عناده الفلاسفة ويستعقلهم ويحكي مذاهبهم، فيقول المعتضد: أنت على دينهم، وكيف لا تكون كذلك وأستاذك الكندي؟ وكان قد تخمر في نفس المعتضد أنه فاسد الدين"(٧)، ثم قتله بعد ذلك، "وقيل إن السبب في قتله أن أحمد بن الطيب دعاه إلى مذاهب الفلاسفة، والخروج عن الإسلام، فاستحل قتله"(٨)، فلما علم ا أحمد بن الطيب بنية المعتضد أتلف جميع كتبه الفلسفية، أو "زعم أنه أحرق كتبه كلها إلا الحديث والفقه واللغة والشعر(٩)، رجوعًا عما فيها، وكأنه يريد أن يخبر المعتضد أنه فعل ذلك بمؤلفاته الفلسفية لعدم رضاه عما فيها، و"قال... ما عندي سوى كتب الفقه والحديث، فلما خرج قال المعتضد: والله إني لأعلم أنه زنديق، فعل ما زعم

(١) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٠، ص١٥-١٦ .

(٢) المرجع السابق، ج ١٠، ص١٦

(٣) ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج١، ص ٢٦٤.

(٤) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ، ج٢، ص١٥٢.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٤٤٩.

(٦) ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص ٢٦٤.

(٧) المرجع السابق، ج١، ص ٢٦٦ .

(٨) المرجع السابق، ج١، ص ٢٦٧ .

(٩) المرجع السابق، ج١، ص ٢٦٨ .

رياء"[١]، وهكذا أتلف أحمد بن الطيب كتبه في الفلسفة ليوهم المعتضد أنه ما عاد يرضى عما فيها، رجاء أن يعفو عنه.

وثاني الثلاثة هو "محمد بن عمر بن سلم بن البراء بن سبرة بن سيار، أبو بكر، قاضى الموصل، ويعرف بابن الجعابى"[٢]، قال عن نفسه: " دخلت الرقة فكان لي ثَمَّ قمطر من كتب، فأنفذت غلامي إلى ذلك الرجل الذي كتبي عنده، فرجع الغلام مغمومًا، فقال: ضاعت الكتب، فقلت: يا بنى لا تغتم، فإن فيها مائتي ألف حديث لا يشكل علي منها حديث لا إسنادًا ولا متنًا"[٣]. ويؤكد معاصروه ذلك بقولهم: "ما شاهدنا أحفظ من أبى بكر الجعابى، وسمعت من يقول إنه يحفظ مائتي ألف حديث، ويجيب في مثلها، إلا أنه يفضل الحفاظ بأنه كان يسوق المتون بألفاظها، وأكثر الحفاظ يتسمحون في ذلك، وكان يزيد عليهم بحفظ المقطوع والمرسل والحكايات، ولعله يحفظ من هذا قريبًا مما يحفظ من الحديث المسند، وكان إمامًا في المعرفة بعلل الحديث وثقات الرجال ومعتلهم وضعفائهم وأساميهم وأنسابهم وكناهم ومواليدهم وأوقات وفاتهم ومذاهبهم وما يطعن به على كل أحد، وما يوصف به من السداد"[٤].

إلا أن حال ابن الجعابي قد تغيَّر؛ " قال الحاكم: قلت للدارقطني: بلغني عن ابن الجعابي أنه تغير عما عهدنا، قال: وأي تغير؟! قلت: بالله هل اتهمته؟ قال: إي والله؛ ثم ذكر أشياء، فقلت: وصح لك أنه خلط الحديث؟ قال: إي والله، قلت: حتى خفت أنه ترك المذهب؟ قال: ترك الصلاة والدين"[٥]، "ورُمى بالشرب والتهاون في الصلاة"[٦]، "وحُكي عنه قلة دين وشرب خمر"[٧]. وسبب هذا الانقلاب في حياته أنه "صحب قومًا من المتكلمين، فسقط عند أهل الحديث"[٨]، وأنه تأثر بشيخه ابن عقدة، الذي "أخذ عنه علم الحديث، وشيئًا من التشيع أيضًا"[٩]، فأصبح لابن الجعابي "مذهب خاص في التشيع"[١٠]، حتى أنه لما "وصل إلى مصر ودخل إلى الإخشيد، ثم مضى إلى دمشق

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٤٤٩.
(٢) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٧، ص٣٦.
(٣) المرجع السابق، ج ٧، ص٣٧.
(٤) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٧، ص٣٧.
(٥) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٣، ص٩٤.
(٦) الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٣١١.
(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٢٩٦.
(٨) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٣، ص٩٤.
(٩) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٢٩٦.
(١٠) الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٣١١.

فوقفوا على مذهبه، فشردوه، فخرج هاربًا"[١].

هذا التغير جعله غير راضٍ عما كتبه من الأحاديث، فرجع عنها، وأتلف كتبه في آخر يوم من حياته؛ قال الدارقطني: "أُخبرت بعلةٍ أبي بكر الجعابي، فقمت إليه في الوقت، فأتيته فرأيته يحرق كتبه بالنار، فأقمت عنده حتى ما بقي منها بينة، ثم مات من ليلته"[٢].

وأما ثالثهم فهو "علي بن الحسن بن عنتر بن ثابت المعروف بشميم الحلي، أبو الحسن، النحوي، اللغوي، الشاعر، قدم بغداد، وبها تأدب، ثم توجه تلقاء الموصل والشام وديار بكر،... مات بالموصل عن سن عالية"[٣]. و"قال أبو شامة: كان قليل الدين، ذا حماقة ورقاعة"[٤]، و"كان ذا تيه وحمق ودعاوٍ كثيرة تزري بكثرة فضائله...، وكان جم الفضيلة، إلا أنه كان بذيء اللسان، كثير الوقوع في الناس، متعرضًا لثلب أعراضهم، لا يثبت لأحد في الفضل شيئاً"[٥].

قال ياقوت الحموي: "وكان من العلم بمكان مكين، واعتلق من حباله بركن ركين، إلا أنه كان لا يقيم لأحد من أهل العلم المتقدمين ولا المتأخرين وزنًا، ولا يعتقد لأحد فضيلة، ولا يقر لأحد بإحسان في شيء من العلوم، فحضرت عنده وسمعت من لفظه ازدراءه على أولي الفضل، وتنديده بالمعيب عليهم بالقول والفعل، فلما أبرمني وأضجر، وامتد في غيه وأصحر، قلت له: أما كان فيمن تقدم على كثرتهم وشغف الناس بهم عندك قط مجيد؟ فقال: لا أعلم إلا أن يكون ثلاثة رجال: المتنبي في مديحه خاصة، ولو سلكت طريقه لما برز علي، ولسقت فضيلته نحوي ونسبتها إلي. والثاني ابن نباتة في خطبه، وإن كانت خطبي أحسن منها، وأظهر عند الناس قاطبة وأشهر. والثالث ابن الحريري في مقاماته. قلت: فما منعك أن تسلك طريقته وتنشئ مقامات تخمد بها جمرته وتملك بها دولته؟ فقال: يا بني، الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، ولقد أنشأتها ثلاث مرات، ثم أتأملها فاسترذلها، فأعمد إلى البركة فأغسلها"[٦]، فكان إتلافه لمقاماته لعدم رضاه عن جودتها.

---

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٣ ، ص٩٤ .

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٨ ، ص٨٩ .

(٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢ ، ص٤٣ .

(٤) الزركلي: الأعلام، ج٤ ، ص٢٧٤ .

(٥) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥ ، ص٤ .

(٦) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢ ، ص٢٦٣ .

وهكذا أتلف ثلاثة عشر مؤلفًا مؤلفاتهم إما لوجود أخطاء علمية بها، أو لندمهم عما كتبوه فيها، أو لعدم رضاهم عنها، إلا أن الرابط بين هؤلاء الثلاثة عشر هو الرجوع عما في مؤلفاتهم.

٣ - الخوف من تحريفها بعد موتهم

تحريف المؤلفات بعد موت مؤلفيها أمر وارد، جعل المؤلفين "يصبون جام غضبهم ولعناتهم على من يحرف في كتابه أو ينهبه أو ينسبه لنفسه أو لغيره، أو يطمس معالمه، سواء من النساخين أو من المؤلفين"(١)؛ مثال ذلك ما جاء بكتاب "مروج الذهب" للمسعودي، ما نصه: "فمن حَرَّفَ شيئًا من معنى هذا الكتاب، أو أزال ركنًا من مَبْنَاه، أو طَمَسَ واضحة من معانيه، أو لَبَّسَ شاهرة من تراجمه، أو غَيَّره، أو بَدَّله، أو انتحله، أو اختصره، أو نسبة إلى غيرنا، أو أضافه إلى سوانا، أو أسقط منه ذكرنا، فوافاه من غضب الله وسرعة نقمته وفَوَادح بلاياه ما يعجز عنه صَبْرُه، ويَحَار له فكره، وجعله الله مُثْلَةً للعالمين، وعبرة للمعتبرين، وآية للمتوسمين، وسلبه الله ما أعطاه، وحال بينه وبين ما أنعم به عليه من قوة ونعمة مُبْدِعُ السموات والأرض، من أيِّ الملل كان أو الآراء، إنه على كل شيء قدير، وقد جعلنا هذا التخويف في أول كتابنا هذا وآخره، وكذلك نقول في سائر ما تقدم من تصنيفنا، ونظمناهُ من تأليفنا، فليراقب امرؤ ربه، وليحاذر منقلبه، فالمدة يسيرة، والمسافة قصيرة، وإلى الله المصير"(٢).

هذا الخوف دفع اثني عشر مؤلفًا - يمثلون ١٨٪ من مجتمع الدراسة - إلى إتلاف مؤلفاتهم، وقد أشار الذهبي إلى وقوع مثل ذلك بقوله: "فعل هذا بكتبه من الدفن والغسل والإحراق عدة من الحفاظ خوفًا من أن يظفر بها محدث قليل الدين، فيغير فيها، ويزيد فيها، فينسب ذلك إلى الحافظ، وما وجدوا لذلك سوى الإعدام"(٣)، وقال في موضع آخر: "هذا قد فعله غير واحد بالغسل، وبالحرق، وبالدفن، خوفًا من أن تقع في يد إنسان واهٍ، يزيد فيها أو يغيرها"(٤)، ولم يذم أو يقدح من فعل ذلك من العلماء، بل التمس لهم العذر، بقوله: "كل من حاقق نفسه في صحة نيته في طلب العلم يخاف من مثل هذا، ويود أن ينجو كفافًا"، أي يخاف من أن تُحرَّف كتبه بعد موته، فيتحمل هو

---

(١) شعبان عبد العزيز خليفة: الكتب والمكتبات في العصور الوسطى (الشرق المسلم والشرق الأقصى)، ص٧٦ .

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج٢ ، ص٢١٦ .

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١ ، ص٣٩٦ .

(٤) المرجع السابق، ج٧، ص٢١٢

أوزار تحريفها"(١).

ولمثل ذلك أشار الخطيب البغدادي أيضًا، بقوله: "وكان غير واحد من المتقدمين إذا حضرته الوفاة أتلف كتبه أو أوصى بإتلافها، خوفًا من أن تصير إلى من ليس من أهل العلم، فلا يعرف أحكامها، ويحمل ما فيها على ظاهره، وربما زاد فيها ونقص، فيكون ذلك منسويًا إلى كاتبها في الأصل، وهذا كله وما أشبهه قد نقل عن المتقدمين الاحتراس منه"(٢). وأضاف ابن حجر العسقلاني بُعدًا آخر لذلك المبرر، هو أن هؤلاء العلماء أتلفوا كتبهم لأنهم يرون عدم جواز رواية كتبهم بالوجادة، بل يرون أن من فعل ذلك وجب تضعيفه. و"سئل ابن حجر عن قوم أتلفوا كتبهم "فقال: لم يكونوا يرون أنه لا يجوز لأحد روايتها لا بالإجازة ولا بالوجادة، بل يرون أنه إذا رواها أحد بالوجادة يضعف، فرأوا أن مفسدة إتلافها أخف من مفسدة تضعيف بسببهم"(٣).

لهذا المبرر أتلف مؤلفاته عبيدة بن عمرو السلماني (ت٧٢هـ)، وأبو قلابة الجرمي (ت١٠٤هـ)، وطاووس بن كيسان (ت١٠٦هـ)، وشعبة بن الحجاج(ت١٦٠هـ)، وعبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ)، وعيسى بن يونس (ت١٨٨هـ)، وإسحاق بن راهوية (ت٢٣٧هـ)، ومجاهد بن موسى (ت٢٤٤هـ)، وأبو كريب الهمداني (ت٢٤٨هـ)، ومحمد بن يحيى الذهلي (ت٢٥٨هـ)، وموسى بن هرون (ت٢٩٤هـ)، والنووي (ت٦٧٦هـ).

فأما عبيدة السلماني، وأبو قلابة الجرمي، وعيسى بن يونس. فقد أشاروا صراحة إلى أنهم أتلفوا كتبهم خشية تحريفها من بعدهم؛ وأولهم " عبيدة بن عمرو السلماني، أبو مسلم ويقال أبو عمر صاحب ابن مسعود، قال: أسلمت وصليت قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنين ولم أره، وهو من كبار أصحاب ابن مسعود الفقهاء، وهو من أصحاب علي أيضاً"(٤)، و"قيل عبيدة بن عمرو بن قيس، من مراد، الهمداني من أهل الكوفة"(٥)، وهو "تابعي كبير، مخضرم، فقيه، ثبت"(٦)، ولما حضرته الوفاة دعا بكتبه فمحاها، وذكر مبرر إتلافها قائلاً: "أخشى أن يليها أحد بعدي فيضعوها في غير مواضعها"(٧).

---

(١) المرجع السابق، نفسه.

(٢) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١ ، ص٦١ .

(٣) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١ ، ص ٥٢ .

(٤) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١ ، ص٣١٤.

(٥) ابن حبان: الثقات، ج٥ ، ص١٣٩ .

(٦) ابن حجر العسقلاني: تقريب التهذيب، ج١ ، ص ٦٥٤.

(٧) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١ ، ص٦١ .

أما أبو قلابة الجرمي فاسمه "عبد الله بن زيد، وكان ثقة كثير الحديث، وكان ديوانه بالشام...، من الفقهاء ذوي الألباب"[١]. وعند موته خاف على كتبه أن تقع في يد إنسان واهٍ، يزيد فيها ويغير؛ ولذا اشترط أن تذهب كتبه إلى أيوب فقط وليس لغيره، وإن لم يكن أيوب حيًا فيجب إتلافها؛ "قال حماد بن زيد: أوصى أبو قلابة قال: ادفعوا كتبي إلى أيوب إن كان حيًا، وإلا فأحرقوها"[٢].

وأما "عيسى بن يونس بن إسحاق السبيعي الهمداني الكوفي، أبو عمرو، سكن ناحية الشام...، وقدم بغداد وحدث بها...، قال الوليد بن سلم: ما أبالي من خالفني في الأوزاعي ما خلا عيسى بن يونس، فإني رأيت أخذه أخذًا محكمًا،... وقال سليمان بن داود: كنا عند ابن عيينة فجاء عيسى بن يونس فقال: مرحبًا بالفقيه ابن الفقيه ابن الفقيه...، وقال إسحاق بن راهوية: قلت لوكيع: إني أريد أن أذهب إلى عيسى بن يونس، فقال: تأتي رجلاً قد قهر العلم"[٣]. وقد حرّف بعضهم بعض كتبه في حياته؛ قال بشر ابن الحارث: " كان عيسى بن يونس يعجبه خطي، فكان يأخذ القرطاس فيقرأه علي، قال فكتبت من نسخة قوم شيئًا ليس من حديثه، قال: كأنهم لما رأوا إكرامه لي أدخلوا عليه في حديثه، قال: فجعل يقرأ علي ويضرب على تلك الأحاديث، فغمني ذلك، فقال: لا يغمك لو كان واوًا ما قدروا على أن يدخلوه علي، أو قال: لو كان واوًا لعرفته"[٤]. ولعل هذه الواقعة هي التي دفعته لإتلاف كتبه، أو ألهم بإتلافها. قال بشر بن الحارث: "سمعت عيسى بن يونس يقول: إني لأهم بها أن أحرقها، يعني كتبه"[٥]، فإذا كان قد حرَّف بعضهم كتبه في حياته، فماذا هم فاعلون بعد موته؟!

وأما عبد الله بن المبارك، ومحمد بن يحيى الذهلي. فقد أشار الحاكم أنهما أتلفا كتبهما خوفًا عليها من التصحيف والتحريف بعد موتهما؛ "قال أبو عبد الله الحاكم: إسحاق، وابن المبارك، ومحمد بن يحيى- هؤلاء دفنوا كتبهم، وفعله عدة من الأئمة،... فإن الخط قد يتصحف على الناقل، وقد يزاد في الخط حرف فيغير المعنى"[٦].

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧ ، ص١٨٣ .

(٢) المرجع السابق، ص١٨٥ .

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٤٨ ، ص٣١-٣٦ .

(٤) المرجع السابق، ج٤٨ ، ص٣٧ .

(٥) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١ ، ص٦٢ .

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١ ، ص٣٧٧ .

وابن المبارك هو "عبد الله بن المبارك بن واضح، شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، أبو عبد الرحمن الحنظلي، مولاهم التركي، ثم المروزي، الحافظ، الغازي، أحد الأعلام، وكانت أمه خوارزمية،... ارتحل إلى الحرمين، والشام، ومصر، والعراق، والجزيرة، وخراسان، وحدث بأماكن،... قال أبو أسامة: ابن المبارك في المحدثين مثل أمير المؤمنين في الناس،... وقال إسماعيل بن عياش: ما على وجه الأرض مثل ابن المبارك، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلا وقد جعلها في عبد الله بن المبارك،... قال سفيان الثوري: إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة مثل ابن المبارك، فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام، اجتمع جماعة مثل الفضل بن موسى، ومخلد بن الحسين، فقالوا: تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والزهد، والفصاحة، والشعر، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والغزو، والشجاعة، والفروسية، والقوة، وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف، وقلة الخلاف على أصحابه،... كان فضيل وسفيان ومشيخة جلوسًا في المسجد الحرام، فطلع ابن المبارك من الثنية، فقال سفيان: هذا رجل أهل المشرق، فقال فضيل: رجل أهل المشرق والمغرب وما بينهما"(١).

ومحمد بن يحيى الذهلي، "هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي، الإمام، العلامة، الحافظ، البارع، شيخ الإسلام، وعالم أهل المشرق، وإمام أهل الحديث بخراسان،... وكان بحراً لا تكدره الدلاء،... كانت له جلالة عجيبة بنيسابور، من نوع جلالة الإمام أحمد ببغداد، ومالك بالمدينة"(٢)، قال أبوعمرو المستملي: "دفنت من كتب محمد بن يحيى بعد وفاته ألفي جزء"(٣).

وأما طاووس بن كيسان، وشعبة بن الحجاج، وإسحاق بن راهوية، ومجاهد بن موسى، و أبو كريب الهمداني، وموسى بن هرون، والنووي- فقد أتلفوا كتبهم بعد أن أدوا ما فيها إلى تلاميذهم، فلم يروا بأسًا في إتلافها، خوفًا من تحريفها بعد موتهم.

و"طاووس بن كيسان، هو أبو عبد الرحمن، من أبناء الفرس، الهمداني، اليماني، الخولاني"(٤)، "وكان رأساً في العلم والعمل، قال عنه عمرو بن دينار: ما رأيت أحدًا مثل

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨ ، ص ٣٨٨، ٣٨٩ .
(٢) المرجع السابق، ج١٢ ، ص٢٧٤ .
(٣) المرجع السابق، ج١٢ ، ص٢٧٨ .
(٤) البخاري: التاريخ الكبير، ج٤ ، ص٣٦٥ .

طاووس"(١). وهو "أحد الأئمة الأعلام...، من عباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، حج أربعين حجة، وكان مستجاب الدعوة"(٢)، "أخذ كثيرًا من علم ابن عباس رضي الله تعالى عنه"(٣)، وكان يؤدي هذا العلم إلى طلابه، لكنه بعد أن يؤدي العلم من الصحف، كان يتلفها؛ فكان "إذا اجتمعت عنده الرسائل أمر بها فأحرقت"(٤). لأنه كان يخشى أن يليها أحد من بعده قليل الدين فيحرفها، فقد كان يرى أن كثيرًا من الناس قد ذهبت منهم الأمانة؛ وكان يقول: "ما تعلمتَ العلم فتعلمه لنفسك، فإن الناس قد ذهبت منهم الأمانة"(٥).

أما شعبة بن الحجاج، فهو " شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، الواسطي ثم البصري، أبو بسطام، من أئمة رجال الحديث حفظًا ودراية وتثبتًا، ولد ونشأ بواسط، وسكن البصرة إلى أن توفي، وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين، وجانب الضعفاء والمتروكين، قال الإمام أحمد: هو أمة وحده في هذا الشأن، وقال الشافعي: لولا شعبة ما عُرف الحديث بالعراق. وكان عالمًا بالأدب والشعر"(٦)، وقد أوصى ابنه أن يتلف كتبه بعد موته؛ "قال سعد بن شعبة: قال لي أبي: يا بني، إذا أنا مت فاغسل كتبي وادفنها، فلما مات غسلت كتبه ودفنتها"(٧)، ومبرر ذلك أنه قد أدى إلى طلابه كل العلم الذي في كتبه؛ "قال: كان سعد بن إبراهيم يكتب عني الحديث، ما بقى من حديثي شيء إلا كتبه عني"(٨)، فبعد أن أدى ما في كتبه من علم، لم يجد بدًا من إتلافها، فلربما خشي عليها من التحريف والتصحيف بعد موته.

وأما إسحاق بن راهوية، فهو "إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم، أبو يعقوب الحنظلى، أحد أئمة الإسلام، رحل إلى العراق، واليمن والشام، وعاد فاستوطن نيسابور، قال محمد بن أسلم الطوسي حين مات إسحاق الحنظلى: ما أعلم أحدًا كان أخشى لله من إسحاق، وكان أعلم الناس، ولو كان سفيان الثوري في الحياة لاحتاج إلى إسحاق"(٩)، "وكان إسحاق من سادات زمانه فقهًا وعلمًا وحفظًا ونظرًا، ممن صنف الكتب وفرع

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١ ، ص٦٩ .
(٢) السيوطي: إسعاف المبطأ برجال الموطأ، ج١ ، ص ١٤ .
(٣) ابن حجر العسقلاني: تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ج١ ، ص٢١ .
(٤) ابن أبي شيبة: مصنف ابن أبي شيبة، ج٩ ، ص١٦ .
(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥ ، ص٥٤١ .
(٦) الزركلي: الأعلام، ج٣ ، ص١٦٤ .
(٧) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١ ، ص٦٢ .
(٨) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٩ ، ص٢٦٠ .
(٩) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٤ ، ص١١٦ .

السنن، وذبَّ عنها وقمع من خالفها"(1). قال أحمد بن سعيد الرياطي في بيان فضله "والله لو كان الثوري وابن عيينة والحمادان في الحياة لاحتاجوا إلى إسحاق في أشياء كثيرة"(2)، وقال إسحاق عن نفسه موضحًا مدى حفظه: "ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومي هذا، ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته، ولا أحببت أن يعيده علي"(3). "وقال أبو داود الخفاف: أملى علينا إسحاق بن راهوية أحد عشر ألف حديث من حفظه، ثم قرأها علينا، فما زاد حرفًا ولا نقص حرفًا"(4)، وقال إسحاق "كتب عني يحيى بن آدم ألفي حديث"(5)، و"قال أحمد بن سلمة: سمعت أبا حاتم الرازي يقول ذكرت لأبي زرعة حفظ إسحاق بن راهويه فقال أبو زرعة: ما رئي أحفظ من إسحاق، ثم قال أبو حاتم: والعجب من إتقانه، وسلامته من الغلط مع ما رزق من الحفظ، فقلت لأبي حاتم: إنه أملى التفسير عن ظهر قلب، قال: وهذا أعجب، فإن ضبط الأحاديث المسندة أسهل وأهون من ضبط أسانيد التفسير وألفاظها"(6)، وأملى المسند كله من حفظه وأداه إلى طلابه؛ "قال إبراهيم بن أبي طالب الحافظ: فاتني عن إسحاق مجلس من مسنده، وكان يمليه حفظًا، فترددت إليه مرارًا ليعيده، فتعذر، فقصدته يومًا لأسأله إعادته، وقد حملت إليه حنطة من الرستاق، فقال لي: تقوم عندي وتكتب وزن هذه الحنطة، فإذا فرغت، أعدت لك، ففعلت ذلك، فسألني عن أول حديث من المجلس، ثم اتكأ على عضادة الباب، فأعاد المجلس حفظًا، وكان قد أملى المسند كله حفظًا"(7).

وأما "مجاهد بن موسى بن فروخ الخوارزمي، أبو علي الختلي"(8)، فهو "الزاهد، نزيل بغداد"(9). قال الخطيب البغدادي بعد أن ذكر سند واقعة الإتلاف "قال لنا مجاهد ابن موسى، وكان إذا حدَّث بالشيء رمى بأصله في دجلة، فجاء يومًا ومعه طبق، فقال: هذا بقي، وما أراكم تروني بعدها، فحدثنا به، ورمى به، ثم مات بعد ذلك"(10). والشاهد

(١) ابن حبان: الثقات، ج٨ ، ص ١١٦ .
(٢) المزي: تهذيب الكمال، ج٢ ، ص ٣٨١ .
(٣) المرجع السابق، ج٢ ، ص ٣٨٤ .
(٤) المرجع السابق، ج٢ ، ص ٣٨٥ .
(٥) المرجع السابق، ج٢ ، ص ٣٨٠ .
(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١ ، ص٣٧٣ .
(٧) المرجع السابق، ج١١، ص٣٧٣، ٣٧٤ .
(٨) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج١٠ ، ص٤١ .
(٩) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥ ، ص١٢٥٦ .
(١٠) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٣ ، ص٢٦٥ .

من هذه الواقعة أنه ما أتلفها إلا بعد أن روى ما فيها، ومن ثم خاف لو تركها بعد موته أن تقع في يد إنسان واهٍ يبدل فيها ويغير، فأتلفها.

وأبو كريب الهمداني، هو "محمد بن العلاء بن كريب الهمداني الكوفي"[١]، الحافظ، الثقة، الإمام، شيخ المحدثين،... قال محمد بن عبد الله بن نمير: ما بالعراق أكثر حديثًا من أبي كريب، ولا أعرف بحديث بلدنا منه، وثقه النسائي وغيره، وقال أبو حاتم: صدوق، وقال أبو عمرو أحمد بن نصر الخفاف: ما رأيت من المشايخ بعد إسحاق أحفظ من أبي كريب"[٢]. وقد أوصى بإتلاف كتبه، وذكر ذلك الذهبي فقال: "قال حطين: أوصى أبو كريب بكتبه أن تدفن، فدفنت"[٣]، ثم علق الذهبي على ذلك بقوله: "فعل هذا بكتبه من الدفن والغسل والإحراق عدة من الحفاظ خوفًا من أن يظفر بها محدث قليل الدين، فيغير فيها ويزيد فيها، فينسب ذلك إلى الحافظ...، فلهذا ونحوه دفن- رحمه الله- كتبه"[٤]. وبالفعل كان أبو كريب قد روى أحاديثه، وأداها؛ "قال موسى بن إسحاق: سمعت من أبي كريب مئة ألف حديث...، وقال ابن عقدة: ظهر لأبي كريب بالكوفة ثلاثمئة ألف حديث"[٥].

وأما موسى بن هارون، فهو "ابن عبد الله، أبو عمران البغدادي، البزاز، الحافظ، كان إمام وقته، حفظ الحديث وعلله، قال أبو بكر الضيعي: ما رأينا في حفاظ الحديث أهيب ولا أورع من موسى بن هرون،... وقال ابن ناصر الدين هو محدث العراق، وكان إمامًا حافظًا حجة"[٦]، وقال أبو الطاهر الجنايدي: "كان موسى بن هرون يقرأ علينا، فإذا فرغ من الجزء رمى بأصله في دجلة، ويقول: لقد أديته"[٧]، وبقوله "لقد أديته" اتضح مبرر إتلافه لكتبه.

وأما النووي فهو "أبو زكريا، يحيى ابن الشيخ الزاهد الورع ولى الله أبى يحيى شرف ابن مري، بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام، ذو التصانيف المفيدة، والمؤلفات الحميدة، أوحد دهره وفريد عصره، الصوام، القوام، الزاهد في

(١) البخاري: التاريخ الصغير، ج٢ ، ص ٣٥٥.
(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١ ، ص٣٩٤، ٣٩٥ .
(٣) المرجع السابق ج ١١ ، ص٣٩٦ .
(٤) المرجع السابق، نفسه.
(٥) المرجع السابق، ج١١، ص٣٩٥- ٣٩٦ .
(٦) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٢ ، ص٢١٧ .
(٧) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ج١ ، ص٢٨٨ .

الدنيا الراغب في الآخرة"(١). "جاء في ترجمته أنه إذا أملى اللوح على تلاميذه غمسه في الماء، ثم كتب غيره"(٢)، فلعله يرى أنه قد أدى ما عليه، بإملائه ما في اللوح لتلاميذه، فلا داعٍ لتركها حتى لا يحرفها أحد بعد موته.

هكذا أتلف هؤلاء الاثنا عشر مؤلفًا كتبهم بدافع الخوف عليها بعد مماتهم من أن تقع في يد إنسان واهٍ فيزيد فيها وينقص، وينسب ذلك إليهم.

٤ - خوف الاتكال على الكتاب وإهمال الحفظ

"ظهر في بعض مراحل الحضارة الإسلامية من يركّز على الحفظ، ويشجع عليه، ويحثّ عليه على حساب التسجيل بالكتب، وقد قيل إن العلم في الصدور لا في السطور، وجاء هذا من باب المفاضلة بين الحفظ والكتاب"(٣).

من هذا المنطلق وبدافع الخوف من الاتكال على الكتاب وترك الحفظ أتلف ثمانية مؤلفين كتبهم، وهم يمثلون ١٢٪ من مجتمع الدراسة، وهؤلاء هم: مسروق بن الأجدع (ت٦٣هـ)، ومحمد بن سيرين (ت١١٠هـ)، وابن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ)، وخالد الحذاء (ت١٤٢هـ)، وهشام بن حسان (ت١٤٧هـ)، وعاصم بن ضمرة (ت١٧٤هـ)، وهشيم بن بشير (ت١٨٣هـ)، وعبد الرحمن بن سلمة الجمحي (ت٢٦٨هـ).

ومعلوم أن وجود الكتاب قد يجعل صاحبه يعتمد عليه، ومن ثم تقل ملكة الحفظ عنده أو تضعف. قال إبراهيم النخعي مؤكدًا هذا المعنى: "وقلّ ما كتب رجل كتابًا إلا اتكل عليه"(٤)، ولذا "نُهِيَ عن الاتكال على الكتاب؛ لأن ذلك يؤدي إلى اضطراب الحفظ، حتى يكاد يبطل، وإذا عدم الكتاب قوي لذلك الحفظ الذي يصحب الإنسان في كل مكان"(٥)، بخلاف الكتب التي قد تكون معه أحيانًا ولا تكون معه أحيانًا أخرى، وقد أُثر عن سفيان الثوري قوله: "بئس مستودع العلم القراطيس"(٦)؛ لذا حرص العلماء على تلقي العلم بصدورهم لا بسطورهم، وكان ذلك مصدر شرف واعتزاز للعالم، حتى كان يمدح العالم بدرجة حفظه ومقدار ما يحفظ، وحرص العلماء على ذلك الشرف؛ "قال

---

(١) ابن العطار، أبو الحسن علي بن إبراهيم بن داود: تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين، ج ١، ص٣ .

(٢) أحمد بن عبد الله الباتلي: علماء احترقت كتبهم أو دفنت أو غرقت أو محيت: لطائف وأخبار، ص٤١.

(٣) محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام، نشأتها وتطورها ومصائرها، ص١٩٨.

(٤) القرطبي: جامع بيان العلم، ج١ ، ص١٣٨ .

(٥) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١ ، ص٥٩ .

(٦) المرجع السابق، ج١، ص٥٨ .

الأوزاعي: كان هذا العلم شيئًا شريفًا، إذ كان من أفواه الرجال يتلقونه ويذاكرونه، فلما صار في الكتب ذهب نوره، وصار إلى غير أهله"(١).

كل ذلك جعل هؤلاء المؤلفين يتلفون ما كتبوه، ليس من باب الإضرار، ولكن حفاظًا على ملكة الحفظ. وأول من فعل ذلك هو مسروق بن الأجدع، وهو "ابن مالك الهمداني، الوادعي، أبوعائشة، تابعي، ثقة، من أهل اليمن، قدم المدينة في أيام أبي بكر، وسكن الكوفة"(٢)، وهو "الإمام، القدوة، العَلَم،... وعداده في كبار التابعين وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم،... كان أعلم بالفتوى من شريح"(٣)، ومن فضله وعبادته أنه "حج فلم ينم إلا ساجدًا على وجهه حتى رجع، وقالت امرأته عنه إنه "كان يصلي حتى تورم قدماه"(٤)، وقال أحمد بن حنبل في بيان فضل علمه "قال ابن عيينة: بقي مسروق بعد علقمة لا يفضل عليه أحد"(٥)، وذلك لهمته العالية في طلب العلم، وقال الشعبي في بيان ذلك: "ما علمت أن أحدًا كان أطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق"(٦)، إلا أنه كان يكتب العلم ليحفظه، فإذا حفظه لم يجد مبررًا لبقاء الصحف، فكان يتلفها، ويقول: "إنما أريد أن أحفظها ثم أحرقها"(٧)، حتى لا يتكل على الصحف.

ولنفس المبرر أتلف ابن سيرين كتبه، وهو "محمد بن سيرين البصري، الأنصاري، أبو بكر، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي، من أشراف الكتاب"(٨)، "وكان من أورع أهل البصرة، فقيهًا، فاضلاً، حافظًا، متقنًا، يعبر الرؤيا"(٩)، وهو "الإمام في التفسير، والحديث، والفقه، وعبر الرؤيا، والمقدم في الزهد والورع"(١٠)، وفي بيان مدى ورعه قال بكر بن عبد الله المزني: "من سره أن ينظر إلى أورع أهل زمانه فلينظر إلى محمد بن سيرين، فوالله ما أدركنا من هو أورع منه"(١١)، و"قال محمد بن جرير الطبري:

(١) القرطبي: جامع بيان العلم، ج١، ص١٣٨.
(٢) الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٢١٥.
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٦٣-٦٥.
(٤) المرجع السابق، ج٤، ص٦٥.
(٥) المرجع السابق، ج٤، ص٦٧.
(٦) المرجع السابق، ج٤، ص٦٥.
(٧) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٥٨- ٥٩.
(٨) الزركلي: الأعلام، ج٦، ص١٥٤.
(٩) ابن حبان: الثقات، ج٥، ص٣٤٩.
(١٠) النووي: أبو زكريا محيى الدين بن شرف: تهذيب الأسماء واللغات، ج١، ص١١٢.
(١١) الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج٢، ص ٢٦٦.

كان ابن سيرين فقيهًا، عالمًا، ورعًا، أديبًا، كثير الحديث، صدوقًا، شهد له أهل العلم والفضل بذلك، وهو حجة"[١]. وعلى الرغم من هذا العلم الغزير، والفضل الكبير، فقد رُوِي عنه أنه كان يتلف ما يكتب، ولكن بعد أن يحفظه، "فإذا حفظه محاه"[٢]. فكان هذا الإتلاف بغرض الحفاظ على ملكة الحفظ، وعدم الاعتماد على الكتاب.

ومثلهما فعل ابن شهاب الزهري، وهو "محمد بن مسلم بن عبد الله، بن عبد الله ابن شهاب الزهري، أبو بكر المدني، أحد الأعلام، نزل الشام،... وكان أحفظ أهل زمانه، وأحسنهم سياقًا بمتون الأخبار، وكان فقيهًا فاضلاً"[٣]، قال عنه عمرو بن دينار: "ما رأيت أحدًا أبصر للحديث من ابن شهاب، وقال أيوب: ما رأيت أحدًا أعلم من الزهري، وقال عنه مكحول: ما أعلم أحدًا أعلم بسنة ماضية من الزهري، وقال الليث: وما رأيت عالمًا قط أجمع من ابن شهاب، ولا أكثر علمًا منه، ولو سمعت ابن شهاب يحدث في الترغيب لقلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدَّث عن الأنبياء وأهل الكتاب لقلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدَّث عن العرب والأنساب قلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدَّث عن القرآن والسنة كان حديثه بوعي جامع"[٤]، وكان يقول عن قوة حافظته: "ما استودعت قلبي علمًا قط فنسيته"[٥]، وحكم له بذلك أبو زرعة، حينما سئل أيهما أحفظ الزهري أم عمرو بن دينار؟ "فقال الزهري أحفظ الرجلين"[٦]. وقال عكرمة: "كنا نأتي الأعرج ويأتيه ابن شهاب، فنكتب ولا يكتب ابن شهاب، قال: فربما كان الحديث فيه طول، فيأخذ ابن شهاب ورقة من ورق الأعرج - وكان الأعرج يكتب المصاحف - فيكتب ابن شهاب ذلك الحديث في تلك القطعة، ثم يقرأه، ثم يمحوه مكانه، وربما قام بها معه، فيقرأها، ثم يمحوها"[٧].

ولم يكن هذا الإتلاف سببًا في ضياع علم الزهري؛ إذ "جمع حديثه الإمام أبو عبد الله محمد بن يحيى بن خالد الذهلي (ت٢٥٨هـ)، وسماه الزهريات"[٨]، كما أن الزهري قد بلغ علمه للكثير، حتى بلغ ما كتب من علمه عدة أحمال للدواب. "قال عبد الرزاق:

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٦١.
(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٩٥.
(٣) السيوطي: إسعاف المبطأ برجال الموطأ، ج١، ص٢٦.
(٤) الأصبهاني: حلية الأولياء، ج٣، ص٣٦٠- ٣٦١.
(٥) السيوطي: إسعاف المبطأ برجال الموطأ، ج١، ص٢٦.
(٦) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٨، ص٧٤.
(٧) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٥٩.
(٨) الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال، ج١، ص٥٦.

سمعت معمرًا يقول: كنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خِزانته، يقول من علم الزهري"[١]. وهكذا كان مبرر الزهري في محو ما كتب هو خوف الاتكال على المكتوب.

ورابع من أتلف خوفًا من الاتكال على الكتاب خالد الحذاء، "الحافظ، الثبت، أبو المنازل، خالد بن مهران، البصري، محدث البصرة"[٢]، "قال ابن حبان في التابعين من الثقات"[٣]، ووثقه يحيى بن معين بقوله: "خالد الحذاء ثقة"[٤]، وزاد ابن سعد: "كان خالد ثقة، مهيبًا، كثير الحديث"[٥]. كان ديدنه الحفظ لا الكتابة، قال عنه فهد بن حيان: "كان حافظًا، مهيبًا، ليس له كتاب"[٦]، وكان ذلك لخوف الاتكال على الكتابة فلما قُرئ عليه حديث طويل، لم يجد بدًا من كتابته، فكتبه، فلما حفظه أتلف كتابه؛ قال عن نفسه: "ما كتبت شيئًا قط، إلا حديثًا طويلاً، فلما حفظته محوته"[٧].

كذلك كان يفعل "هشام بن حسان، الأزدي، أبو عبد الله، القردوسي"[٨]، "الحافظ، محدِّث البصرة، صحب الحسن وابن سيرين، قال ابن عيينة: كان أعلم الناس بحديث الحسن، وقال في المغني: هشام بن حسان ثقة مشهور"[٩]، و"يقال إن عنده ألف حديث حسن، ليست عنده غيره"[١٠]، "كلها في صدره يحفظها، فما كان له كتب يكتب فيها. قال إبراهيم بن المغيرة المروزي، قلت لهشام بن حسان أخرج إليَّ بعض كتبك، قال ليس لي كتب"[١١]، وقال هشام عن نفسه: "ما كتبت للحسن وابن سيرين قط إلا حديث الأعمال؛ لأنه طال علي فكتبته، فلما حفظته محوته"[١٢]، وهكذا كانت الكتابة من أجل الحفظ، فلما حفظ أتلف ما كتب.

(١) الأصبهاني: حلية الأولياء، ج٣، ص٣٦١.

(٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص١١٢.

(٣) البخاري: التاريخ الكبير، ج٣، ص١٧٣.

(٤) الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب المالكي: التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، ج٢، ص ٥٦٥.

(٥) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٣، ص١٠٥.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص١٩٢.

(٧) المرجع السابق، نفسه.

(٨) الزركلي: الأعلام، ج٨، ص٨٥.

(٩) ابن العماد: شذرات الذهب، ج١، ص٢٢٠.

(١٠) العجلي: معرفة الثقات، ج٢، ص٣٢٨.

(١١) المزي: تهذيب الكمال، ج٣٠، ص١٨٥.

(١٢) المرجع السابق، ج٣٠، ص ١٨٦.

ولنفس المبرر أتلف "عاصم بن ضمرة السلولي الكوفي(١)" كتبه، "وهو تابعي، ثقة"(٢)، "وثقه ابن المديني، وقال النسائي: ليس به بأس"(٣)، وهو كما قال ابن حجر العسقلاني: "صدوق"(٤)، و"قال علي بن المديني وأحمد بن عبد الله وغيرهما: هو ثقة"(٥)، ونقل ابن الجوزي كلاماً لابن عدي ولابن حبان مخالفًا لكل ذلك، فقال: "قال ابن عدي: ينفرد عن علي بأحاديث باطلة لا يتابعه الثقات عليها، والبلية منه، وقال ابن حبان: كان رديء الحفظ، فاحش الخطأ"(٦). وسواء كان ثقة أو مجروحًا، فقد كان "يسمع الحديث ويكتبه، فإذا حفظه دعا بمقراض فقرضه"(٧).

وسابع هؤلاء "هشيم بن بشير بن أبي حازم، قاسم بن دينار السلمي، أبو معاوية، الواسطي، نزيل بغداد، مفسر، من ثقات المحدثين،... وكان محدث بغداد(٨)"، وعن قوة حافظته قال محمد بن حاتم المؤدب: "قيل لهشيم: كم كنت تحفظ يا أبا معاوية؟ قال: كنت أحفظ في مجلس مائة، ولو سئلت عنها بعد شهر لأجبت"(٩)، وقد كانت عادته الحفظ لا الكتابة؛ "قال إسحاق الأزرق: ما رأيت مع هشيم ألواحًا، إنما كان يجيء إلى المجلس فيسمع ويقوم، يعني يكتفي بحفظه(١٠)"، و"قال عبد الله بن المبارك- مبيناً قوة حفظه -على الرغم من مرور الزمن- من غير الدهر حفظه، فلم يغيِّر حفظ هشيم"(١١)، وعن مقدار ما يحفظ "قال يعقوب الدورقي: كان عند هشيم عشرون ألف حديث"، ولفضله ولعلمه لزمه الإمام أحمد بن حنبل، وقال: "لزمت هشيمًا أربع سنين"(١٢). وهذه الملكة في الحفظ التي منَّ الله بها على هشيم، كان لا يحب أن يهملها هشيم بالكتابة؛ ولذا رُوِي عنه أنه خرَّق كتابًا له فيه أحاديث في واقعة بينه وبين شعبة ذكرها الذهبي في "سير أعلام النبلاء": "قال شعبة: خرجت أنا وهشيم إلى مكة، فلما قدمنا الكوفة،

(١) البخاري: التاريخ الكبير، ج١، ص٣٨٢.
(٢) العجلي: معرفة الثقات، ج٢، ص٨.
(٣) الذهبي: الكاشف، ج١، ص٥١٩.
(٤) ابن حجر: تقريب التهذيب، ج١، ص٤٧٢.
(٥) النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ج١، ص٢٥٩.
(٦) ابن الجوزي: الضعفاء والمتروكين، ج٢، ص٦٩.
(٧) الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ج١، ص٣٨٢ .
(٨) الزركلي: الأعلام، ج٨، ص٨٩.
(٩) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٢، ص١٦.
(١٠) الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج٢، ص٣٠٦- ٣٠٨.
(١١) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٨٣.
(١٢) المرجع السابق، نفسه.

رآني هشيم مع أبي إسحاق، فقال: من هذا؟ قلت: شاعر السبيع، فلما خرجنا، جعلت أقول له: حدثنا أبو إسحاق، قال: وأين رأيته، قلت هو الذي قلت لك شاعر السبيع، فلما قدمنا مكة مررت به وهو قاعد مع الزهري، فقلت: يا أبا معاوية من هذا، قال شرطي لبني أمية، فلما قفلنا جعل يقول: حدثنا الزهري، فقلت: وأين رأيته؟، قال الذي رأيته معي، قلت: أرني الكتاب، فأخرجه، فخرقه"(١).

وآخر هؤلاء الثمانية "عبد الرحمن بن سلمة الجمحي، القرشي،... من أهل المدينة(٢)، قال: "سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدِّث عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثًا، فكتبته، فلما حفظته محوته"(٣).

وهكذا كان مبرر هؤلاء المؤلفين الثمانية لإتلاف ما كتبوه هو خوفهم من الاتكال على الكتب وإهمال الحفظ، ويلاحظ عليهم أن ما أتلفوه لم يكن كتبًا كبيرة بالمعنى المتعارف عليه الآن، وإنما كانت أجزاء كتب، أو أقل من ذلك، بل كانت أحيانًا ورقة أو مجموعة ورقات كتب عليها حديثًا أو عدة أحاديث، كما يلاحظ أيضًا أنهم كلهم محدثون. وأخيرًا فقد كان لهذا الفعل إيجابياته؛ إذ أنه كان سببًا في تقوية ملكة الحفظ عند هؤلاء الأفذاذ، وحافزًا على توصيل علمهم لغيرهم قبل إتلاف كتبهم، فما كان هذا الإتلاف سبباً في ضياع علمهم؛ إذ أنهم قد بلغوه لغيرهم.

٥ - الضن بها على غيرهم

أتلف ستة مؤلفين كتبهم بما يساوي ٩٪ من مجتمع الدراسة، وهم: علي بن مُسهر (ت١٨٩هـ)، وأبو حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ)، وعلي بن عيسى الربعي (ت٤٢٠هـ)، وعلي ابن كردان النحوي (ت٤٢٤هـ)، وأبو طالب الكرخي (ت٥٨٥هـ)، وإبراهيم بن الغرس (ت٨٨٨هـ)، ومبرر هؤلاء هو الضن بها على غيرهم.

وأول هؤلاء علي بن مُسهر، وهو "العلامة، الحافظ، أبو الحسن القرشي، الكوفي، قاضي الموصل،... من مشايخ الإسلام،... كان ممن جمع الحديث والفقه،... صدوق، ثقة"(٤)، "ولي قضاء أرمينية، فلما قدمها اشتكى عينه، فقال قاض كان قبله للكحال: أكحله بما يُذهب عينه، حتى أعطيك مالاً، فكحله، فذهبت عينه، فرجع إلى الكوفة

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٢٢٦.
(٢) البخاري: التاريخ الكبير، ج٥، ص٢٩٠.
(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٣٤، ص٣٩٥؛ والخطيب البغدادي: المتفق والمفترق، ج٣، ص٥٩.
(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٤٨٤- ٤٨٦.

أعمى"(١)، ولم يعد هو بحاجة لكتبه، ولم ير أن غيره يستحق أن يترك لهم كتبه، وخاصة بعد أن تسببوا في إتلاف بصره، فدفن كتبه؛ قال ابن نمير: "علي بن مسهر قد دفن كتبه"(٢).

والثاني أبو حيان التوحيدي، وهو "علي بن محمد بن العباس،... كان متفننًا في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام، معتزليًا، يسلك في تصانيفه مسلك الجاحظ، شيخ الصوفية، فيلسوف الأدباء، أديب الفلاسفة"(٣)، وصفه الذهبي بقوله: "له مصنفات عديدة في الأدب والفصاحة والفلسفة، وكان سيئ الاعتقاد، وقال ابن الجوزي في تأريخه: زنادقة الإسلام ثلاثة، ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو العلاء المعري، وأشدهم على الإسلام أبو حيان، لأنهما صرحا، وهو يحجم ولم يصرح"(٤)، ونقل السبكي قول ابن النجار: "له المصنفات الحسنة، كالبصائر وغيرها، قال: وكان فقيرًا صابرًا متدينًا، قال: وكان صحيح العقيدة، وقال شيخنا الذهبي: بل كان عدوًا لله خبيثًا، ثم نقل قول ابن فارس في كتاب "الفريدة والخريدة": كان أبو حيان كذابًا قليل الدين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان، تعرض لأمور جسام من القدح في الشريعة"(٥). وقال السبكي - بعد أن نقل كلام الذهبي وابن الجوزي وحكمهما على أبي حيان بسوء العقيدة والزندقة- "قلت (أي السبكي): الحامل للذهبي على الوقيعة في التوحيدي ما يبطن من بغض للصوفية"(٦)، ونقل السيوطي كلام الذهبي، وكلام ابن الجوزي، وكلام السبكي، ولم يكن له أي ترجيح فيما يخص الحكم على التوحيدي(٧).

ويناسب هذا المقام ما قاله ياقوت عن أبي حيان من أنه: "سخيف اللسان، قليل الرضا عند الإساءة إليه والإحسان، الذم شانه، والثلب دكانه، وهو مع ذلك فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة، وفصاحة ومكنة، كثير التحصيل للعلوم في كل فن حفظه، واسع الدراية والرواية، وكان مع ذلك محدودًا محارفًا يشتكي صرف زمانه، ويبكي في تصانيفه على حرمانه"(٨).

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٧، ص٦٤.
(٢) ابن معين، أبو زكريا يحيى بن معين: تاريخ ابن معين (رواية الدارمي)، ج٤، ص٤٤.
(٣) السيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص١٩٠.
(٤) ابن قاضى شهبة، أبو بكر بن احمد بن محمد بن عمر: طبقات الشافعية، ج١، ص ١٨٦.
(٥) السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٥، ص٢٨٦- ٢٨٩.
(٦) المرجع السابق، نفس الصفحات.
(٧) السيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص١٩٠، ١٩١.
(٨) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص١٤٢.

هذا الأديب الفيلسوف أو هذا الزنديق سيئ العقيدة- أيًا كان- أتلف كتبه في أخريات حياته ضنًا بها على من لا يعرف قدرها كما صرح بذلك السيوطي بقوله: "أحرق كتبه في آخر عمره لقلة جدواها، وضنًا بها على من لا يعرف مقدارها"(١)، وصرح ياقوت الحموي بمثل ذلك قائلاً: "وكان أبو حيان قد أحرق كتبه في آخر عمره لقلة جدواها، وضنًا بها على من لا يعرف قدرها بعد موته"(٢).

وقد أشار التوحيدي نفسه إلى ذلك، في الخطاب الذي أرسله إلى القاضي أبي سهل، معتذرًا له عن فعلته، موضحًا له مبرراته في ذلك؛ فقال "هذه الكتب حوت من أصناف العلم سره وعلانيته، فأما ما كان سرًا فلم أجد له من يتحلى بحقيقته راغبًا، وأما ما كان علانية فلم أصب من يحرص عليه طالبًا"(٣)، وقال أيضًا: "ومما شحذ العزم على ذلك ورفع الحجاب عنه، أني فقدت ولدًا نجيبًا، وصديقًا حبيبًا، وصاحبًا قريبًا، وتابعًا أديبًا، ورئيسًا منيبًا، فشق علي أن أدعها"(٤)، و"كيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة، فما صح لي من أحدهم وداد، ولا ظهر لي من إنسان منهم حفاظ؟"(٥)، وبهذا لم يكن أبو حيان التوحيدي يرى أن هناك من يستحق أن يترك لهم كتبه فأتلفها ضنًا بها عليهم.

وللمبرر نفسه أتلف "علي بن عيسى الربعي بن الفرج بن صالح الربعي الزهيري، أبو الحسن النحوي، أحد أئمة النحويين وحذاقهم، أجيدي النظر، الدقيق الفهم والقياس"(٦).

صنّف تصانيف كثيرة، منها "كتاب شرح سيبويه، إلا أنه غسله"(٧)، ومبرر ذلك الضن به على من لا يستحقه؛ يؤكد ذلك "أن أحد بني رضوان التاجر نازعه في مسألة، فقام مغضبًا وأخذ شرح سيبويه، وجعله في إجانة، وصب عليه الماء وغسله، وجعل يلطم به الحيطان، ويقول: لا أجعل أولاد البقالين نحاة"(٨)، مؤكدًا أن أمثال هؤلاء لا يستحقون كتبه.

---

(١) السيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص١٩٠.
(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص١٤٤.
(٣) المرجع السابق، ج٢، ص ١٤٥.
(٤) المرجع السابق، نفسه.
(٥) المرجع السابق، نفسه.
(٦) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٦، ص٤٧٧.
(٧) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص١٠٤.
(٨) المرجع السابق، نفسه.

وكذلك فعل "علي بن طلحة بن كردان النحوي، أبو القاسم، قال أبو غالب بن بشران: كان ابن كردان يعرف بابن الصحناني، ولم يبع قط الصحناة، وإنما كان أعداؤه يلقبونه بذلك، فغلب عليه،... والواسطيون يفضلونه على ابن جني والربعي"(١)، هذا الشيخ النحوي "صنف كتابًا كبيرًا في إعراب القرآن، كان يقارب خمسة عشر مجلدًا، ثم بدا له فيه، فغسله قبل موته"(٢)، وجملة "ثم بدا له فيه" قد تعني أنه رجع عن بعض الأشياء فيه، فأتلفه، وقد كان كتابًا في إعراب القرآن، فلو رجع عن إعراب كلمة أو اثنتين أو عشرين كان يمكنه إصلاحها، ولكن يبدو أن جملة "ثم بدا له فيه" تعني تغيير رأيه من ترك الكتاب لقومه إلى إتلافه؛ يؤيد ذلك ما حدث في بداية حياته من إطلاق أعدائه عليه لقبًا لا يحبه، ومن إشارته إلى الموازين المقلوبة بمجتمعه، ووصفه بلده بأنها شر البلاد؛ في قوله:

سئم الأديب من المقام بواسط	إن الأديب بواسط مهجور
يا بلدة فيها الغنى مكرم	والعلم فيها ميت مقبور
لا جادك الغيث الهطول ولااجتلى	فيك الربيع ولا علاك حبور
شر البلاد أرى فعالك ساترًا	عني الجميل وشرك المشهور"(٣)

ولهجة النقمة على بلده وعلى ساكنيها واضحة في هذه الأبيات، فهو يرى أنها لا تعترف له بجميل، فبدا له أنهم لا يستحقون كتابه فغسله قبل موته، فلمن يترك كتابه إذا كان العلم بينهم ميتًا ومقبورًا؟

وكذلك فعل أبو طالب الكرخي، وهو "الإمام الأوحد، شيخ الشافعية، وصاحب الخط المنسوب، أبو طالب المبارك بن المبارك بن المبارك الكرخي،... كان إمام وقته في العلم والدين والزهد والورع، لازم ابن الخل حتى برع في المذهب والخلاف، وكان من الورع والزهد والعفة والنزاهة والسمت على طريقة اشتهر بها، وكان أكتب أهل زمانه لطريقة ابن البواب"(٤)، إلا أنه "كان ضنينًا بخطه جدًا، فلذلك قل وجوده"(٥). وضنه بخطه كان السبب وراء إتلافه لتجويدات ما كتب؛ "فكان إذا اجتمع عنده شيء من تجويداته يستدعي طستًا ويغسله"(٦).

---

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٨٢.

(٢) المرجع السابق، نفسه.

(٣) المرجع السابق، نفسه.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٢٢٤، ٢٥٥.

(٥) ياقوت الحموي" معجم الأدباء، ج٢، ص٢٨٦.

(٦) المرجع السابق، نفسه.

ولنفس المبرر أتلف "إبراهيم بن أحمد بن حسن بن الغرس خليل بن محمد بن خليل بن رمضان بن الخضر بن خليل بن أبي الحسن، برهان الدين، أبو إسحاق ابن الشهاب أبي العباس بن البدر أبي محمد التنوخي الطائي العجلوني، ثم الدمشقي الشافعي...، قرأ البخاري على العامة في الجامع الأموي والنصري، وخطه كعقله رديء، وعبارته سقيمة"(١)، ونقل عنه أنه كان يقول: "إذا عاينت الموت ألقيتها في البحر"(٢)، أي كتبه، وهذا من باب الضن بها على غيره، وعدم رغبته في انتفاعهم بها؛ وهذا أمر غير مستبعد، فقد اشتهر عنه ذلك في حياته، حيث كانت "عنده من الكتب وأجزاء وتصانيف شيخه ما لم ينتفع به، بل وعطل على غيره الانتفاع بها، لعدم سماحه بعاريتها، حسبما استفيض عنه"(٣)؛ فضنه بها في حياته دليل على ضنه بها بعد مماته.

٦ - اتهام المؤلف نفسه بعدم الإخلاص في تأليفها:

الصالحون من عباد الله، المتقون يتهمون أنفسهم بالرياء، ويعملون الأعمال الصالحة لله تعالى، ثم هم يقدحون في إخلاصهم لله تعالى، وهذا ما حدث لبعض المؤلفين محل الدراسة؛ إذ ألفوا مؤلفاتهم ثم اتهموا أنفسهم في دافعهم ونياتهم عند تأليف هذه الأعمال؛ لأنهم "يرون أن حفظ الحديث وراويته فرض كفاية، وأن في غيرهم من أهل العلم من يقوم بالكفاية وزيادة، ويرون أن التصدي للرواية مع الكفاية بغيرهم لا يخلو من حظ النفس بطلب المنزلة بين الناس"(٤). الأمر الذي جعل أربعة مؤلفين يمثلون ٦٪ من مجتمع الدراسة يقدمون على إتلاف كتبهم، وهم: الحسن البصري (ت١١٠هـ)، وبشير بن الحارث (ت٢٢٧هـ)، والماوردي (ت٤٥٠هـ)، والشنقيطي (ت١٣٩٣هـ).

أولهم الحسن البصري، وهو "الحسن بن أبي الحسن، البصري، أبو سعيد"(٥)، "الأنصاري، ثقة، فقيه، فاضل، مشهور،... وهو رأس أهل الطبقة الثالثة"(٦)، "ولد في خلافة عمر رضي الله عنه، وحنكه عمر بيده، وكانت أمه تخدم أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، فربما غابت فتعطيه ثديها، تعلله به إلى أن تجيء أمه فيدر عليه ثديها

---

(١) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج١، ص٥.

(٢) المرجع السابق، نفسه.

(٣) المرجع السابق، نفسه.

(٤) العتمي، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني: التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، ج٢، ص ٢٤٤.

(٥) ابن حجر العسقلاني: الإيثار بمعرفة رواة الآثار، ج١، ص٦٠.

(٦) المرجع السابق، ج١، ص ٢٣٦.

فيشربه، فكانوا يقولون فصاحته من بركة ذلك"(١)، وكان كبير الشأن، رفيع الذكر، رأسًا في العلم والعمل"(٢)، قال عنه أبو إسحاق: كان الحسن يشبه بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٣)، وقال قتادة في بيان علمه: كان الحسن من أعلم الناس بالحلال والحرام"(٤)، وقال أبو عمرو بن العلاء: "ما رأيت أحدًا أفصح من الحسن والحجاج"(٥)؛ ولذا كان العلماء ينصحون بلزوم مجالس علمه. قال أبو قتادة العدوي: "عليكم بهذا الشيخ - يعني الحسن - فخذوا عنه، والله ما رأيت رجلاً قط أشبه رأيًا بعمر بن الخطاب منه"(٦)، وكان طلابه يؤكدون على مقدار علمه الوفير. قال الربيع بن أنس: "اختلفت إلى الحسن عشر سنين، أو ما شاء الله من ذلك، فليس من يوم إلا وأنا أسمع منه شيئًا لم أسمعه قبل ذلك"(٧). يضاف إلى هذا العلم الغزير ورعه الكبير، حتى قال يزيد بن حوشب: "ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز"(٨).

ولعل ورعه هذا جعله يرى أن تأليف هذه الكتب لشهوة في نفسه، فأتلفها، فمن أقواله: "إن المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه، فيقول: والله إني لأشتهيك وإنك لمن حاجتي، ولكن والله ما من صلة إليك، هيهات هيهات، حيل بيني وبينك، ويفرط منه الشيء، فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا، ما لي ولهذا، والله لا أعود لهذا أبدًا إن شاء الله"(٩)، فلعله لما نظر إلى كتبه، رجع إلى نفسه، وقال: ما أردت بهذا وجه الله، ما لي ولهذا، والله لا أعود لهذا أبدًا، ثم أتلفها، ويحكي واقعة الإتلاف ابنه عبد الله، "قال سهل بن حصين بن مسلم الباهلي: قال: بعثت إلى عبد الله بن الحسن بن أبي الحسن ابعث لي بكتب أبيك، فبعث إليَّ: أنه لما ثقل قال: اجمعها لي، فجمعتها له، وما ندري ما يصنع بها، فأتيته بها، فقال للخادم: استجري التنور، ثم أمر بها فأحرقت..."(١٠).

والمؤلف الثاني هو "بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال، أبو

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٢، ص٢٣٢.
(٢) الذهبي:الكاشف، ج١، ص٣٢٢.
(٣) يحيى بن معين: تاريخ يحيى بن معين، ج٤، ص٣٤٨.
(٤) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٣، ص٤٢.
(٥) الزركلي: الأعلام، ج٢، ص١٢٨.
(٦) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٣، ص٤٢.
(٧) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٣، ص٤٢.
(٨) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٣، ص٢٣٣.
(٩) المرجع السابق، نفس المجلد، ص٢٣٥.
(١٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٧٥.

النصر، المعروف بالحافي، مروزي، سكن بغداد"[1]، وهو "الإمام، العالم، المحدث، الزاهد، الرباني، القدوة، شيخ الإسلام"[2]، وكان ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد، تفرد بموفور العقل وأنواع الفضل، وحسن الطريقة، واستقامة المذهب، وعزوف النفس، وإسقاط الفضول"[3]، "وكان عديم النظير زهدًا وورعًا وصلاحًا، كثير الحديث، إلا أنه كان يكره الرواية، ويخاف من شهوة النفس في ذلك، حتى أنه دفن كتبه"[4]؛ يؤكد هذا المعنى الخطيب البغدادي بقوله: "وكان كثير الحديث، إلا أنه لم ينصب نفسه للرواية، وكان يكرهها، ودفن كتبه لأجل ذلك"[5]، أي أنه أتلف كتبه لورعه، ولخوفه أن يكون تأليفها رياءً - كما أشار إلى ذلك الذهبي - فقد كان يعتبر أن روايته للحديث لشهوة في نفسه؛ ولذا كان يتركه، ولما "قيل له ألا تحدث؟ قال: أنا أشتهي أن أحدث، وإذا اشتهيت شيئًا تركته"[6]، وكان يرى أيضًا أن روايته الإسناد خيلاء، ويقول: "إن لذكر الإسناد في القلب خيلاء"[7]، وكان يقول: "إنما الحديث اليوم طرف من طلب الدنيا وكده، وما أدري كيف يسلم صاحبه، وكيف يسلم من يحفظه، لأي شيء يحفظه"[8]، ولورعه، ولمخالفة نفسه هواها، ولخوفه من الرياء أتلف كتبه.

ولنفس الدافع أتلف الماوردي كتبه، وهو "الإمام العلامة، أقضى القضاة، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، صاحب التصانيف،... ولي القضاء ببلدان شتى، ثم سكن بغداد،... وله مصنفات كثيرة في الفقه، والتفسير، وأصول الفقه، والأدب، وكان حافظًا للمذهب[9]، ونقل ابن العماد: قول "ابن قاضي شهبة: هو أحد أئمة أصحاب الوجوه، وقال الخطيب: كان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعيين"[10]، بينما نقل الذهبي قول ابن الصلاح: "هو متهم بالاعتزال، وكنت أتأول له، وأعتذر عنه، حتى وجدته يختار في بعض الأوقات أقوالهم"[11].

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص٦٧.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص ٤٦٩ .

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص٦٧.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥، ص٥٤١.

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص٦٧.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٧٠.

(٧) المرجع السابق، ج١٠، ص٤٧٠، ٤٧١.

(٨) ابن منظور: محمد بن مكرم: مختصر تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص١٨٠.

(٩) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٦٤- ٦٥.

(١٠) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣. ص٢٨٦.

(١١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٦٧.

وسواء كان معتزليًا أو غير معتزلي فقد دفن كتبه؛ وذكر ابن خلكان "أنه لم يظهر شيئًا من تصانيفه في حياته، وإنما جمعها كلها في موضع، فلما دنت وفاته قال لشخص يثق إليه: الكتب التي في المكان الفلاني كلها من تصنيفي، وإنما لم أظهرها لأني لم أجد نية خالصة لله تعالى لم يشبها كدر فإن عاينت الموت ووقعت في النزع فاجعل يدك في يدي فإن قبضت عليها وعصرتها فاعلم أنه لم يقبل مني شيء منها، فاعمد إلى الكتب وألقها في دجلة ليلاً، وإن بسطت يدي ولم أقبض على يدك فاعلم أنها قبلت، وأني قد ظفرت بما كنت أرجوه من النية الخالصة، قال ذلك الشيء: فلما قارب الموت وضعت يدي في يده فبسطها ولم يقبض على يدي، فعلمت أنها علامة القبول، فأظهرت كتبه بعده"(١).

وسواء كانت هذه الواقعة مقبولة عقلاً أو غير مقبولة، فقد ذكرها ابن خلكان، وذكرها من بعده الذهبي في "سير أعلام النبلاء"، وابن العماد في "شذرات الذهب"، وغيرهما، والحجة على الراوي. وهكذا دفن الماوردي كتبه في حياته، ثم أُظهرت بعد موته، وكان الدافع وراء دفنه لكتبه اتهامه لنيته وإخلاصه لله عز وجل، وقد صرح بذلك بقوله: "وإنما لم أظهرها لأني لم أجد نية خالصة لله تعالى لم يشبها كدر"(٢).

وكذلك فعل الشنقيطي، "محمد الأمين بن المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح بن سيدي احمد بن المختار،... من القطر المسمى بشنقيط، وهو دولة موريتانيا الإسلامية الآن"(٣)، درس العلم بشنقيط، وقال عن نفسه: "لما حفظت القرآن، وأخذت الرسم العثماني، وتفوقت فيه على الأقران، عنيت بي والدتي وأخوالي أشد عناية، وعزموا على توجيهي للدراسة في بقية الفنون"(٤)، "وقد مضى رحمه الله في طلب العلم قدمًا، وألزمه بعض مشايخه بالقران، أي أن يقرن بين كل فنين حرصًا على سرعة تحصيله، وتفرسًا له في القدرة على ذلك"(٥). وبعد أن انتهى من طلب العلم عمل في بلده في مجال "الدرس والفتيا، ولكنه كان قد اشتهر بالقضاء وبالفراسة فيه"(٦). "ثم

---

(١) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٣، ص٢٨٢- ٢٨٣.

(٢) المرجع السابق، نفسه.

(٣) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٩، ص٤٧٩- ٤٨٠.

(٤) المرجع السابق، ج٩، ص٤٨٥.

(٥) المرجع السابق، ج٩، ص٤٨٦.

(٦) المرجع السابق، ج٩، ص٤٨٨.

خرج من بلده لأداء فريضة الحج وعلى نيته العودة،... وبعد وصوله إلى هذه البلاد تجددت نية بقائه،... وكان يقول: ليس من عمل أعظم من تفسير كتاب الله في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم"(١)، وكانت هذه بدايته في المملكة العربية السعودية، مدرسًا للتفسير بالمسجد النبوي، ثم مدرسًا بكليتي: الشريعة ، واللغة بمدينة الرياض، ثم محاضرًا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم أصبح عضوًا بمجلسها، حتى صار عضوًا بهيئة كبار العلماء بالسعودية، وعضوًا بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي(٢).

وأما حادثة الإتلاف فقد حدثت في شبابه، حينما أتلف أول كتاب ألفه، وهو كتاب في أنساب العرب، أسماه "خالص الجمان في ذكر أنساب بني عدنان"، وكان قد ألفه قبل البلوغ، "وبعد البلوغ دفنه، قال: لأنه كان على نية التفوق على الأقران"(٣).

وهكذا كان دافع إتلاف الشنقيطي لكتابه هو اتهامه لنفسه بعدم الإخلاص لله في تأليف هذا الكتاب.

٧ - عدم اتخاذ كتاب مع كتاب الله

رغبة في عدم اتخاذ كتاب مع كتاب الله تعالى أتلف مؤلف واحد كتبه، بما يساوي ٥, ١٪ من مجتمع الدراسة، وهو عروة بن الزبير (ت٩٤هـ) "القرشي، من أهل المدينة، كنيته أبو عبد الله، أخو عبد الله بن الزبير، أمهما أسماء بنت أبي بكر الصديق"(٤)، وهو "تابعي، ثقة، كان رجلاً صالحًا، لم يدخل في شيء من الفتن"(٥)، وكان ثقةً كثير الحديث، فقيهًا، عاليًا، مأمونًا، ثبتًا"(٦)، وكان "حجة، عالمًا بالسير، وهو أول من صنف المغازي، وكان من فقهاء المدينة المعدودين، ولقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه"(٧)، وقد "أحرق كتبًا له فيها فقه"(٨)؛ لأنه كان يرى وقتها عدم جواز اتخاذ كتاب مع كتاب الله تعالى، وصرح بذلك بقوله: "كنا نقول لا نتخذ كتابًا مع كتاب الله، فمحوت كتبي"(٩)، ثم ظهر له بعد ذلك جواز كتابة غير القرآن، الأمر الذي جعله يندم على إتلافه

(١) الشنقيطي: أضواء البيان، ج٩، ص٤٨٩- ٤٩٠.
(٢) المرجع السابق، ج٩، ص٤٩٠- ٤٩٦ .
(٣) المرجع السابق، ج٩، ص٤٩٧ .
(٤) ابن حبان: الثقات، ج٥ ، ص١٩٤.
(٥) العجلي: معرفة الثقات، ج٢، ص١٣٣.
(٦) ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٧٩.
(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص ١١٩.
(٨) ابن معين: تاريخ ابن معين، ج٣، ص١٤٢.
(٩) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٧، ص١٦٥.

لكتبه، فكان يقول معبرًا عن مدى ندمه "لوددت أني كنت فديتها بأهلي ومالي"[١]، و"لأن تكون عندي أحب إليَّ من أن يكون لي مثل أهلي ومالي"[٢]، وروي عنه أنه قال: "كتبت الحديث ثم محوته، فوددت أني فديته بمالي وولدي، وأني لم أمحه"[٣].

٨ - مرض الاكتئاب

كان مرض الاكتئاب[٤] الذي أصاب داود الطائي (ت١٦٢هـ) سببًا في إتلافه لمؤلفاته، وهو "داود بن نصير، الطائي، العابد، كنيته أبو سليمان"[٥]، "أصله من خراسان، ومولده بالكوفة، رحل إلى بغداد فأخذ عن أبي حنيفة وغيره، وعاد إلى الكوفة"[٦]، "سمع الحديث وفقه، وعرف النحو، وعلم أيام الناس وأمورهم"[٧]، وهو "الإمام، الفقيه، القدوة، الزاهد، أحد الأولياء،... وكان من كبار أئمة الفقه والرأي، برع في العلم بأبي حنيفة،... ولم يخلف بالكوفة أحدًا مثله"[٨]. هذا العالم الجليل أصابته حالة شديدة من الاكتئاب، دفعته إلى اعتزال الناس وإتلاف كتبه. فقد تعرض لموقف آلمه وأحزنه حزنًا شديدًا، قال ابن عيينة: "كان داود الطائي ممن علم وفقه، وكان يختلف إلى أبي حنيفة، فأخذ حصاة فحذف بها إنسانًا، فقال له (أبو حنيفة) يا أبا سليمان: طال لسانك، وطالت يدك"[٩].

هذا الموقف تسبب في إصابته بحالة من "الاكتئاب" ظهرت أعراضه على شخصيته، فبدأت بالحزن الشديد بسبب إهانته وفقده لمكانته، ثم قلة الكلام، ثم الصمت، وعدم الرغبة في الخلطة بالناس، واعتزالهم عنهم، والانكفاء على الذات. فقد كان يحضر مجلس أبي حنيفة لكنه لا يسأل ولا يجيب[١٠]، وظل ذلك سنة كاملة، ثم لزم الصمت، وأصبح لا يتكلم حتى مع قرناء الدراسة؛ "فكان يحضر المجلس وهم يخوضون

---

(١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٤٠، ص٢٥٨.
(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٧٩.
(٣) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٥٩.
(٤) لتعريف الاكتئاب وأسبابه وأعراضه راجع: حامد عبد السلام زهران: الصحة النفسية والعلاج النفسي، ص٤٢٩- ٤٣٢.
(٥) ابن حبان: الثقات، ج٦، ص٢٨٢.
(٦) الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٢٣٥.
(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٦٧.
(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٤٢٢- ٤٢٣.
(٩) الغزي: الطبقات السنية، ج١، ص٢٧٨.
(١٠) المرجع السابق، نفسه.

وهو لا ينطق"(١)، ثم انكفأ على ذاته، وقل كلامه لدرجة كبيرة حتى لو سأله أحدهم لم يجبه؛ "وسأله أحدهم عن تفسير آية من القرآن "فقال: يا فلان انقطع الجواب"(٢)، وأصبح لا يرغب في معاشرة الناس، فلزم داره، ولم يعد يخرج إلا للصلاة؛ و"إذا سلم من الفريضة أسرع إلى منزله"(٣)، واعتزل الناس، وآثر الابتعاد عنهم، "وجلس في بيته عشرين سنة أو أقل حتى مات"(٤)، ورغب في العزلة أكثر، فأصبح يتحاشى استقبال الناس في بيته، حتى ولو كانوا أصدقاءه؛ "قال أبو أسامة: جئت أنا وابن عيينة إليه، فقال جئتماني مرة، فلا تعودا"(٥).

هذه الحالة من الاكتئاب دفعته في النهاية إلى إتلاف كتبه، فمريض الاكتئاب تراوده من وقت لآخر الرغبة في الانتحار، وإتلاف المؤلف لكتبه هو نوع من الانتحار، وقطعٌ لكل رابطة بهذه الحياة.

٩ - كلام شيخه عن أحد الصحابة بأسلوب غير لائق

فلأن شيخه عبد الرزاق الصنعاني تحدث عن سيدنا عمر بن الخطاب بأسلوب غير لائق، ونعته بالأحمق، فأتلف زيد بن المبارك "الصنعاني، اليمني"(٦) (ت٢٣٠هـ)، جميع الأحاديث التي سمعها منه. وقد كان زيد "من أولياء الله، العبَّاد، حسن الحديث"(٧)، ومن فضله أنه كان يوضع في مصاف الإمام أحمد بن حنبل، "قال عباس العنبري: كنا نقول: أحمد بن حنبل بالعراق، وصدقة بن الفضل بخراسان، وزيد بن المبارك باليمن"(٨)، و"وذكره ابن حبان في الثقات"(٩)، و"قال أبو حاتم: صدوق، قد أدركته"(١٠).

"قال العقيلي: سمعت علي بن عبد الله بن المبارك الصنعاني يقول: كان زيد بن المبارك لزم عبد الرزاق، فأكثر عنه، ثم خرَّق كتبه، ولزم محمد بن ثور، فقيل له في

(١) ابن حبان: الثقات، ج٦، ص٢٨٢.
(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٤٢٣.
(٣) المرجع السابق، نفسه.
(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٦٧.
(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٤٢٤.
(٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥، ص٣١٧.
(٧) الذهبي: الكاشف، ج١، ص٤١٩.
(٨) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥، ص٣١٨.
(٩) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٣، ص٣٦٧.
(١٠) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥، ص٣١٧.

ذلك، فقال: كنا عند عبد الرزاق فحدثنا بحديث معمر عن الزهري عن مالك بن أوس ابن الحدثان الحديث الطويل فلما قرأ قول عمر لعلي والعباس: - رضي الله عنهم - فجئتَ أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك، وجاء هذا يطلب ميراث امرأته من أبيها، قال عبد الرزاق انظروا إلى الأنْوَك(١) - يقصد سيدنا عمر - يقول تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، ألا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال زيد بن المبارك: فقمتُ فلم أعد إليه، ولا أروي عنه حديثاً أبداً"(٢).

١٠ - إرضاءً لشيخ آخر ليحدثه

لهذا المبرر أتلف عبد الله بن محمد المقدسي (ت٣١٣هـ) بعض كتبه، وهو "عبدالله بن محمد بن سلم بن حبيب بن عبد الوارث، أبو محمد المقدسي الفريابي"(٣)، الإمام، المحدث، العابد، الثقة،... وصفه ابن المقرئ بالصلاح والدين"(٤)، أتلف بعض كتبه التي سمعها من شيخه حرملة؛ كي يرضي عنه الشيخ أحمد بن صالح ويحدثه؛ يحكي واقعة الإتلاف بنفسه، فيقول: "قدمت مصر فبدأت بحرملة، فكتبت عنه كتاب عمرو بن الحارث ويونس بن يزيد والفوائد، ثم ذهبت إلى أحمد بن صالح فلم يحدثني، فحملت كتاب يونس بن يزيد الذي كتبته عن حرملة فحرقته بين يديه لأرضيه وليتني لم أحرق، فلم يرد ولم يحدثني"(٥).

من ذلك يتضح أن المقدسي قد حرق بعض كتبه التي سمعها من شيخه حرملة، ليرضى عنه أحمد بن صالح ويحدثه، لكنه ندم على ذلك؛ لأن أحمد بن صالح لم يحدثه، ولم تبقَ له كتبه.

١١ - التبرك بدفنها معه

أراد ابن أبي حجلة (ت٧٧٦هـ) أن يتبرك بقصائد نظمها في مدح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فأوصى أن تدفن معه هذه القصائد، وابن أبي حجلة هو "أحمد ابن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد بن أبي حجلة، شهاب الدين، التلمساني"(٦)، "أبو

---

(١) الأنوك هو الأحمق والعاجز الجاهل والعيي في كلامه. راجع: إبراهيم أنيس: المعجم الوسيط، ج٢، ص٩٦٤.

(٢) العقيلي: أبى جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي: الضعفاء الكبير، ج٣، ص١١٠.

(٣) ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق، ج٣٢، ص١٩٣.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٣٠٦.

(٥) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٣٢، ص١٩٥.

(٦) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص١١٠.

العباس، المغربي، المصري، الحنفي، الشهير بابن أبي حجلة، وكان إمامًا بارعًا، عالمًا فقيهًا، أديبًا شاعرًا،... ومهر في عدة علوم، وغلب عليه الأدب، وقال الشعر الجيد، وصنّف ودوّن،... وله خمسة دواوين في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم"(١)، "وصنّف كتابًا عارض فيه قصائد ابن الفارض بقصائد كلها نبوية، وكان يحط عليه، لكونه لم يمدح النبي صلى الله عليه وسلم، ويحط على نحلته ويرميه ومن يقول بمقالته بالعظائم"(٢)، بلغ حبه لقصائده التي مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم أنه "أوصى أن تدفن معه"(٣)، "حتى أنه أمر عند موته أن يوضع الكتاب الذي عارض به ابن الفارض، وحط عليه فيه، في نعشه، ويدفن معه في قبره"(٤)، فلم تكن وصيته بدفن كتبه رغبة في إتلافها، وإنما للتبرك بها، والتماس شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن خلال دراسة مبررات إتلاف المؤلفين لمؤلفاتهم تبين أن أكثر مبررات إتلاف المؤلف لمؤلفاته هو: "الرغبة في التفرغ للعبادة"؛ إذ كان مبررًا لثمانية عشر مؤلفًا يمثلون ٢٧٪ من حالات الإتلاف محل الدراسة، تلاه "الرجوع عما فيها" بنسبة ٢٠٪، ثم "الخوف من تحريفها بعد موتهم" بنسبة ١٨٪، بينما كان "الخوف من الاتكال على الكتاب وإهمال الحفظ" مبرر ١٢٪ من المؤلفين، تلاه "الضن بها على غيرهم" بنسبة ٩٪، ثم "اتهام المؤلف نفسه بعدم الإخلاص في تأليفها" بنسبة ٦٪، وأما باقي المبررات وهي: عدم اتخاذ كتاب مع كتاب الله، والاكتئاب الشديد، وتعريض شيخه بأحد الصحابة رضي الله عنهم، وإرضاءً لشيخ آخر، والتبرك بدفنها - فلم يكن أيٌّ منها مبرراً لأكثر من ١,٥ من المؤلفين محل الدراسة.

وهذه المبررات لا تقدح من قريب أو بعيد في الحضارة الإسلامية، بل يمكن القول إنها حافظت على نقاء العلم في هذه الحضارة؛ فمبررات مثل "الرجوع عما فيها" من أخطاء علمية، أو "الخوف من تحريفها بعد موتهم" كانت دافعًا للمؤلف لتأدية علمه نقيًا إلى تلاميذه قبل الإقدام على إتلاف مؤلفاته، وأما "خوف الاتكال على الكتاب" فقد كان دافعًا للعمل على إتقان الحفظ أكثر.

وأما مبرر "الرغبة في التفرغ للعبادة"، فقد كان مبررًا لبعض المؤلفين في أخريات حياتهم، بعد أن طالت بهم الحياة العلمية في التعليم والعطاء، أي بعد أن أدوا علمهم إلى

(١) ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج١، ص١٤٠ .

(٢) الغزي الحنفي: الطبقات السنية، ج١، ص١٨٥.

(٣) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص١١٠.

(٤) الغزي الحنفي: الطبقات السنية، ج١، ص١٨٥.

غيرهم، وسيرهم تشهد بذلك.

وأما مبرر "الضن بها على غيرهم" وهو المبرر الذي يمكن أن يستخدم في القدح في الحضارة الإسلامية فلم يمثله سوى ٩٪ من المؤلفين، كما أنه لم يظهر في القرن الأول والثالث والرابع والسابع والثامن والعاشر والرابع عشر؛ مما يدل على الترابط القوي بين المؤلف ومجتمعه في الغالب الأعم.

هكذا كانت أغلب مبررات الإتلاف سبيلاً للحفاظ على علوم الحضارة الإسلامية، لا تدميرها.

رابعًا- طرق الإتلاف

لم يقتصر المؤلفون في إتلاف مؤلفاتهم على طريقة واحدة للإتلاف، بل تعددت هذه الطرق من تخصص علمي لتخصص آخر، ومن حقبة زمنية لحقبة أخرى، بل أحيانًا من مؤلف لمؤلف آخر في نفس التخصص وفي نفس الحقبة الزمنية، وقد بلغت طرق الإتلاف سبعًا، الأولى: الدفن، واستخدمها عشرون مؤلفًا بنسبة ٣٠٪، والثانية: الحرق، واستخدمه ٢٠٪، والثالثة: الغسل بنسبة ١٨٪، والرابعة: الإغراق بنسبة ١٤٪، والخامسة: المحو بنسبة ١١٪، والسادسة: التخريق بنسبة ٦٪، والسابعة: التقريض بنسبة ١,٥٪.

وقد أمكن تقسيم طرق الإتلاف وفقًا للوسيلة المستخدمة في الإتلاف إلى أربعة أقسام، هي: الإتلاف بالنار، والإتلاف بالدفن، والإتلاف بالماء، والإتلاف بالتمزيق. كما أمكن تقسيمها وفقًا لدرجة الإتلاف التي تلحقها بالمؤلفات إلى أربعة أقسام أيضًا، هي: طرق تكفل الحفاظ على ما كُتب وما كُتب عليه، كالدفن، وطرق لإتلاف ما كُتب مع الحفاظ على المادة المكتوب عليها، كطريقتي المحو والغسل، وطرق يمكن بعدها استرجاع ما كُتب بجهد بسيط، والاستفادة من المادة المكتوب عليها بخسارة قليلة، وأخيراً طرق لتدمير ما كتب وما كتب عليه، كطريقتي الحرق والإغراق.

وفيما يلي دراسة لطرق الإتلاف مرتبةً وفق نسبة استخدامها، والمؤلفون الذين استخدموا كلاً منها.

الطريقة الأولى: الدفن

دفن عشرون مؤلفًا مؤلفاتهم، بما يساوي ٣٠٪ من مجتمع الدراسة، وهم: محمد بن عبيد الله العرزمي (ت١٥٥هـ)، وسفيان الثوري (ت١٦١هـ)، وعبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ)، وضيغم بن مالك (ت١٨١هـ)، ومحمد بن يوسف بن معادن (ت١٨٤هـ)،

ومطلب بن زياد الكوفي (ت١٨٥هـ)، وعلي بن مسهر (ت١٨٩هـ)، وعطاء بن مسلم (ت١٩٠هـ)، ويوسف بن أسباط (ت١٩٥هـ)، والحسن بن رودبار (ت٢٠١هـ)، وحماد بن أسامة (ت٢٠١هـ)، ومؤمل بن إسماعيل (ت٢٠٦هـ)، وسلم بن ميمون الخواص (ت٢٢٠هـ)، ويحيى بن يحيى (ت٢٢٦هـ)، وبشر بن الحارث (ت٢٢٧هـ)، وإسحاق بن راهوية (ت٢٣٧هـ)، وأبو كريب الهمداني (ت٢٤٨هـ)، ومحمد بن يحيى الذهلي (ت٢٥٨هـ)، وأحمد بن يحيى (ت٧٧٦هـ)، ومحمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ).

الطريقة الثانية: الحرق

أحرق ثلاثة عشر مؤلفًا مؤلفاتهم، وهم: مسروق بن الأجدع (ت٦٣هـ)، وأبو قلابة (ت١٠٤هـ)، وطاووس بن كيسان (ت١٠٦هـ)، والحسن البصري (ت١١٠هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، وعيسى بن يونس (ت١٨٨هـ)، وعبد العزيز بن عمران(ت١٩٧هـ)، وأبو سليمان الداراني (ت٢١٥هـ)، وأحمد بن الطيب (ت٢٨٦هـ)، ومحمد بن عمر الجعابي (ت٣٥٥هـ)، وأبو سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ)، وأبو حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ)، وأبو سعيد بن أبي الخير (ت٤٦٧هـ)، وبلغت نسبتهم ١٩,٥٪.

الطريقة الثالثة: الغسل

أتلف اثنا عشر مؤلفًا مؤلفاتهم بغسلها، وهم: شعبة بن الحجاج (ت١٦٠هـ)، والشافعي (ت٢٠٤هـ)، وعلي بن عيسى الربعي (ت٤٢٠هـ)، وعلي بن طلحة بن كردان (ت٤٢٤هـ)، ومحمد بن علي بن المطلب (ت٤٧٨هـ)، وأبو غالب الذهلي (ت٥٠٧هـ)، وأبو إسحاق الغزي (ت٥٢٤هـ)، وأبو طالب الكرخي (ت٥٨٥هـ)، وشميم الحلي (ت٦٠١هـ)، والنووي (ت٦٧٦هـ)، وصدر الدين بن الوكيل (ت٧١٦هـ)، والسيوطي (ت٩١١هـ)، وبلغت نسبتهم ١٨٪.

الطريقة الرابعة: الإغراق

أتلف كتبه بإغراقها تسعة مؤلفين، هم: داود الطائي (ت١٦٢هـ)، ومجاهد بن موسى (ت٢٤٤هـ)، وأحمد بن أبي الحواري (ت٢٤٦هـ)، وموسى بن هرون (ت٢٩٤هـ)، وأبو بكر الشبلي (ت٣٣٤هـ)، وأحمد بن محمد الخلال (ت٣٦٠هـ)، والماوردي (ت٤٥٠هـ)، وإبراهيم بن الغرس (ت٨٨٨هـ)، وعبد الله الإلهي (ت٨٩٦هـ)، وقد بلغت نسبتهم ١٤٪.

الطريقة الخامسة: المحو

استخدم المحو في إتلاف مؤلفاته سبعة مؤلفين، بما يمثل ١١٪ من المؤلفين محل

الدراسة، وهم: عبيدة بن عمرو السلماني (ت٧٢هـ)، وعروة بن الزبير (ت٩٤هـ)، ومحمد بن سيرين (ت١١٠هـ)، وابن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ)، وخالد الحذاء (ت١٤٢هـ)، وهشام بن حسان (ت١٤٧هـ)، وعبد الرحمن بن سلمة الجمحي (ت٣٦٨هـ).

الطريقة السادسة: التخريق

استخدم أربعة مؤلفين أسلوب التخريق لإتلاف مؤلفاتهم، وهم: هشيم بن بشير (ت١٨٣هـ)، وأبو صالح بن المهذب (ت٢١١هـ)، وزيد بن المبارك الصنعاني (ت٢٣٠هـ)، وعبد الله بن محمد المقدسي (ت٣١٢هـ)، بلغت نسبتهم ٦٪ من المؤلفين محل الدراسة.

الطريقة السابعة: التقريض

واستخدم مؤلف واحد التقريض في إتلاف مؤلفاته، وهو: عاصم بن ضمرة (ت١٧٤هـ)، بما يمثل ١,٥٪.

مما سبق يتبين أن أكثر هذه الطرق استخدامًا هي الدفن، ولعل ذلك يرجع إلى إمكانية استرجاع المؤلف لمؤلفاته التي دفنها إذا أراد ذلك، مما يدل على أن الكثير من المؤلفين كان يتلف مؤلفاته وهو متردد، وكأنه لم يكن قرارًا نهائيًا، فكان يعطي نفسه فرصة الرجوع في ذلك. تلا هذه الطريقة "الحرق"، وهي طريقة للتخلص النهائي لمادة الكتابة ولما كتب عليها، وهي بمثابة قرار نهائي لا رجعة فيه، فإذا استخدمها المؤلف لإتلاف مؤلفاته فلا سبيل لاسترجاع ما كتب، أو الاستفادة بمادة الكتابة، وقد استخدم هذه الطريقة المؤلفون الذين رغبوا في التخلص النهائي من مؤلفاتهم. أما التخريق والتقريض فكانتا أقل طرق الإتلاف استخدامًا، فهما بمثابة تعبير رمزي للإتلاف، إذ أن المؤلف يستطيع معرفة ما كتب حتى بعد تخريقه أو تقريضه بجهد بسيط، كما أنه يمكنه الاستفادة من المادة المكتوب عليها بخسارة قليلة، ويمكن أن يكون سبب قلة استخدامها أنها تحتاج إلى أدوات ما كآلة حادة للتخريق أو مقراض للتقريض، ربما لم تكن متوافرة وقتها، أو رغبة في عدم إتلافها إتلافًا كاملاً، وبهذا يتبين أن الكثير من المؤلفين كانوا يتلفون مؤلفاتهم وهم غير راغبين في تدميرها نهائيًا.

وقد اختلفت طرق الإتلاف عبر المراحل الزمنية؛ ففي القرن الأول الهجري أتلف ثلاثة مؤلفين مؤلفاتهم، بما يساوي ٤,٥٪ من مجتمع الدراسة؛ اثنان منهم محوها، وواحد أحرقها، وفي القرن الثاني الهجري أتلف ثلاثة وعشرون مؤلفًا مؤلفاتهم، بما يساوي ٣٥٪ من المؤلفين محل الدراسة، ٣٩٪ استخدموا الدفن، و٢٦٪ استخدموا الحرق، و١٧٪ استخدموا المحو، و٤٪ استخدموا الغسل، و٤٪ استخدموا الإغراق، و٤٪

استخدموا التقريض، و٤٪ استخدم التخريق، وفي القرن الثالث الهجري أتلف سبعة عشر مؤلفًا مؤلفاتهم، بما يساوي ٢٧٪ من المؤلفين محل الدراسة، ٥٣٪ منهم استخدموا الدفن، و١٨٪ استخدموا الإغراق، و١٢٪ استخدموا الحرق، و١٢٪ استخدموا التخريق، و٦٪ استخدموا الغسل، وفي القرن الرابع ست حالات إتلاف، تمثل ٩٪ من حالات الإتلاف محل الدراسة، ثلثهم أتلفوا بالحرق، وثلث آخر أتلفوا بالإغراق، والثلث الثالث بالمحو والتخريق، وفي القرن الخامس نفس عدد حالات الإتلاف، ٥٠٪ منهم أتلفوا بالغسل، و٣٣٪ أتلفوا بالحرق، ١٦,٥٪ أتلف بالإغراق، أما في القرن السادس فكان هناك ثلاث حالات إتلاف، تمثل ٤,٥٪ من حالات الإتلاف محل الدراسة، كلهم استخدموا الغسل في الإتلاف، وفي القرن السابع حالتان، تمثلان ٣٪ من حالات الإتلاف محل الدراسة، وكلاهما استخدم الغسل أيضًا، وفي القرن الثامن نفس عدد حالات الإتلاف، نصفهم استخدم الغسل، والنصف الآخر استخدم الدفن، وفي القرن التاسع حالتان أيضًا، وكلاهما أتلف مؤلفاته بإغراقها، أما في القرن العاشر فظهرت حالة إتلاف واحدة، تمثل ١,٥٪ من حالات الإتلاف، وتم استخدام الغسل كطريقة للإتلاف، وكذلك القرن الرابع عشر كان فيه حالة إتلاف واحدة، واستخدم صاحبها الدفن لإتلافها.

وهكذا يتضح أن المحو كان أكثر الطرق استخدامًا في القرن الأول الهجري؛ رغبةً في الحفاظ على المادة المكتوب عليها لاستخدامها فيما بعد، لقلة مواد الكتابة في هذه الآونة، وأن الدفن كان أكثر الطرق استخدامًا في القرون: الثاني، والثالث، والرابع عشر؛ ويبدو أن في ذلك ترددًا من قبل المؤلفين في إتلاف مؤلفاتهم أو الرجوع عن ذلك القرار، فأعطوا لأنفسهم فرصة استرجاع ما دفن حال الرجوع عن قرار الإتلاف، بينما كان الحرق والإغراق أكثرها استخدامًا في القرن الرابع، كقرار نهائي لا رجعة فيه، في حين كان الغسل أكثرها في القرون: الخامس، والسادس، والسابع، والعاشر، رغبة في الحفاظ على مادة الكتابة؛ لاستخدماها فيما بعد.

مدى استخدام المؤلف لأكثر من طريقة للإتلاف

استخدم ٨٦,٥٪ من المؤلفين محل الدراسة طريقة واحدة في الإتلاف، وهم: مسروق بن الأجدع، وعبيدة بن عمرو السلماني، وطاووس بن كيسان، والحسن البصري، وابن شهاب الزهري، ومحمد بن سيرين، وخالد الحذاء، وهشام بن حسان، وأبو عمرو ابن العلاء، ومحمد بن عبيد الله العرزمي، وداود بن نصير الطائي، وعاصم بن ضمرة، وعبد الله بن المبارك، وضيغم بن مالك، وهشيم بن بشير، ومحمد بن يوسف بن معادن،

ومطلب بن زياد الكوفي، وعيسى بن يونس، وعلي بن مسهر، وعطاء بن مسلم الخفاف، ويوسف بن أسباط، وعبد العزيز بن عمران، والحسن بن رودبار، وحماد بن أسامة، والشافعي، ومؤمل بن إسماعيل.وأبو صالح محمد بن المهذب، وأبو سليمان الداراني، وسلم بن ميمون الخواص، ويحيى بن يحيى، وبشر بن الحارث، وزيد بن المبارك الصنعاني، وإسحاق بن راهوية، وأحمد بن أبي الحواري، وأبو كريب الهمداني، ومحمد ابن يحيى الذهلي، وأحمد بن الطيب، وموسى بن هرون، ومحمد بن عمر الجعابي، وأحمد بن محمد الخلال، وأبو سعيد السيرافي، وعبد الرحمن بن سلمة الجمحي، وعلي ابن عيسى الربعي، وعلي بن طلحة بن كردان، والماوردي، وأبو سعيد بن أبي الخير، وأبو غالب الذهلي، وأبو إسحاق الغزي، وأبو طالب الكرخي، وشميم الحلي، ومحيي الدين أبو زكريا النووي، وصدر الدين بن الوكيل، أحمد بن يحيى بن أبي حجلة، وإبراهيم بن أحمد ابن الفرس، وعبد الله الإلهي، وجلال الدين السيوطي، ومحمد الأمين الشنقيطي. يُلاحظ أن هؤلاء المؤلفين لا رابط بينهم؛ فلم يربطهم تخصص علمي، أو وحدة زمان، أو وحدة مكان.

في حين استخدم٥,٧٪ من المؤلفين طريقتين في الإتلاف، وهم: شعبة بن الحجاج؛ إذ "قال سعد بن شعبة: قال لي أبي يا بني إذا أنا مت فاغسل كتبي وادفنها، فلما مات غسلت كتبه ودفنتها"(١)، وسفيان الثوري الذي أوصى أن تستخدم طريقتان في إتلاف كتبه: المحو ثم الدفن. "وكان قد أوصى إلى عمار بن سيف بكتبه ليمحوها ويدفنها"(٢). ونظراً لأن أغلب الروايات أتت بالدفن كرواية الذهبي، وأبي نعيم، وابن الملقن وغيرهم، فقد تم إدراجه فيمن دفن، ومجاهد بن موسى الذي "كان إذا حدّث بالشيء رمى بأصله في دجلة أو غسله"(٣)، فلعله استخدم الطريقتين، أحيانًا يستخدم الغسل، وأحيانًا يستخدم الإغراق؛ أو لعله كان يستخدم الغسل أولاً، ثم انتهى به الأمر واستخدم الإغراق؛ "فجاء يوما ومعه طبق فقال هذا قد بقى، وما أراكم تروني بعدها، فحدث به، ورمى به، ثم مات بعد ذلك"(٤)، وأبو حيان التوحيدي الذي ذكر بنفسه أنه استخدم طريقتين في الإتلاف: الحرق والغسل، ففي الرسالة التي أرسلها إلى القاضي أبي سهل قال فيها: "الخبر الذي نمى إليك فيما كان مني من إحراق كتبي

(١) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٦٢.
(٢) ابن حبان: الثقات، ج٦، ص٤٠٢ .
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٤٩٥؛ تاريخ الإسلام، ج٥، ص١٢٥٦.
(٤) المرجع السابق، نفسه.

النفيسة بالنار، وغسلها بالماء"(١)، وتم إدراجه فيمن "أحرق" لترجيح ياقوت السابق والسيوطي الذي ذكر أنه "أحرق كتبه في آخر عمره"(٢)، وكذلك محمد بن علي ابن المطلب الذي استخدم طريقتين في الإتلاف؛ "غسل مسودات شعره، وأحرق بعضها الآخر"(٣)؛ ويمكن تأويل ذلك بأن المؤلف أتلف مؤلفاته على مرحلتين، كل مرحلة استخدم فيها طريقة مختلفة للإتلاف، أو أوصى بذلك، كما يمكن تأويله بأن المؤلف أراد المبالغة في الإتلاف؛ كاستخدام المحو ثم الدفن، أو أن المؤلف كان في بداية حياته يستخدم طريقة للإتلاف، وبعد مرور وقت استخدم طريقة أخرى.

وأما باقي المؤلفين محل الدراسة ونسبتهم ٦٪ فقد اختلفت الروايات في الطريقة التي استخدموها؛ فعروة بن الزبير أتلف مؤلفاته باستخدام المحو، "قال عروة: كنا لا نتخذ كتابًا مع كتاب الله، فمحوت كتبي"(٤)، وروي "عن هشام بن عروة قال: أحرق أبي يوم الحرة كتب فقه كانت له"(٥)، وقد تم إدراجه فيمن محا، اعتماداً على إخباره بنفسه بطريقة إتلافه لكتبه؛ فإخباره بنفسه أوثق من إخبار غيره.

ونفس الأمر بالنسبة لأبي قلابة الجرمي، فهناك روايتان، الأولى: الحرق، وأوردها ابن سعد في الطبقات، قال: "أوصى أبو قلابة، قال: ادفعوا كتبي إلى أيوب إن كان حيًا، وإلا فاحرقوها"(٦)، والثانية: التخريق، ونقلها الخطيب البغدادي، "وقال الحسن: وإلا فخرقوها"(٧)، ونظرًا لأن رواية ابن سعد أقدم، فقد تم إدراجه فيمن "أحرق".

وذُكرت روايتان لإتلاف عبد الله المقدسي لكتبه؛ الأولى: رواية ابن عساكر لواقعة الإتلاف التي ذكرها على لسان عبد الله المقدسي بقوله: "فحملت كتاب يونس بن يزيد الذي كتبته عن حرملة، فحرقته بين يديه لأرضيه وليتني لم أحرق"(٨)، والثانية: هي التخريق، وذكرها الذهبي بقوله "فخرقته بين يديه، أرضيه بذلك، وليتني لم أخرقه"(٩)، وذكر مثل ذلك المقريزي بقوله: "فخرقته بين يديه، وليتني لم أخرقه"(١٠)، واعتمادًا على

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص١٤٥.
(٢) المرجع السابق، نفسه؛ والسيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص١٩٠.
(٣) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٩، ص٢٤.
(٤) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٧، ص١٦٥.
(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٧٩.
(٦) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٦٢.
(٧) المرجع السابق، نفسه.
(٨) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٣٢، ص١٩٥.
(٩) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص١٧٣.
(١٠) المقريزي: مختصر الكامل في الضعفاء، ج١، ص٣٠١.

الروايات الأكثر، فقد تم إدراجه فيمن استخدم "التخريق" في إتلاف مؤلفاته.

والأمر نفسه ينطبق على أبي بكر الشبلي؛ إذ ذكر إسماعيل حقي الإستانبولي أن الشبلي "غسل كتبه بالماء"(١)، وهناك رواية أخرى ذكرها الخطيب البغدادي وابن عساكر، تقول: "وغرق في هذه الدجلة التي ترون سبعين قمطرًا مكتوبًا بخطه"(٢)، وقد تم إدراجه فيمن أغرق؛ لأن خبر الإغراق روي على لسانه، وأما الغسل فقد حكاه غيره عنه.

ولعل اختلاف الروايات في إتلاف هؤلاء الأربعة لكتبهم يرجع إلى تعدد واقعة الإتلاف لنفس المؤلف؛ أي أنه أتلف مؤلفاته مرتين، وفي كل مرة استخدم طريقة مختلفة، كعروة بن الزبير، أو أن الأمر لا يتعدى كونه خطأ في التنقيط، أو تصحيفًا من الراوي، فليس بين التحريق والتخريق سوى نقطة توضع فوق حرف الحاء، فيصير التحريق تخريقًا، أو العكس، كما في حالة أبي قلابة وعبد الله المقدسي.

خامسًا - التخصصات العلمية لمن أتلف كتبه

لم يكن للكثير من العلماء الذين أتلفوا كتبهم تخصص علمي واحد؛ فقد كانوا يحسنون أكثر من تخصص، ويبرعون في الكثير من المجالات؛ على سبيل المثال: أبو حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ) "صوفي، متكلم، أديب، لغوي، نحوي"(٣)، وكان متفننًا في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام،... فهو شيخ في الصوفية، وفيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة، ومحقق الكلام، ومتكلم المحققين، وإمام البلغاء"(٤)، وكذلك أبو غالب الذهلي (ت٥٠٧هـ) فهو "الإمام، المحدث، الثقة، الحافظ، المفيد،... الناسخ"(٥)، "والمرجوع إليه في معرفة الشيوخ"(٦)، وقد تم إدراج أمثال هؤلاء المؤلفين الموسوعيين في التخصص الذي اشتهر به أكثر، وأصبح ملازمًا لاسمه، وإذا تعذر تحديد ذلك يتم إدراجه في التخصص الأول الذي يتبع ذكر اسمه مباشرة، فذلك مؤشر على إتقانه له أكثر؛ فمحيي الدين النووي (ت٦٧٦هـ)، "صنف كتبًا في الحديث والفقه عم النفع بها"(٧)، وكذلك "أبو قلابة الجرمي (ت١٠٤هـ) "كان ثقة كثير الحديث،... من

---

(١) الإستانبولي: تفسير روح البيان، ج٢، ص٤٢١.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٤، ص٣٩٣؛ وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٦٦، ص٥٤.

(٣) عمر رضا كحالة. (معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية)، ج٧، ص٢٠٥ .

(٤) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص١٤٢.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٣٥٥.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٩، ص١٧٦.

(٧) ابن العطار: تحفة الطالبين، ج١، ص٦.

الفقهاء ذوي الألباب"(١)، وقد تم إدراج كل منهما ضمن المحدثين؛ لأنه التخصص الذي تلا اسمهما مباشرة.

وإذا تعذر ذلك، أُدرج في الفئة الموضوعية لكتب التراجم التي ترجمت له، فإذا ذُكرت ترجمته في طبقات الفقهاء، أُدرج ضمن الفقهاء، وإذا ذُكرت ترجمته في تراجم اللغويين، تم إدراجه مع اللغويين، وهكذا، ومثال ذلك: أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) "صاحب القراءات"(٢)، و"أحد القراء السبعة"(٣)، و"النحوي، البصري، المقرئ"(٤)، أدرجه الباحث ضمن "النحاة" لذكره ضمن تراجم أئمة النحو واللغة، وهكذا.

ويمكن تقسيم المؤلفين الذين أتلفوا مؤلفاتهم إلى سبع فئات: محدثين، ولغويين، وفقهاء، ومتصوفة، وفلاسفة، ومؤرخين، ومفسرين.

المرتبة الأولى: المحدِّثون

فقد بلغ عددهم ستة وثلاثين مؤلفًا، يمثلون ٥٥٪ من مجتمع الدراسة، وهم: مسروق بن الأجدع (ت٦٣هـ) "كان ثقة، له أحاديث صالحة"(٥)، وأبو قلابة الجرمي (ت١٠٤هـ)، "وكان ثقة كثير الحديث"(٦)، وطاووس بن كيسان (ت١٠٦هـ)، "وكان يَعُدّ الحديث حرفًا حرفًا"(٧)، وابن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ) "وكان أحفظ أهل زمانه، وأحسنهم سياقًا بمتون الأخبار"، وخالد الحذاء (ت١٤٢هـ)، وهو "محدِّث البصرة"(٨)، وهشام بن حسان (ت١٤٧هـ) "محدِّث"(٩)، ومحمد بن عبيد الله العرزمي (ت١٥٥هـ) محدث "سمع سماعًا كثيرًا وكتب"(١٠)، وشعبة بن الحجاج (ت١٦٠هـ) "من أئمة رجال الحديث، حفظًا ودراية وتثبتًا"(١١)، وسفيان الثوري (ت١٦١هـ) "أمير المؤمنين في الحديث"(١٢)، وعاصم بن ضمرة (ت١٧٤هـ)، قال عنه بعض أقرانه "كنا نعرف فضل

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٥، ص١٨٢.
(٢) ابن حبان: الثقات، ج٦، ص٣٤٥.
(٣) الفيروزأبادي: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ج١، ص٢٢.
(٤) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج١٢، ص١٦٠.
(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٦٧.
(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٨٣.
(٧) المرجع السابق، ج٥، ص٥٤١.
(٨) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص١١٢.
(٩) الزركلي: الأعلام، ج٨، ص٨٥.
(١٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٦٨.
(١١) الزركلي: الأعلام، ج٣، ص١٦٤.
(١٢) المرجع السابق، ج٣، ص ١٠٤.

حديث عاصم بن ضمرة"[1]، وعبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ)، وهو "في المحدّثين مثل أمير المؤمنين في الناس"[2]، وضيغم بن مالك (ت١٨١هـ)، محدّث "يروي عن مالك بن دينار، وروى عنه ابنه مالك بن ضيغم"[3]، وهشيم بن بشير (ت١٨٣هـ)، "من ثقات المحدّثين"[4]، ومحمد بن يوسف بن معادن (ت١٨٤هـ)، محدّث[5]، والمطلب بن زياد (ت١٨٥هـ) "محدّث جليل"[6]، وعيسى بن يونس (ت١٨٨هـ) يقول عن نفسه "أربعين حديثًا حدثنا بها الأعمش فيها ضرب الرقاب لم يشركني فيها غير محمد بن إسحاق المديني"[7]، وعلي بن مسهر (ت١٨٩هـ) "الحافظ،... جمع الحديث والفقه"[8]، وعطاء بن مسلم الخفاف (ت١٩٠هـ) "دفن كتبه، ثم جعل يحدّث فيخطئ"[9]، ويوسف بن أسباط (ت١٩٥هـ) "دفن كتبه، فحدّث بعد من حفظه"[10]، وعبد العزيز بن عمران (ت١٩٧هـ) "كان يحدّث بحفظه"[11]، والحسن بن رودبار (ت٢٠١٩هـ) "دفن كتبه، وقال لا يصلح قلبي على الحديث"[12]، وحماد بن أسامة (ت٢٠١هـ) "كان صحيح الكتاب، ضابطًا للحديث"[13]، ومؤمل بن إسماعيل (ت٢٠٦هـ) "دفن كتبه، فكان يحدّث من حفظه، فكثر خطؤه"[14]، ويحيى بن يحيى (ت٢٢٦هـ) "ظهر له نيف وعشرون ألف حديث"[15]، وبشر ابن الحارث (ت٢٢٧هـ) "المحدّث"[16]، وزيد بن المبارك الصنعاني (ت٢٣٠هـ) "حسن الحديث"[17]، وإسحاق بن راهوية (ت٢٣٧هـ) الذي يقول عن نفسه "لكأني أنظر إلى مائة ألف حديث في كتبي وثلاثين ألفًا أسردها"[18]، ومجاهد بن موسى (ت٢٤٤هـ) "سكن

(١) البخاري: التاريخ الكبير، ج٦، ص٤٨٢.
(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٣٨٤.
(٣) ابن حبان: الثقات، ج٦، ص٤٨٦.
(٤) الزركلي: الأعلام، ج٨، ص٨٩.
(٥) ابن حيان: طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، ج١، ص٢٩٧.
(٦) الخزرجي: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، ج١، ص٣٧٩.
(٧) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٤٨، ص٢٤.
(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٤٨٦.
(٩) ابن الجوزي: الضعفاء والمتروكين، ج٢، ص١٧٨.
(١٠) العقيلي: الضعفاء الكبير، ج٩، ص٤٢٠.
(١١) بن شبة: تاريخ المدينة المنورة، ج١، ص٨٠.
(١٢) العجلي: معرفة الثقات، ج١، ص٢٩٤.
(١٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٣، ص٣.
(١٤) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ج٤، ص٥٣١.
(١٥) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٢، ص٥.
(١٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٦٩.
(١٧) الذهبي: الكاشف، ج١، ص٤١٩.
(١٨) المزي: تهذيب الكمال، ج٢، ص٣٨٥.

بغداد وحدّث بها"(١)، وأبو كريب الهمداني (ت٢٤٨هـ) "شيخ المحدّثين"(٢)، ومحمد بن يحيى (ت٢٥٨هـ) "إمام أهل الحديث بخراسان"(٣)، وموسى بن هرون (ت٢٩٤هـ) "إمام وقته في حفظ الحديث وعلله"(٤)، وعبد الله بن محمد بن سلم المقدسي (ت٣١٢هـ) "المحدّث"(٥)، ومحمد بن عمر الجعابي (ت٣٥٥هـ) "أحد الحفاظ المجودين"(٦)، وعبد الرحمن بن سلمة الجمحي (ت٣٦٨هـ) "كان يكتب الحديث"(٧)، والنووي (ت٦٧٦هـ) "صنف كتبًا في الحديث والفقه عم النفع بها"(٨)، وجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) "كان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه، رجالاً وغريبًا ومتنًا وسندًا واستنباطًا للأحكام"(٩).

المرتبة الثانية: اللغويون

بلغ عددهم عشرة مؤلفين، يمثلون ١٥٪ من مجتمع الدراسة، ويمكن تقسيمهم إلى فئتين:

أ - النحاة، وبلغ عددهم خمسة مؤلفين، وهم: أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) "النحوي"(١٠)، وأبو سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ) "قرأ النحو،..واللغة،... وله تآليف منها شرح كتاب سيبويه، وأحسن فيه"(١١)، "منقطع النظير في علم النحو خاصة"(١٢)، وعلي بن عيسى الربعي (ت٤٢٠هـ) "أحد أئمة النحويين وحذاقهم"(١٣)، وعلي بن طلحة (ت٤٢٤هـ) "النحوي"(١٤)، وشميم الحلي(ت٦٠١هـ) "النحوي"(١٥).

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢٦٥.
(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٣٩٤.
(٣) المرجع السابق، ج١٢، ص٢٧٣
(٤) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٢، ص٢١٧.
(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٣٠٦.
(٦) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٧، ص٣٦- ٣٨.
(٧) ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح، ج١، ص٨١٠.
(٨) ابن العطار: تحفة الطالبين، ج١، ص٦.
(٩) السيوطي: العرف الوردي، ج١، ص٤٩.
(١٠) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج١٢، ص١٦٠.
(١١) الفيروزأبادي: البلغة في أئمة النحو واللغة، ج١، ص١٦.
(١٢) الغزي: الطبقات السنية، ج١، ص٢٢٩ق.
(١٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص١٠٤.
(١٤) السيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص١٠٧.
(١٥) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٢٦٣.

ب - الأدباء، وعددهم خمسة مؤلفين أيضًا، وهم أبو صالح محمد بن المهذب (ت٢١١هـ) وكان إمامًا في الأدب وقول الشعر"[١]، ومحمد بن علي بن المطلب (ت٤٧٨هـ) "الأديب،... الشاعر"[٢]، وأبو إسحاق الغزي (ت٥٢٤هـ) كان "يضرب به المثل في صناعة الشعر"[٣]، وصدر الدين بن الوكيل (ت٧١٦هـ) "قال الشعر، فلم يتقدمه فيه أحد من أبناء جنسه"[٤]، وأحمد بن يحيى (ت٧٧٦هـ) "اشتغل بالأدب، وولع به حتى مهر"[٥].

المرتبة الثالثة: الفقهاء

بلغ عددهم تسعة فقهاء، يمثلون ١٣,٥٪ من المؤلفين محل الدراسة، وتتوزعهم إلى ثلاث فئات:

أ - فقهاء غير متمذهبين: وكانوا قبل ظهور المذاهب الفقهية المعروفة، وعددهم أربعة مؤلفين، وهم: عبيدة بن عمرو السلماني (ت٧٢هـ)، "من كبار أصحاب ابن مسعود الفقهاء"[٦]، وعروة بن الزبير (ت٩٤هـ)، "أحد الفقهاء السبعة بالمدينة"[٧]، والحسن البصري (ت١١٠هـ)، "فقيه، فاضل، مشهور"[٨]، ومحمد بن سيرين (ت١١٠هـ)، "كان فقيهًا، إمامًا، غزير العلم"[٩].

ب - فقهاء شافعية: وعددهم أربعة أيضًا، وهم: محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، الذي "حبِّب إليه الفقه، فسادَ أهل زمانه،... وصنف في أصول الفقه وفروعه،... لم يكن يشتهي الكلام، إنما همته الفقه،..."[١٠]، والماوردي (ت٤٥٠هـ) "الفقيه الشافعي"[١١]، وأبو طالب الكرخي (ت٥٨٥هـ) "الفقيه، الشافعي"[١٢]، وإبراهيم ابن الغرس (ت٨٨٨هـ) "الشافعي"[١٣].

(١) ابن ماكولا: إكمال الكمال، ج٧، ص٤١٨.
(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٤٩٠.
(٣) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٠، ص١٥- ١٦.
(٤) الصفدي: أعيان العصر، ج٢، ص٣٧٣.
(٥) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص١١٠.
(٦) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص٣١٤.
(٧) الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٢٢٦.
(٨) ابن حجر: تقريب التهذيب، ج١، ص٢٣٦.
(٩) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص٦٢.
(١٠) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٢٦.
(١١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٨٢.
(١٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٢٨٥.
(١٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٥.

ج - فقهاء حنفية: داود بن نصير(ت١٦٢هـ)، وهو "من الفقهاء ممن يجالس أبا حنيفة"(١).

المرتبة الرابعة: المتصوفة

بلغ عددهم سبعة مؤلفين، يمثلون ٥, ١٠٪ من مجتمع الدراسة، وهم: أبو سليمان الداراني (ت٢١٥هـ)، المتصوف، و"كان أحد عباد الله الصالحين، ومن الزهاد المتعبدين"(٢)، وسلم بن ميمون الخواص (ت٢٢٠هـ) "وهو في عداد المتصوفة الكبار"(٣)، وأحمد بن أبي الحواري (ت٢٤٦هـ) "أحد العلماء الزهاد والمشهورين، والعباد المذكورين، والأبرار المشكورين، ذوي الأحوال الصالحة والكرامات الواضحة"(٤)، وأبو بكر الشبلي (ت٣٣٤هـ) "شيخ الصوفية"(٥)، وأحمد بن محمد الخلال (ت٣٦٠هـ) الذي "كان يتصوف ويرمي بالحديث"(٦)، وأبو سعيد بن أبي الخير (ت٤٦٧هـ) "مقدم شيوخ الصوفية"(٧)، وعبد الله الإلهي (ت٨٩٦هـ) "الصوفي"(٨).

المرتبة الخامسة: الفلاسفة

وعددهم اثنان، لا يمثلون إلا ٣٪ من مجتمع الدراسة، وهما: أحمد بن الطيب (ت٢٨٦هـ) "صاحب يعقوب بن إسحاق الكندي،...وكان موضعه من الفلاسفة لا يجهل"(٩)، وأبو حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ) "فيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة"(١٠).

المرتبة السادسة: المؤرخون

يقع ضمن هذا التخصص مؤلف واحد، وهو أبو غالب الذهلي(ت٥٠٧هـ) "وكان مفيد أهل بغداد والمرجوع إليه في معرفة الشيوخ، وشرع في تتمة تاريخ بغداد"(١١).

---

(١) ابن حبان: الثقات، ج٦، ص٢٨٢.

(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٣٤، ص١٢٤.

(٣) الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال، ج٣، ص٣٢٨.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص٣٨٤.

(٥) ابن فرحون: الديباج، ج١، ص٦٣.

(٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص٣٩٠.

(٧) الصيرفيني، تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، ج١، ص ٤٤٨.

(٨) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٧، ص٣٥٨.

(٩) المسعودي: مروج الذهب، ج٢، ص١٥٢.

(١٠) السيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص١٩٠.

(١١) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٩، ص١٧٦.

المرتبة السابعة والأخيرة: المفسرون

ويندرج ضمن هذا التخصص مؤلف واحد أيضًا، هو محمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) الذي كان يقول: "ليس من عمل أعظم من تفسير كتاب الله في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم"(١) .

مما سبق يتبين أن ٥٥٪ ممن أتلف كتبه كان من المحدِّثين، و١٥٪ من اللغويين، و١٣,٥٪ من الفقهاء، و١٠,٥٪ من المتصوفة، و٣٪ من الفلاسفة، و١,٥٪ من المؤرخين، ونفس النسبة من المفسرين، وهذا يعني أن أكثر فئة علمية أتلفت كتبها هم المحدِّثون، ولعل ذلك راجع إلى كون هذا التخصص العلمي أكثر التخصصات اعتمادًا على الحفظ، فرغبة هؤلاء المؤلفين في عدم الاتكال على الكتاب وتقوية ملكة حفظهم، جعلت الكثير منهم لا يكتب، وإنما يحفظ مباشرة، والكثير ممن كان يكتب منهم كان يكتب ليحفظ، فإذا حفظ ما كتب أتلفه، إضافة إلى المبررات الأخرى التي ذُكرت من قبل في الجزء الخاص بالمبررات.

سادسًا - بلدان المؤلفين الذين أتلفوا مؤلفاتهم

تمثل الاهتمام في هذه الجزئية في تحديد البلدان التي أتلف المؤلف مؤلفاته بها، لا البلدان التي كان أصله منها، أو التي ولد فيها، وقد كان هذا الأمر من الصعوبة بمكان؛ إذ أن كتب التراجم- في غالبها- اهتمت بذكر البلد التي يرجع أصل المؤلف إليه، أو البلد التي ولد به، وقليلاً ما كانت توضح البلدان التي نشأ فيها وطلب العلم بها، وأقل منها تلك التي توضح متى انتقل إلى هذه البلاد.

فكانت المحاولة هي تحديد في أي سنة تقريبية أتلف المؤلف مؤلفاته، وأي البلاد وقتها كان يسكن، على سبيل المثال: محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ) "حمل إلى مكة فسكنها، وتردد بالحجاز والعراق وغيرها، ثم استوطن مصر، وتوفى بها"(٢)، ونظرًا لأن الشافعي ولد سنة ١٥٠هـ وانتقل إلى مصر سنة ١٩٩هـ، وأحكم ما كتب بالعراق، فالراجح أنه أتلف كتبه التي كتبها بالعراق بعد أن انتقل لمصر؛ لذا تم إدراجه فيمن أتلف كتبه بمصر على الرغم من أنه ليس مصريًا. ومثله: عيسى بن يونس (ت١٨٨هـ) "الكوفي"(٣)، فعلى الرغم أنه كوفي، إلا أنه أدرج ضمن الشاميين؛ لأنه "انتقل عن الكوفة

(١) الشنقيطي: أضواء البيان، ج٩، ص٤٧٩ .

(٢) ابن فرحون: الديباج، ج١، ص١٢٥ .

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٤٨، ص٣١.

إلى بعض ثغور الشام، فسكنها ...، وتوفى بها"[١].

وفي حالة استحالة تحديد البلد التي أتلف المؤلف فيها مؤلفاته، كان الباحث ينسبه إلى البلد التي نسبه إليها من ترجم له؛ فإذا قال المترجمون فلان الكوفي، أُدرج ضمن مؤلفي الكوفة، وهكذا.

ووفقًا لهذه المعايير توصلت الدراسة إلى أن الإتلاف لم يقتصر على بلد واحد، أو جنسية بمفردها؛ بل تعددت بلدان الإتلاف وجنسيات من أتلف، فكان منهم العراقيون، والشاميون، والفارسيون، والمصريون، والمدنيون، واليمنيون، والأتراك، والموريتانيون، وقد أمكن تقسيمهم إلى ست فئات، كما يلي:

الفئة الأولى: العراقيون

وقد بلغ عددهم خمسًا وثلاثين مؤلفًا، يمثلون ٥٣٪ من مجتمع الدراسة، أمكن تقسيمهم وفقاً لمدنهم إلى أربعة أقسام:

أ- البغداديون

بلغ عددهم اثني عشر مؤلفًا، يمثلون ١٨٪ من مجتمع الدراسة، وهم: هشيم بن بشير "الواسطي، نزيل بغداد"[٢]، ومجاهد بن موسى الذي "سكن بغداد وحدَّث بها،... ومات ببغداد"[٣]، وموسى بن هرون "البغدادي"[٤]، وأبو بكر الشبلي، "ومنشؤه ببغداد"[٥]، وأحمد بن محمد الخلال الذي "انصرف إلى بغداد،... وتوفي قرب ذلك"[٦]، وأبو سعيد السيرافي الذي "ولي قضاء بغداد، وسكن الجانب الشرقي منها "[٧]، وعلي بن عيسى الربعي الذي "رجع إلى بغداد، فأقام بها إلى أن مات"[٨]، وعلي بن طلحة "الواسطي المولد والدار"[٩]، وعلي بن محمد الماوردي، الذي "استوطن بغداد"[١٠]، "وتوفي بها"[١١]،

---

(١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٤٨، ص٣٢ .

(٢) البخاري: التاريخ الصغير، ج٢، ص٢١١.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢٦٥.

(٤) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٢، ص٢١٦.

(٥) ابن فرحون: الديباج، ج١، ص٦٣.

(٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص٣٩٠.

(٧) الفيروز أبادي: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص١٦.

(٨) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص١٠٥.

(٩) المرجع السابق، ج٢، ص٨٢ .

(١٠) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٨٢- ٢٨٤.

(١١) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج٧، ص١٨٩.

ومحمد بن علي بن المطلب "البغدادي"(١)، وأبو غالب الذهلي "من أهل الحريم من غرب بغداد"(٢)، وأبو طالب الكرخي، الذي قال أحد أقرانه: "أدركت زمانه، ولقيت ببغداد أوانه"(٣).

ب - الكوفيون

بلغ عددهم اثني عشر مؤلفًا أيضًا، يمثلون ١٨٪ من مجتمع الدراسة، وهم: مسروق ابن الأجدع "الكوفي"(٤)، وعبيدة بن عمرو السلماني "من أهل الكوفة"(٥)، ومحمد بن عبيد الله العرزمي "الكوفي"(٦)، وسفيان الثوري "الكوفي"(٧)، وداود بن نصير "الكوفي"(٨)، وعاصم بن ضمرة "الكوفي"(٩)، والمطلب بن زياد "الكوفي"(١٠)، وعلي بن مسهر "الكوفي"(١١)، ويوسف بن أسباط "الكوفي"(١٢)، والحسن بن رودبار "الكوفي"(١٣)، وحماد ابن أسامة، "الكوفي"(١٤) وأبو كريب الهمداني، "الكوفي"(١٥).

ج - البصريون

وهم تسعة مؤلفين، يمثلون ١٣,٥٪ من مجتمع الدراسة، وهم: أبو قلابة الجرمي "من أهل البصرة"(١٦)، والحسن البصري "مات بالبصرة"(١٧)، ومحمد بن سيرين "إمام وقته في علوم الدين بالبصرة"(١٨)، وخالد الحذاء "محدّث البصرة"(١٩)، وهشام بن حسان

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٤٩٠.
(٢) البغدادي: التقييد لمعرفة رواة السنن، ج١، ص٢٩٨- ٢٩٩.
(٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٢٨٦.
(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٦٢.
(٥) ابن حبان: الثقات، ج٥، ص١٣٩.
(٦) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٩، ص٢٨٧.
(٧) ابن حجر: لسان الميزان، ج٧، ص٢٢٣.
(٨) الغزي: الطبقات السنية، ج١، ص٢٧٨.
(٩) البخاري: التاريخ الكبير، ج٧، ص٤٨٢.
(١٠) العجلي: معرفة الثقات، ج٢، ص٢٨٢.
(١١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٤٨٤.
(١٢) العجلي: معرفة الثقات، ج٢، ص٣٧٤.
(١٣) المرجع السابق: ج١، ص٢٩٤.
(١٤) ابن حجر: فتح الباري، ج١، ص٣٩٩، ٤٦٣.
(١٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص٣٩٤.
(١٦) الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٨٨.
(١٧) الشيرازي: أبو إسحاق الشيرازي الشافعي: طبقات الفقهاء، ج١، ص٨٧.
(١٨) الزركلي: الأعلام، ج٦، ص١٥٤.
(١٩) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص١١٢.

"من أهل البصرة"[١]، وأبو عمرو بن العلاء "من أهل البصرة"[٢]، وشعبة بن الحجاج "سكن البصرة إلى أن توفي"[٣]، وضيغم بن مالك "من أهل البصرة"[٤]، ومؤمل بن إسماعيل "البصري"[٥].

د - الموصليون

وهما مؤلفان، يمثلان ٣٪ من مجتمع الدراسة، هما: محمد بن عمر الجعابي "قاضي الموصل"[٦]، وشميم الحلي الذي "مات بالموصل"[٧].

الفئة الثانية: الشاميون

عشرة مؤلفين، يمثلون ١٥٪ من مجتمع الدراسة، وهم: عيسى بن يونس الذي "انتقل عن الكوفة إلى بعض ثغور الشام، فسكنها،... وتوفي بها"[٨]، وعطاء بن مسلم الخفاف "كوفي الأصل، حلبي الدار"[٩]، وأبو صالح محمد بن المهذب "من أهل معرة النعمان"[١٠]، وأبو سليمان الداراني "من أهل دمشق من داريا"[١١]، وسلم بن ميمون الخواص "من عباد أهل الشام"[١٢]، وأحمد بن أبي الحواري الذي "سكن دمشق"[١٣]، وعبد الله بن محمد بن سلم "المقدسي"[١٤]، وأبو إسحاق الغزي "من أهل غزة بفلسطين"[١٥]، ومحيي الدين النووي "نسبة إلى "نوى" وهي قاعدة الجولان من أرض حوران من أعمال دمشق"[١٦]، وإبراهيم بن الغرس "الدمشقي"[١٧].

(١) الزركلي: الأعلام، ج٨، ص٨٥.
(٢) ابن حبان: الثقات، ج٦، ص٣٤٥.
(٣) الزركلي: الأعلام، ج٣، ص١٦٤.
(٤) ابن تغزي بردي: النجوم الزاهرة، ج١، ص١٣٩.
(٥) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج١٠، ص٣٣٩.
(٦) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٧، ص٣٦.
(٧) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٤٣.
(٨) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٤٨، ص٣١ق.
(٩) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٦، ص٣٣٦.
(١٠) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ج٢، ص٢٠٦ .
(١١) ابن حبان: الثقات، ج٨، ص١٧٦.
(١٢) ابن حبان: المجروحين، ج١، ص٢٣١.
(١٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص٣٨٤.
(١٤) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٣٢، ص١٩٣.
(١٥) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٠، ص١٥.
(١٦) ابن العطار: تحفة الطالبين، ج١، ص٣- ١١.
(١٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٥.

الفئة الثالثة: الفارسيون

بلغ عددهم تسعة مؤلفين أي ١٢,٥٪ من مجتمع الدراسة، وهم: عبد الله بن المبارك "المروزي"(١)، ومحمد بن يوسف بن معادن "الأصبهاني"(٢)، ويحيى بن يحيى "عالم خراسان،... النيسابوري"(٣)، وبشر بن الحارث "المروزي"(٤)، وإسحاق بن راهوية "المروزي"(٥)، ومحمد بن يحيى "إمام أهل الحديث بخراسان،... النيسابوري"(٦)، وأحمد ابن الطيب "الخراساني، السرخسي"(٧)، وأبو حيان التوحيدي الذي "قدم بغداد، فأقام بها مدة، ومضى إلى الري"(٨)، وأبو سعيد بن أبي الخير "الفارسي، ولد في ميهنة، أهم مدينة في إقليم خابران بخراسان"(٩).

الفئة الرابعة: المدنيون والمصريون

إذ بلغت نسبة كل منهما ٦٪، أما المدنيون، فهم: عروة بن الزبير، "أحد الفقهاء السبعة بالمدينة"(١٠)، وابن شهاب الزهري "المدني"(١١)، وعبد العزيز بن عمران "المديني"(١٢)، وعبد الرحمن بن سلمة الجمحي "من أهل المدينة"(١٣).

وأما المصريون، فهم: الإمام الشافعي الذي "استوطن مصر، وتوفي بها"(١٤)، وصدر الدين بن الوكيل الذي "وُلد بدمياط وقيل بأشمون"(١٥)، وأحمد بن يحيى الذي "ولي مشيخة الصوفية بصهريج منجك ظاهر القاهرة"(١٦)، وجلال الدين "السيوطي"(١٧) المولد والمنشأ.

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص٣٧٨.
(٢) ابو نعيم الأصبهاني: تاريخ أصبهان، ج١، ص٢٧٠.
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص٥١٢.
(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص٤٦٩.
(٥) البغدادي: التقييد لمعرفة رواة الأسانيد، ج١، ص١٩٥.
(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص٢٧٣.
(٧) ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص١٦٣.
(٨) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج٧، ص٢٠٥.
(٩) السلمي: أبو عبد الرحمن: طبقات الصوفية، ج١، ص ٦.
(١٠) الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٢٢٦.
(١١) السيوطي: إسعاف المبطأ، ج١، ص٢٦.
(١٢) البخاري: التاريخ الكبير، ج١، ص٣٢٢.
(١٣) المرجع السابق، ج٥، ص٢٩٠ .
(١٤) ابن فرحون: الديباج، ج١، ص١٢٥.
(١٥) الصفدي: أعيان العصر، ج٢، ص٣٧٣
(١٦) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص١١٠.
(١٧) السيوطي: العرف الوردي، ج١، ص٦٤.

الفئة الخامسة: اليمنيون

وهما اثنان، أي نسبة ٣٪ من مجتمع الدراسة، وهما: طاووس بن كيسان "اليماني"(١)، وزيد بن المبارك الصنعاني "يماني"(٢).

الفئة السادسة: الأتراك والموريتانيون

ويمثلهم مؤلف من كل دولة بنسبة ١,٥٪ لكل منهما، وهما: عبد الله الإلهي وكان مولده بقصبة سماو من ولاية أناضول،... وتوطن مدة بمدينة قسطنطينية"(٣) بتركيا، ومحمد الأمين الشنقيطي من شنقيط، وهي "دولة موريتانيا الإسلامية الآن"(٤).

مما سبق تبين أن ٥٣٪ من المؤلفين الذين أتلفوا مؤلفاتهم عراقيون، أو أتلفوها بالعراق، تلاهم الشاميون بنسبة ١٥٪، ثم الفارسيون بنسبة ١٣,٥٪، ثم المصريون والمدنيون بنسبة ٤٪ لكل منهما، ثم اليمنيون بنسبة ٣٪، وأخيرًا الأتراك والموريتانيون بنسبة ١,٥٪ لكل منهما.

وكون أكثر من نصف من أتلف عراقيون أو أتلفوها بالعراق يتوافق مع كون العراق أحد أهم الحواضر الإسلامية، والدولة الأولى في عهد الخلافة العباسية، وملتقى العلماء والمؤلفين، والتي لها دور عظيم في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، منذ ١٣٢هـ؛ إذ ازدهرت الحضارة فيها، وانطلقت منها إشعاعات الفكر، ووفد إليها العلماء وطلاب العلم، وظلت مزدهرة على مدى أكثر من خمسة قرون، حتى زحف إليها المغول وقضوا على مكانتها الحضارية سنة ٦٥٦هـ. في هذه القرون الخمسة الممتدة من القرن الثاني الهجري حتى القرن السابع الهجري بلغت ظاهرة إتلاف المؤلفين لكتبهم ذروتها؛ إذ وقع فيها ٧٧٪ من حالات الإتلاف، فلا غرو أن يقع في العراق ٥٣٪ من حالات الإتلاف.

سابعًا: قدر من أتلفوا كتبهم

إن ذكر وقائع إتلاف المؤلف لمؤلفاته، واهتمام الكثير من كتب التأريخ والتراجم وغيرها بذلك - ليدل على ما لهؤلاء المؤلفين، من قدر، فلو لم يكن لهم شأن لما اهتم المؤرخون والمترجمون بذكر سيرهم ووقائع إتلافهم.

---

(١) السيوطي: إسعاف المبطأ، ج١، ص٤١.

(٢) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٣، ص٥٧٣.

(٣) طاشكبري زادة، أبو الخير عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ج١، ص١٥٢.

(٤) الشنقيطي: أضواء البيان، ج٩، ص٤٧٩.

والمتأمل في سير من أتلف كتبه يجد أن أغلبهم له مكانة في تخصصه، سواء كانوا علماء دين أو علماء دنيا، ومن خلال دراسة سيرهم أمكن تقسيمهم إلى أربعة أقسام، هي:

القسم الأول: علماء عبّاد

اشتهروا في حياتهم بالعلم، كما اشتهروا بالعبادة، وبلغ قدر عددهم أربعة عشر مؤلفًا، يمثلون ٢١,٥٪ من مجتمع الدراسة، وهم عروة بن الزبير "أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان عالمًا بالدين، صالحًا، كريمًا"(١)، وطاووس بن كيسان، وكان رأسًا في العلم والعمل"(٢)، والحسن البصري كان "كبير الشأن، رفيع الذكر، رأساً في العلم والعمل"(٣)، ومحمد بن سيرين "الإمام في التفسير، والحديث، والفقه، وعبر الرؤيا، والمقدم في الزهد والورع" (٤)، وسفيان الثوري "أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى"(٥)، وهو أيضًا "رجل صالح، زاهد، عابد، ثبت الحديث، فقيه، صاحب سنة واتباع"(٦)، وداود بن نصير الطائي "ممن علم وفقه،... ثم إنه تزهد،... وأقبل على العبادة"(٧)، وعبد الله بن المبارك "عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته"(٨)، وهشيم بن بشير "كان محدِّث بغداد"(٩)، "قال أبو حاتم: لا يُسأل عن هشيم في صلاحه وصدقه وأمانته"(١٠)، وزيد بن المبارك "كان من أولياء الله، العبَّاد، حسن الحديث"(١١)، ومجاهد بن موسى "الحافظ، الإمام، الزاهد"(١٢)، وعبد الله بن سلم المقدسي "المحدِّث، العابد، الثقة"(١٣)، وأبو سعيد السيرافي "كان ورعًا، عالمًا،... صام أربعين سنة أو أكثر الدهر كله"(١٤)، والنووي "الصوام، القوام، الزاهد،... كثير التلاوة

(١) الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٢٢٦.
(٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص٦٩.
(٣) الذهبي: الكاشف، ج١، ص٣٢٤.
(٤) النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ج١، ص١١٢.
(٥) الزركلي: الأعلام، ج١، ص١٠٤.
(٦) العجلي: الثقات، ج١، ص٤٠٧.
(٧) الغزي: الطبقات السنية، ج١، ص٢٧٨
(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٣٨٨.
(٩) الزركلي: الأعلام، ج٨، ص٨٩.
(١٠) الذهبي: ميزان الاعتدال، ج٤، ص٣٠٧.
(١١) الذهبي: الكاشف، ج١، ص٢١٩.
(١٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٤٩٥.
(١٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٣٠٦.
(١٤) الغزي: الطبقات السنية، ج١، ص٢٢٩.

والذكر لله تعالى،... صنف كتبًا في الحديث والفقه عم النفع بها"[١]، وآخرهم أحمد بن يحيى الذي "اشتغل بالأدب وولع به حتى مهر، ثم ولي مشيخة الصوفية"[٢].

القسم الثاني: علماء

لا يمكن إنكار أنهم كانوا أيضًا عبادًا، إلا أن شهرتهم بالعلم غلبت على شهرتهم بالعبادة، وبلغ عددهم ثمانية وعشرين مؤلفًا، بما يمثل ٤٢٪ من مجتمع الدراسة، يمكن تقسيمهم لفئتين:

١ - علماء دين، عددهم ثلاثة وعشرون مؤلفًا، وهم: عبيدة بن عمرو السلماني "من كبار أصحاب ابن مسعود الفقهاء"[٣]، وأبو قلابة "كان ثقة، كثير الحديث"[٤]، وابن شهاب الزهري قال عنه الليث:"ما رأيت عالمًا قط أجمع من ابن شهاب، ولا أكثر علمًا منه"[٥]، وخالد الحذاء " ثقة"[٦]، وهشام بن حسان "ثقة، حسن الحديث"[٧]، وأبو عمرو بن العلاء "أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر"[٨]، وشعبة بن الحجاج "أمير المؤمنين في الحديث"[٩]، وعاصم بن ضمرة "وثقه ابن المديني، وقال النسائي: ليس به بأس"[١٠]، والمطلب بن زياد "يُكتب حديثه"[١١]، وعيسى بن يونس، "قال إسحاق بن راهوية: قلت لوكيع إني أريد أن أذهب إلى عيسى بن يونس، فقال: تأتي رجلاً قد قهر العلم"[١٢]، وعلي بن مُسهر "كان ممن جمع الحديث والفقه، ثقة"[١٣]، والحسن بن رودبار "ثقة"[١٤]، وحماد بن أسامة "أحد الأئمة الأثبات"[١٥]، والشافعي "أفقه الناس في كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١٦]، ويحيى بن يحيى "ما أخرجت

---

(١) ابن العطار: تحفة الطالبين، ج١، ص١-٦.

(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص١١٠.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص٤١٣.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٨٣.

(٥) السيوطي: إسعاف المبطأ، ج١، ص٢٦.

(٦) ابن شاهين: أبو حفص عمر بن شاهين: تاريخ أسماء الثقات، ج١، ص٢٧٦ .

(٧) العجلي: معرفة الثقات، ج٢، ص٣٢٨.

(٨) السيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص٢٣١.

(٩) الذهبي: الكاشف، ج١، ص٤٨٥.

(١٠) المرجع السابق، ج١، ص٥١٩ .

(١١) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٨، ص٣٦٠.

(١٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٤٨، ص٣١-٣٦.

(١٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٤٨٦.

(١٤) العجلي: معرفة الثقات، ج١، ص٢٩٤.

(١٥) ابن حجر: فتح الباري، ج١، ص٣٩٩.

(١٦) ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢، ص١٥٦-158

خراسان بعد ابن المبارك مثله"[١]، وإسحاق بن راهوية " كان أعلم الناس، ولو كان سفيان الثوري في الحياة لاحتاج إلى إسحاق"[٢]، وأبو كريب الهمداني "قال موسى بن إسحاق موضحًا مدى علمه: "سمعت من أبي كريب مئة ألف حديث"[٣]، ومحمد بن يحيى "إمام أهل الحديث بخراسان"[٤]، وموسى بن هرون "كان إمامًا، حافظًا، حجةً"[٥]، وعبدالرحمن ابن سلمة "كان يكتب الحديث"[٦]، والماوردي "فقيه، أصولي، مفسر"[٧]، والسيوطي "كان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه"[٨]، وآخرهم الشنقيطي "المفسر بالمسجد النبوي وبالمعهد العلمي بالرياض وكليتي: الشريعة، واللغة، وبمعهد القضاء العالي بالرياض، والمدرس بالجامعة الإسلامية"[٩].

٢ – علماء دنيا، وهم الذين اشتهروا بتخصصهم في مجالات موضوعية غير علوم الدين، وقد بلغ عددهم خمسة مؤلفين، هم: محمد بن المهذب "كان إمامًا في الأدب وقول الشعر"[١٠]، وعلي بن طلحة "الواسطيون يفضلونه على ابن جني والربعي"[١١]، ومحمد بن المطلب "الأديب الأوحد"[١٢]، وأبو غالب الذهلي كان "فهمًا، أديبًا"[١٣]، وآخرهم أبو إسحاق الغزي الذي "يضرب به المثل في صناعة الشعر"[١٤].

القسم الثالث: عُبّاد

وهم الذين غلبت شهرتهم بالعبادة على شهرتهم بالعلم، وبلغ عددهم ستة عشر مؤلفًا، يمثلون ٢٤٪ من مجتمع الدراسة، وهم: مسروق بن الأجدع الذي كان "يصلي حتى

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥١٥.
(٢) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٤، ص١١٦.
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٣٩٥.
(٤) المرجع السابق، ج١٢، ص٢٧٣ .
(٥) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٢، ص٢١٧.
(٦) ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصلاح، ج١، ص٨١٠.
(٧) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج٧، ص١٨٩.
(٨) السيوطي: العَرْفُ الوَرْدِي، ج١، ص٤٩.
(٩) الشنقيطي: أضواء البيان، ج٩، ص٤٩٢-٤٩٦.
(١٠) ابن ماكولا: إكمال الكمال، ج٧، ص٢١٨.
(١١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٨٢.
(١٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٤٩٠.
(١٣) البغدادي: التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، ج١، ص٢٩٨.
(١٤) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٠، ص١٥.

تورم قدماه"(١)، ومحمد بن عبيد الله العرزمي كان "رجلاً صالحًا"(٢)، وضيغم بن مالك "كان من المجتهدين في العبادة، وكان ورده في اليوم والليلة أربعمائة ركعة"(٣)، ومحمد ابن يوسف بن معادن "العابد، الزاهد"(٤)، وعطاء بن سلم الخفاف وهو "رجل صالح"(٥)، ويوسف بن أسباط "كان من العابدين"(٦)، ومؤمل بن إسماعيل "صدوق،... صالح"(٧)، وأبو سليمان الداراني "من أفاضل أهل زمانه وعبادهم، وخيار أهل الشام، وزهادهم"(٨)، وسلم ابن ميمون الخواص الذي "غلب عليه الصلاح"(٩)، وبشر بن الحارث "كان رأسًا في الورع والإخلاص"(١٠)، وأحمد بن أبي الحواري "أحد العلماء الزهاد المشهورين، والعباد المذكورين"(١١)، وأبو بكر الشبلي الذي "سلك مسالك المتصوفة"(١٢)، وأحمد بن محمد الخلال الذي "كان يتصوف"(١٣)، وأبو سعيد بن أبي الخير "أوحد الزمان، لم نر في طريقته مثله، مجاهدةً في الشباب، وإقبالاً على العمل، وتجردًا عن الأسباب، وإيثارًا للخلوة، ثم انفرادًا عن الأقران في الكهولة والمشيب"(١٤)، وأبو طالب الكرخي الذي "كان من الورع والزهد والعفة والنزاهة والسمت على طريقة اشتهر بها"(١٥)، وآخرهم عبد الله الإلهي "كان قاضيًا، ثم تركه، وصار ممن يلازم خدمة الشيخ"(١٦)

القسم الرابع: مجرَّحون

وهم من اتهموا في دينهم أو عقولهم، وقد بلغ عددهم ثمانية مؤلفين، يمثلون ١٢٪ من مجتمع الدراسة، وهم: عبد العزيز بن عمران الذي "كان يشتم الناس، ويطعن في

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٦٥.

(٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٩، ص٢٨٧.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤، ص٨٦٧.

(٤) أبو نعيم الأصبهاني: تاريخ أصبهان، ج١، ص٢٧٠.

(٥) الهيثمي، الحافظ نور الدين على بن أبى بكر بن سليمان المصري: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٢، ص٥٦٠.

(٦) العقيلي: الضعفاء الكبير، ج٩، ص٤٢٠.

(٧) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج١٠، ص٢٤٠.

(٨) ابن حبان: الثقات، ج٨، ص١٧٦.

(٩) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير : جامع البيان في تأويل القرآن، ج٥، ص٤٤٠.

(١٠) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٧٠.

(١١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص٣٨٤.

(١٢) الزركلي: الأعلام، ج٢، ص٣٤١.

(١٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص٣٩٠.

(١٤) الصيرفيني: المنتخب، ج١، ص٤٤٨.

(١٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٢٢٥.

(١٦) طاشكبري زادة: الشقائق النعمانية، ج١، ص١٥٣.

أحسابهم"[١]، وأحمد بن الطيب الذي "كان يرى رأي الفلاسفة، وقُتِل سكران"[٢]، وقال المعتضد قبل الأمر بقتله بعدما عرف أنه أحرق كتب الفلسفة: "وما ينفعه ذلك مع كفره"[٣]، ومحمد بن عمر الجعابي الذي "حُكى عنه قلة دين وشرب الخمر"[٤]، و"ورمي بالشرب والتهاون في الصلاة"[٥]، وأبو حيان التوحيدي الذي "قال ابن الجوزي في تاريخه: زنادقة الإسلام ثلاثة، ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو العلاء المعري، وأشدهم على الإسلام أبو حيان التوحيدي؛ لأنهما صرحا وهو يحجم ولم يصرح، وقال الذهبي كذا قال، بل كان عدوًا لله خبيثًا"[٦]، وعلي بن عيسى الربعي الذي "كان مبتلى بقتل الكلاب وكسر سوقهم"[٧]، ووصفه البعض بالجنون، فقالوا عنه: "كان يحفظ الكثير من أشعار العرب مما لم يكن غيره من نظرائه يقوم به، إلا أن جنونه لم يكن يدعه ليتمكن منه أحد في الأخذ عنه والإفادة منه"[٨]، وشميم الحلي الذي "كان قليل الدين، ذا حماقة ورقاعة"[٩]، وأُثر عنه "قلة الدين، وتركه للصلوات المكتوبة ومعارضته للقرآن الكريم، واستهزاؤه بالناس"[١٠]، وصدر الدين بن الوكيل "وكان فيه لعب ولهو"[١١]، وآخرهم إبراهيم بن الغرس "عقله رديء، وعبارته سقيمة "[١٢].

وهكذا اتضح أن من قام بإتلاف كتبه كان منهم العلماء العبَّاد، ومنهم العلماء، ومنهم العُبّاد، وبلغت نسبتهم ٨٨٪ من مجتمع الدراسة، كما أن منهم المجروحين المقدوح في دينهم أو عقلهم، ويلغوا ١٢٪ من مجتمع الدراسة.

ثامنًا - مدى توقف الحياة العلمية للمؤلفين الذين أتلفوا كتبهم

لم يتوقف غالبية المؤلفين الذين أتلفوا مؤلفاتهم عن حياتهم العلمية، إنما توقف القليل منهم؛ إذ كشفت الدراسة عن أن الذين استمروا في حياتهم العلمية بلغت نسبتهم

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٦، ص٣١٢.
(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال، ج٨، ص٣٣.
(٣) ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص٣٦٨.
(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص٣٨.
(٥) الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٣١١.
(٦) ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ج١، ص١٨٧.
(٧) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص١٠٤.
(٨) المرجع السابق، ج٢، ص١٠٥
(٩) الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٢٧٤.
(١٠) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٣٩.
(١١) الصفدي: أعيان العصر، ج٢، ص٢٧٣.
(١٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٥.

٧٩٪، وهي نسبة كبيرة؛ وذلك لأن بعضهم أتلف مؤلفاته عند موته، أو أوصى بإتلافها بعد موته، وبعضهم توقف قليلاً عن حياته العلمية ثم رجع بعد ذلك، وبعضهم أتلف مؤلفات مجال علمي واستمرت حياته العلمية في مجالات أخرى، والبعض الآخر كان إتلافه بغرض تدعيمه علميًا وتقويةً لملكة الحفظ لديه. أما الذين أتلفوا مؤلفاتهم وتوقفوا عن حياتهم العلمية فلم تتعدَّ نسبتهم ٢١٪ من مجتمع الدراسة.

وقد انقسم المؤلفون الذين أتلفوا مؤلفاتهم حيال استمرار حياتهم العلمية إلى قسمين:

القسم الأول: استمرت حياتهم العلمية

١- لأن الإتلاف كان عند موته أو بعده بتوصية منه، ومعناه أن حياته العلمية استمرت طوال حياتهم، ولم تتوقف إلا بالموت، وبلغ عددهم واحدًا وعشرين مؤلفًا، يمثلون ٣١٪ من مجتمع الدراسة، وهم: عبيده بن عمرو السلماني الذي دعا "بكتبه عند موته فمحاها"(١)، وأبو قلابة الجرمي الذي قال في مرض موته: "ادفعوا كتبي إلى أيوب إن كان حيًا، وإلا فاحرقوها"(٢)، والحسن البصري الذي قال لابنه لما ثقل عليه المرض "اجمعها لي، فجمعتها له، وما ندري ما يصنع بها، فأتيته بها، فقال للخادم: استجري التنور، ثم أمر بها فأحرقت"(٣)، وشعبة بن الحجاج الذي قال لابنه: " إذا أنا مت فاغسل كتبي وادفنها، فلما مات غسلت كتبه ودفنتها"(٤)، وسفيان الثوري الذي "أوصى أن تدفن كتبه"(٥)، وعبد الله بن المبارك الذي ذكره صاحب النكت على مقدمة ابن صلاح، بقوله: "جماعة دفنوا كتبهم منهم... عبد الله بن المبارك"(٦)، أي في نهاية حياتهم، وعيسى بن يونس الذي قال: "إني لأهم بها أن أحرقها، يعني كتبه"(٧)، ويحيى بن يحيى الذي "لو عاش سنتين لذهب حديثه، فإنه إذا شك في حديث أرسله، هذا في بدء أمره، ثم صار إذا شك في حديث تركه، ثم صار يضرب عليه من كتابه"(٨)، أي أنه أتلف كتبه قبل أن

(١) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٦١؛ سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٤٣.
(٢) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٦٢.
(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٧٥.
(٤) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٦٢.
(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٢٦١؛ والأصبهاني: حلية الأولياء، ج٧، ص٣٨؛ وابن الملقن: طبقات الأولياء، ج١، ص٥.
(٦) ابن بهادر: النكت على مقدمة ابن الصلاح، ج٣، ص٥٦١.
(٧) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٦٢.
(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥١٥.

يموت بأقل من سنتين، وإسحاق بن راهوية الذي "تغير قبل موته بخمسة أشهر"(١)، ومجاهد بن موسى الذي "جاء يومًا ومعه طبق، فقال هذا بقي، وما أراكم تروني بعدها، فحدثنا به، ورمى به، ثم مات بعد ذلك"(٢)، وأبو كريب الهمداني الذي "أوصى بكتبه أن تدفن، فدفنت"(٣)، ومحمد بن يحيى الذهلي الذي قال عنه أبو عمرو المستملي: "دفنت من كتب محمد بن يحيى بعد وفاته ألفي جزء"(٤)، وأحمد بن الطيب قبل إعدامه "أحرق كتبه كلها إلا الحديث والفقه واللغة والشعر"(٥)، ومحمد بن عمر الجعابي الذي "أوصى بأن تحرق كتبه، فأحرق جميعها"(٦)، وأبو سعيد السيرافي الذي "أوصى ابنه بأن يجعل مكتبته طعمة للنار"(٧)، وأبو حيان التوحيدي الذي "أحرق كتبه في آخر عمره"(٨)، والماوردي الذي أوصى صديقًا له أن يتلف كتبه بعد موته إن هو قبض يده عند الاحتضار(٩)، وأبو غالب الذهلي الذي "غسل ذلك قبل موته"(١٠) أي كتبه، وأحمد بن يحيى الذي أنشأ قصائد مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم، و"أوصى أن تدفن معه"(١١)، وإبراهيم بن الغرس الذي "كان يقول: إذا عاينت الموت ألقيتها في البحر، وكما قال"(١٢)، وآخرهم علي بن طلحة الذي "صنف كتابًا كبيرًا في إعراب القرآن، كان يقارب خمسة عشر مجلدًا، ثم بدا له فيه، فغسله قبل موته"(١٣).

٢- لأنه رجع لحياته العلمية بعد توقف مؤقت، وقد بلغ عددهم خمسة عشر مؤلفًا، يمثلون ٢٢,٥٪ من مجتمع الدراسة، وهم: طاووس بن كيسان الذي "كان إذا اجتمعت عنده الرسائل أمر بها فأحرقت"(١٤)، وأبو عمرو بن العلاء الذي "رجع إلى علمه الأول لم

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٣٧٧.
(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢٦٥.
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٣٩٦.
(٤) المرجع السابق، ج١٢، ص ٢٧٨.
(٥) ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص ٣٦٨.
(٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٣، ص٣١.
(٧) ابن أبي شيبة: مصنف ابن أبي شيبة، ج٩، ص١٦.
(٨) السيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص١٩٠.
(٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٨٢، ٢٨٤.
(١٠) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٩، ص١٧٦؛ والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص٢٧.
(١١) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص١١٠.
(١٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٥.
(١٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٨٢.
(١٤) ابن أبي شيبة: مصنف ابن أبي شيبة، ج٩، ص١٦.

يكن عنده إلا ما حفظه"[١]، ومحمد بن عبيد الله العرزمي الذي "دفن كتبه، فلما كان بعد ذلك حدّث"[٢]، وهشيم بن بشير الذي طلب منه صاحبه أبو إسحاق أن يرى بعض الأحاديث التي كتبها، فقال: "أرني الكتاب، فأخرجه، فخرقه"[٣]، واستمر في طلب الحديث وروايته، ولم يرد عنه أنه ترك التحديث، وعلي بن مسهر الذي قال عنه عبد الله ابن نمير "كان يجيئني علي بن مسهر فيسألني كيف حديث كذا...وكان قد دفن كتبه"[٤]، وعطاء بن مسلم الخفاف الذي "دفن كتبه، ثم جعل يحدّث فيخطئ"[٥]، ويوسف بن أسباط الذي "دفن كتبه، فحدّث بعدُ من حفظه"[٦]، وعبد العزيز بن عمران الذي "دفن كتبه، ثم إنه تتبع الأحاديث بعدُ من الناس فنسخها"[٧]، ومؤمل بن إسماعيل الذي "دفن كتبه، ثم حدّث بعدُ، فدخل الوهم في حديثه"[٨]، وسلم بن ميمون الخواص الذي "دفن كتبه وكان يحدّث من حفظه فيغلط"[٩]، وأحمد بن محمد الخلال الذي كان "يرمي بالحديث مدة، ثم يرجع فيكتب"[١٠]، وأبو طالب الكرخي الذي "كان إذا اجتمع عنده شيء من تجويداته يستدعي طستًا ويغسله"[١١]، والنووي الذي كان من عادته أنه "إذا أملى اللوح على تلاميذ غمسه في الماء، ثم كتب غيره"[١٢]، وآخرهم صدر الدين بن الوكيل الذي "كان إذا مرض غسل ما نظمه من الشعر"[١٣].

٣- لأنه أتلف كتبًا معينة، واستمرت حياته في مجالات علمية أخرى، وقد بلغ عددهم تسعة مؤلفين يمثلون ١٤٪ من مجتمع الدراسة، وهم: عروة بن الزبير الذي قال عنه ابنه: "أحرق أبي يوم الحرة كتب فقه كانت له"[١٤]، والشافعي الذي "غسل كتبه

(١) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٧، ص٢٣٧.
(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٦٨.
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٢٢٦.
(٤) ابن معين: تاريخ ابن معين، ج٤، ص٤٤.
(٥) ابن الجوزي: الضعفاء والمتروكين، ج٢، ص١٧٨٨.
(٦) العقيلي: الضعفاء الكبير، ج٩، ص٤٢٠.
(٧) ابن حجر: فتح الباري، ج١، ص٣٩٩.
(٨) ابن رجب: جامع العلوم، ج١، ص٥.
(٩) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج٤، ص٢٦٧.
(١٠) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص٣٩٠.
(١١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٢٨٦.
(١٢) الباتلي: علماء احترقت كتبهم، ص٤١.
(١٣) الصفدي: أعيان العصر، ج١، ص ٣٧٣.
(١٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٧٩.

القديمة، وأشهد على نفسه بالرجوع عنها"[1]، وزيد بن المبارك الذي "لزم عبد الرزاق، فأكثر عنه، ثم خرق كتبه، ولزم محمد بن ثور"[2]، وعبد الله بن سلم المقدسي الذي قال: "فحملت كتاب يونس بن يزيد الذي كتبته عن حرملة فحرقته بين يديه لأرضيه، وليتني لم أحرق، فلم يرد ولم يحدثني"[3]، أي أنه أحرق الأحاديث التي سمعها من شيخ معين فقط، وعلي بن عيسى الربعي الذي "أخذ شرح سيبويه وجعله في إجانة وصب عليه الماء وغسله"[4]، ومحمد بن المطلب الذي "قال شعرًا كثيرًا، إلا أنه كان كثير الهجوم، ثم مال عن ذلك، وأكثر الصوم والصلاة والصدقة وروى الحديث...، وغسل مسودات شعره"[5]، وشميم الحلي الذي قال: "عملت مقامات مرتين، فلم ترضني، فغسلتها"[6]، والسيوطي الذي قال عن نفسه وهو في سن الخمسين: "بلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاثمائة كتابًا، سوى ما غسلته ورجعت عنه"[7]، وأما مؤلفاته كلها فقد "فاقت عدتها على خمسمائة مؤلف"[8]، والشنقيطي الذي استمرت حياته العلمية ولم يتوقف بعد الإتلاف، إذ أن الكتاب الذي أتلفه كان قبل سنه البلوغ، "وبعد البلوغ دفنه"[9]، وألّف بعد ذلك كتبًا كثيرة.

٤ - لأن الإتلاف كان بغرض تدعيمه علميًا، وقد بلغ عددهم سبعة مؤلفين، يمثلون ١٠,٥٪ من مجتمع الدراسة، وهم مسروق بن الأجدع الذي كان يقول "إنما أريد أن أحفظها، ثم أحرقها"[10]، ومحمد بن سيرين الذي كان "يكتب الحديث، فإذا حفظه محاه"[11]، وابن شهاب الزهري الذي كان "يكتب الحديث في تلك القطعة، ثم يقرؤه، ثم يمحوه "[12]، وخالد الحذاء الذي قال عن نفسه "ما كتبت شيئاً قط، إلا حديثًا طويلاً، فلما حفظته محوته"[13]، وهشام بن حسان الذي قال: "ما كتبت للحسن وابن سيرين قط

---

(١) العيني: عمدة القاري، ج١٦، ص٤٩٠.
(٢) العقيلي: الضعفاء الكبير، ج٣، ص١١٠ .
(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٢٣، ص١٩٥ .
(٤) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص١٠٤ .
(٥) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٩، ص٢٤.
(٦) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص ٤٥.
(٧) السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص١١١.
(٨) السيوطي: العرف الوردي، ج١، ص٤٩.
(٩) الشنقيطي: أضواء البيان، ج٩، ص ٤٧٩.
(١٠) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٥٨، ٥٩.
(١١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٩٥.
(١٢) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ج١، ص٥٩.
(١٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص١٩٢.

إلا حديث الأعمال؛ لأنه طال علي فكتبته، فلما حفظته محوته"[١]، وعاصم بن ضمرة الذي "كان يسمع الحديث ويكتبه، فإذا حفظه دعا بمقراض فقرضه"[٢]، وعبد الرحمن ابن سلمة الجمحي الذي "كان يكتب الحديث، فإذا حفظه محاه"[٣].

القسم الثاني: توقفت حياتهم العلمية

إذ تركوا التعلم والتعليم، وأقبلوا على العبادة، واعتزلوا الناس، وبلغ عددهم أربعة عشر مؤلفًا، يمثلون ٢١٪ من مجتمع الدراسة، وهم: داود بن نصير الذي "عمد إلى كتبه فغرقها في الفرات، ثم أقبل على العبادة وتخلى"[٤]، وضيغم بن مالك الذي " دفن كتبه"[٥]، وتفرغ للعبادة، فكان ورده "كل يوم أربعمائة ركعة"[٦]، ومحمد بن يوسف بن معادن الذي دفن كتبه، "وأقبل على التوحد والتعبد وآثر الخمول "[٧]، والمطلب بن زياد الذي "دفن كتبه وقال: لا يصلح قلبي عليها"[٨]، والحسن بن رودبار الذي "دفن كتبه، وقال: لا يصلح قلبي على الحديث"[٩]، ومحمد بن المهذب الذي "نسك، وترك قول الشعر، وخرق ديوانه، ولازم منزله ومسجده"[١٠]، وأبو سليمان الداراني الذي "ألقى كتبه في تنور، وأضرم فيها النار، وقال أثناء ذلك: والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك"[١١]، وبشر بن الحارث الذي "أقبل على العبادة واعتزل الناس فلم يحدّث"[١٢]، وأحمد بن أبي الحواري الذي "رمى كتبه في البحر فغرقها، وقال لم أفعل هذا تهاونًا بك، ولا استخفافًا بحقك، ولكن كنت أكتب لأهتدي بك إلى ربي، فلما اهتديت بك إلى ربي استغنيت عنك"[١٣]، وموسى بن هرون الذي كان "إذا فرغ من الجزء رمى بأصله في دجلة، ويقول

---

(١) المزي: تهذيب الكمال، ج٣، ص١٨٦.

(٢) الرامهرمزي: المحدث الفاصل، ج١، ص٣٨٢.

(٣) ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح، ج١، ص٨١٠.

(٤) الغزي: الطبقات السنية، ج١، ص٢٧٨.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٤٢١.

(٦) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٣، ص٣٥٧.

(٧) ابن حيان: طبقات المحدثين بأصبهان، ج١، ص٢٩٧.

(٨) العجلي: معرفة الثقات، ج٢، ص٢٨٢.

(٩) المرجع السابق، ج٢، ص٣٧٤.

(١٠) ابن ماكولا: الإكمال، ج٧، ص٢٤٤.

(١١) ابن أبي شيبة: مصنف ابن أبي شيبة، ج٩، ص١٦.

(١٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج١، ص٨٩.

(١٣) برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، ج١، ص٩٠.

لقد أديته"[١]، وأبو بكر الشبلي الذي أتلف كتبه، وكان يقول: "نعم الدليل أنتم، ولكن اشتغالي بالدليل بعد الوصول إلى المدلول محال"[٢]، وأبو سعيد بن أبي الخير الذي "جمع كتبه كلها وأحرقها، ثم آوى إلى ركن في بيته، وجلس فيه،... وزاد عدة أساليب من الزهد والتقشف"[٣]، وأبو إسحاق الغزي الذي "ترك قول الشعر،... وكان يقول: إني لأرجو أن يعفو الله عني"[٤]، وعبد الله الإلهي الذي "غلبت عليه داعية الترك"[٥].

وهكذا تبين أن أغلب المؤلفين - بما يساوي ٧٩٪ - لم يتوقفوا عن حياتهم العلمية، ومن ثم لم تؤثر ظاهرة إتلاف بعض المؤلفين لكتبهم التأثير السلبي الكبير في النتاج الفكري للحضارة الإسلامية.

---

(١) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ج١، ص٢٨٨.

(٢) الإستانبولي: تفسير روح البيان، ج٢، ص٤٢١.

(٣) ديورانت: موسوعة قصة الحضارة، ج١٤، ص٨٠.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٠، ص١٥-١٦.

(٥) طاشكبري زادة: الشقائق النعمانية، ج١ ، ص١٥٢.

تاسعًا - نتائج الدراسة

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، أهمها ما يلي:

١ - نتائج عامة

لم يكن لظاهرة الإتلاف أثر بالغ في تدمير الإنتاج الفكري للعلماء المسلمين، أو في القدح في الحضارة الإسلامية؛ فلم يزد عدد حالات الإتلاف وفق هذه الدراسة عن ست وستين حالة، مقارنة بمئات الآلاف من علماء المسلمين الذين لم يتلفوا مؤلفاتهم، كما أن الكثير من الكتب التي أُتلفت وصلت إلينا عن طريق طلابهم الذين تلقوها من شيوخهم سماعًا، إضافة إلى أن ٧٩٪ من المؤلفين الذي أتلفوا مؤلفاتهم لم يتوقفوا عن حياتهم العلمية.

٢ - نتائج خاصة بالمؤشرات الزمنية للظاهرة

بدأت ظاهرة الإتلاف ضعيفة في القرن الأول الهجري، ثم وصلت إلى ذروتها في القرن الثاني، ثم تراجع مؤشر الإتلاف قليلاً في القرن الثالث، وتراجع أكثر في القرن الرابع والخامس، وأخذ في التراجع أكثر في القرن السادس، ثم أخذت الظاهرة في الضعف والتلاشي منذ القرن السابع، حتى اختفت تمامًا في القرون: الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر، والخامس عشر الهجري.

٣ - نتائج خاصة بمبررات الإتلاف

١ - انقسمت مبررات إتلاف المؤلفين لمؤلفاتهم إلى مبررات علمية، تمثلت في الرجوع عما فيها، والخوف من تحريفها بعد مماتهم. ومبررات شرعية، تمثلت في الرغبة في التفرغ للعبادة، وعدم الرغبة في اتخاذ كتاب مع كتاب الله تعالى، والتبرك بدفنها معه. ومبررات نفسية، تمثلت في خوف الاتكال على الكتاب وإهمال الحفظ، واتهام المؤلف نفسه بعدم الإخلاص لله تعالى، والإصابة بمرض الاكتئاب. ومبررات اجتماعية، تمثلت في الضن بها على المجتمع، وإرضاء شيخ آخر ليحدثه.

٢ - أكثر مبررات إتلاف المؤلفين لمؤلفاتهم كان "الرغبة في التفرغ للعبادة"، إذ كان مبررًا لـ ٢٧٪ من حالات الإتلاف محل الدراسة، تلاه "الرجوع عما فيها" لـ ٢٠٪، ثم "الخوف من تحريفها بعد موتهم" لـ ١٨٪، بينما كان "الخوف من الاتكال على الكتاب وإهمال الحفظ" مبررًا لـ ١٢٪، تلاه "الضن بها على غيرهم" لـ ٩٪، ثم "اتهام المؤلف نفسه بعدم الإخلاص في تأليفها" بنسبة ٦٪، وأما باقي المبررات وهي: عدم اتخاذ

كتاب مع كتاب الله، والاكتئاب الشديد، وكلام شيخه عن أحد الصحابة بأسلوب غير لائق، وليرضي شيخًا آخر، والتبرك بدفنها ـ فلم يكن أيٌ منها مبررًا لأكثر من ١,٥٪ من المؤلفين محل الدراسة.

٤ - نتائج خاصة بطرق الإتلاف

١ - لم يقتصر المؤلفون في إتلاف مؤلفاتهم على طريقة واحدة للإتلاف، بل تعددت هذه الطرق من تخصص علمي لآخر، ومن حقبة زمنية لأخرى، بل أحيانًا من مؤلف لمؤلف آخر في نفس التخصص وفي نفس الحقبة الزمنية، ووصلت طرق الإتلاف إلى سبع طرق، كان أكثرها استخدامًا الدفن؛ إذ استخدمه ٣٠٪ من مجتمع الدراسة، ثم الحرق؛ الذي استخدمه ٢٠٪، وتلاه الغسل؛ الذي استخدمه ١٨٪، ثم الإغراق ١٤٪، وتلاه المحو ١١٪، ثم التخريق ٦٪، بينما كان التقريض أقل طرق الإتلاف استخدامًا؛ إذ استخدمه ١,٥٪ فقط من مجتمع الدراسة.

٢ - اختلفت طرق الإتلاف عبر الزمن؛ فكان المحو أكثر الطرق استخدامًا في القرن الأول الهجري، والدفن أكثر الطرق استخدامًا في القرون: الثاني، والثالث، والرابع عشر، بينما كان الحرق والإغراق أكثرها استخدامًا في القرن الرابع، في حين كان الغسل أكثرها في القرون: الخامس، والسادس، والسابع، والعاشر.

٣ - انقسمت طرق الإتلاف وفقًا للوسيلة المستخدمة في الإتلاف إلى أربعة أقسام، هي: الإتلاف بالنار، والإتلاف بالدفن، والإتلاف بالماء، والإتلاف بالتمزيق، كما انقسمت وفقاً لدرجة الإتلاف التي تلحقها بالمؤلفات إلى أربعة أقسام، هي: طرق تكفل الحفاظ على ما كُتب وما كُتب عليه، وطرق لإتلاف ما كُتب مع الحفاظ على المادة المكتوب عليها، وطرق يمكن بعدها استرجاع ما كُتب بجهد بسيط، والاستفادة من المادة المكتوب عليها بخسارة قليلة، وأخيراً طرق لتدمير ما كُتب وما كُتب عليه.

٤ - ٨٦,٥٪ من المؤلفين محل الدراسة طريقة واحدة في الإتلاف، واستخدم ٧,٥٪ من المؤلفين طريقتين في الإتلاف، وأما الـ٦٪ الباقية فقد اختلفت الروايات في طريقتهم في الإتلاف.

٥ - لا علاقة بين مبرر الإتلاف وطريقة الإتلاف؛ فداخل المبرر الواحد تم استخدام أكثر من طريقة، والطريقة نفسها تم استخدامها في أكثر من مبرر.

٥ - نتائج خاصة بالتخصصات العلمية لمن أتلف كتبه

١ - انقسم المؤلفون الذين أتلفوا مؤلفاتهم وفق تخصصهم العلمي إلى: محدِّثين، ولغويين، وفقهاء، ومتصوفة، وفلاسفة، ومؤرخين، ومفسرين.

٢ - أكثر فئة علمية أتلفت كتبها هم المحدِّثون؛ إذ بلغت نسبتهم ٥٥٪ من مجتمع الدراسة، تلاهم اللغويون بنسبة ١٥٪، ثم الفقهاء بنسبة ١٣,٥٪، تلاهم المتصوفة بنسبة ١٠,٥٪، ثم الفلاسفة بنسبة ٣٪، بينما كانت أقل فئة علمية إتلافًا هم المؤرخون، والمفسرون؛ إذ بلغت نسبة كل منهما ١,٥٪ فقط من مجتمع الدراسة.

٦ - نتائج خاصة ببلدان المؤلفين الذين أتلفوا مؤلفاتهم

١ - أكثر جنسية أتلفت هم العراقيون؛ إذ بلغت نسبتهم ٥٣٪ من المؤلفين الذين أتلفوا مؤلفاتهم، تلاهم الشاميون بنسبة ١٥٪، ثم الفارسيون بنسبة ١٣,٥٪، تلاهم المصريون، والمدنيون بنسبة ٤٪ لكل منهما، ثم اليمنيون بنسبة ٣٪، بينما كانت أقل جنسية أتلفت هم الأتراك والموريتانيون؛ إذ بلغت نسبة كل منها ١,٥٪ من مجتمع الدراسة.

٧ - نتائج خاصة بقدر وشأن من أتلف كتبه

لم يكن للمؤلفين الذي أتلفوا مؤلفاتهم نفس القدر والشأن؛ فقد كان منهم العلماء، ومنهم العُبَّاد، ومنهم العلماء العُبَّاد، وهم الأكثر؛ إذ بلغت نسبتهم ٨٨٪، بينما كان القليل منهم مجروحين مقدوحًا في دينهم أو عقلهم؛ وبلغوا ١٢٪ من مجتمع الدراسة.

عاشرًا: دراسات مقترحة

بعد دراسة موضوع "إتلاف المؤلفين المسلمين لكتبهم" تبين أن هناك موضوعات يمكن تناولها بالبحث والدراسة، منها:

١- إتلاف المؤلفين لكتبهم بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى.

٢- إتلاف السلطة للكتب عبر مراحل الحضارة الإسلامية.

٣- مصادرة الكتب في الحضارة الإسلامية.

٤- تدمير المكتبات في الحضارة الإسلامية: دراسة للأسباب والنتائج.

قائمة المصادر والمراجع

١ - إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار؛ تحقيق: مجمع اللغة العربية، القاهرة: دار الدعوة، ٢٠٠٥ م.

٢ - أحمد بن عبد الله الباتلي، علماء احترقت كتبهم أو دفنت أو غرقت أو محيت: لطائف وأخبار، الرياض: دار طويق، ٢٠٠٢ .

٣ - الإستانبولي، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي، تفسير روح البيان. القاهرة: دار إحياء التراث العربي.

٤ - الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني، تاريخ أصبهان، تحقيق: سيد كسروى حسن، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م .

٥ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٠٥هـ.

٦ - ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، الجرح والتعديل. ط١ . حيدر آباد الدكن. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٢ .

٧ - ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، مصنف ابن أبي شيبة. تحقيق: محمد عوامة، جدة: دار القبلة، ٢٠٠٦م .

٨ - ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، الضعفاء والمتروكين. تحقيق: عبد الله القاضي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ.

٩ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. ط١ . بيروت: دار صادر، ١٣٥٨هـ.

١٠ - تلبيس إبليس. تحقيق: أيمن صالح. القاهرة: دار الحديث ٢٠٠٣.

١١ - صفة الصفوة. تحقيق محمود فاخوري، محمد رواس قلعه جي. ط٢ . بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٩ .

١٢ - صيد الخاطر. تحقيق السيد محمد السيد .سيد إبراهيم. القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٩.

١٣ - ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي النصر الشافعي، مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح. تحقيق: عائشة عبد الرحمن. القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٠ .

١٤ . ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، بغية الطلب في تاريخ

حلب. تحقيق: سهيل زكار. دمشق: دار البعث، ١٩٨٨, بغية الطلب في تاريخ حلب.

١٥ . ابن العطار، أبو الحسن علي بن إبراهيم بن داود، تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان أبو عبيدة. عمّان: الدار الأثرية، ٢٠٠٧ .

١٦ . ابن العماد، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط. دمشق: دار ابن كثير، ١٩٨٦ .

١٧ . ابن الملقن، سراج الدين حفص عمر بن على احمد المصري، طبقات الأولياء. تحقيق: نور الدين شريبة. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٤ .

١٨ . ابن بهادر، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله الزركشي الشافعي المصري، النكت على مقدمة ابن الصلاح. تحقيق: زين العابدين بن محمد بلا فريج. ط١ . الرياض: أضواء السلف، ١٩٩٨ .

١٩ . ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرري بردي الأتابكي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي. وضع التراجم: عجلان بن نعير بن منصور، فيروز شاه بن نصر شاه؛ تحقيق: محمد محمد أمين. القاهرة: دار الكتب المصرية. ١٩٩٩ .

٢٠ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٣ .

٢١ . ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي، الثقات. تحقيق: السيد شرف الدين أحمد. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٧٥ .

٢٢ . المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين. تحقيق: محمود إبراهيم زايد. دمشق: دار الوعي، ١٩٨١ .

٢٣ . ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد، الإيثار بمعرفة رواة الآثار. تحقيق سيد كسروي حسن. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.

٢٤ . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. تحقيق ومراقبة: محمد عبد المعيد ضان. حيدر آباد الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٢ .

٢٥ . تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس. تحقيق: عاصم بن

عبدالله القريوني. عَمّان: مكتبة المنار، ط ا، ١٩٨٤.

٢٦ . تقريب التهذيب. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٩٥ .

٢٧ . تهذيب التهذيب. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١. ١٩٨٤.

٢٨ . فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

٢٩ . لسان الميزان. تحقيق: دائرة المعارف النظامية بالهند. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٣، ١٩٨٦ .

٣٠ . ابن حيان، محمد عبيد الله بن محمد بن جعفر، طبقات المحدثين بأصبهان و الواردين عليها. دراسة وتحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشى. بيروت: مؤسسه رسالة، ١٩٩٢ .

٣١ . ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٩٩٤ .

٣٢ . ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم. تحقيق: ماهر ياسين الفحل. دمشق: دار ابن كثير، ٢٠٠٨ .

٣٣ . ابن سعد، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر، ١٩٩٤ .

٣٤ . ابن شاهين، أبو حفص عمر بن شاهين، تاريخ أسماء الثقات، تحقيق: صبحي السامرائي، الكويت: الدار السلفية، ١٩٨٤ .

٣٥ . ابن شبة، أبو زيد عمر النميري البصري، تاريخ المدينة المنورة. تحقيق: علي محمد دندل، ياسين سعد الدين بيان. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦ .

٣٦ . ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق: علي محمد معوض؛ تقديم: محمد عبد المنعم البري. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢ .

٣٧ . ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها. دراسة وتحقيق: علي شيري. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨ .

٣٨ . ابن عمار، أبو الفضل محمد بن أبي الحسين ابن عمار الشهيد، علل

الأحاديث في كتاب الصحيح لمسلم بن الحجاج. تحقيق: علي بن حسن الحلبي، الرياض: دار الهجرة، ط١، ١٩٩١ .

٣٩ . ابن فرحون ،إبراهيم بن نور الدين المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦ .

٤٠ . ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر، طبقات الشافعية. تحقيق: الحافظ عبد العليم خان. بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٧هـ.

٤١ . ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي، البداية والنهاية. حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري. القاهرة: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨ .

٤٢ . ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن أبي نصر، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى. ط١ ، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.

٤٣ . ابن معين، أبو زكريا يحيى بن معين، تاريخ ابن معين رواية الدارمي. تحقيق: أحمد محمد نور سيف. دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٠هـ.

٤٤ . ابن مفلح، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد. تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. الرياض: مكتبة الرشد،١٩٩٠ .

٤٥ . ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر. تحقيق: مأمون الصاغرجي، أحمد حمامي، روحية النحاس رياض عبد الحميد مراد؛ مراجعة: رياض عبد الحميد مراد،محمد مطيع الحافظ. دمشق: دار الفكر، ١٩٨٨.

٤٦ . الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب المالكي، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح. تحقيق: أبو لبابة حسين. الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٦م.

٤٧ . البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، التاريخ الصغير. تحقيق: محمود إبراهيم زايد؛ فهرس أحاديثه يوسف المرعشي. بيروت: دار المعرفة بيروت، ط١، ١٩٨٦ .

٤٨ . التاريخ الكبير. تحقيق: مصطفى عبد القادر أحمد عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١.

٤٩ . ـــ. الضعفاء الصغير. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٦ .

٥٠ . البغدادي، أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد. تحقيق: كمال يوسف الحوت. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.

٥١ . البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف. تحقيق: محمود الفردوس العظم. دمشق: دار اليقظة العربية، ١٩٩٨ .

٥٢ . الجرجاني، أبو أحمد عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد، الكامل في ضعفاء الرجال. تحقيق: يحيى مختار غزاوي. بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨ .

٥٣ . الحموي، أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب . بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩١ .

٥٤ . الخزرجي، صفي الدين أحمد بن عبد الله الأنصاري اليمني، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. بيروت: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤١٦هـ.

٥٥ . الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، المتفق والمفترق. دراسة وتحقيق: محمد صادق آيدن الحامدي. دمشق: دار القادري، ١٤١٧هـ.

٥٦ . تاريخ بغداد أو مدينة السلام. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧ .

٥٧ . تقييد العلم. تحقيق يوسف العش. القاهرة: دار إحياء السنة النبوية، ط١ ١٩٧٤ .

٥٨ . الذهبي، شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة. تحقيق وتعليق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب. جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية مؤسسة علوم القرآن، ط١، ١٩٩٢ .

٥٩ . تذكرة الحفاظ. دراسة وتحقيق: زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨ .

٦٠ . سير أعلام النبلاء أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، حسين الأسد. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٩٩٣ .

٦١ . ميزان الاعتدال في نقد الرجال. تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٥ .

٦٢ . ـــ. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧ .

٦٣ . الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي. تحقيق: محمد عجاج الخطيب. بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ.

٦٤ . الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين . بيروت: دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢ .

٦٥ . الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد. نصب الراية لأحاديث الهداية، مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي. قدم للكتاب: محمد يوسف البَنُوري. صححه ووضع الحاشية: عبد العزيز الديوبندي الفنجاني، إلى كتاب الحج، ثم أكملها: محمد يوسف الكاملفوري. تحقيق: محمد عوامة. بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩٧ .

٦٦ . الزيلعي، فخر الدين عثمان بن على الحنفي، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق. بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٣ .

٦٧ . السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو. القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٣هـ.

٦٨ . السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. القاهرة: مكتبة القدس، ١٩٣٤ .

٦٩ . السلمي، أبو عبد الرحمن، طبقات الصوفية. تحقيق: نور الدين شيبة. القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٨٦.

٧٠ . السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل، إسعاف المبطأ برجال الموطأ. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٦٩ .

٧١ . العَرْفُ الوَرْدِي في أخبار المَهْدِي. تحقيق: أبي يعلى البيضاوي. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦ .

٧٢ . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. صيدا: المكتبة العصرية، ط٢، ١٩٧٨ .

٧٣ . حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة. القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠٧.

٧٤ . الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجُكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ١٩٩٥ .

٧٥ . الشيرازي، أبو إسحاق الشيرازي الشافعي، طبقات الفقهاء. تحقيق: إحسان عباس . بيروت: دار الرائد العربي، ط ١، ١٩٨١ .
٧٦ . الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك، الوافي بالوفيات. تحقيق: مجموعة من العلماء. بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠ .
٧٧ . أعيان العصر وأعوان النصر. تحقيق: علي أبو زيد. بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٨ .
٧٨ . الصيرفيني، تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد. المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور. تحقيق: خالد حيدر. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع. ١٤١٤هـ.
٧٩ . الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠ .
٨٠ . العتمي، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل. خرج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني. الرياض: مطبعة المعارف، ١٩٦٦ .
٨١ . العجلي، أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن الكوفي، معرفة الثقات. تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي. المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٩٨٥ .
٨٢ . العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي، الضعفاء الكبير. حققه ووثقه: عبد المعطى أمين قلعجي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ .
٨٣ . العيني، بدر الدين أبو محمد بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٨٠ .
٨٤ . الغزي الحنفي، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي المصري، الطبقات السنية في تراجم الحنفية. تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو؛ إشراف: محمد توفيق عويضة. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٠ .
٨٥ . الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة. تحقيق: محمد المصري. الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط ١، ١٤٠٧هـ.
٨٦ . القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، جامع بيان العلم وفضله. دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي. بيروت: مؤسسة الريان، ٢٠٠٣ .

٨٧ . المروزي، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، التحبير في المعجم الكبير. تحقيق: منيرة ناجي سالم. بغداد: رئاسة ديوان الأوقاف، ط ١، ١٩٧٥ .

٨٨ . المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تهذيب الكمال. تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٠ .

٨٩ . المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ. القاهرة: المطبعة البهية المصرية، ١٩٢٧ .

٩٠ . المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، مختصر الكامل في الضعفاء. تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي. القاهرة: مكتبة السنة، ١٩٩٤ .

٩١ . النووي، أبو زكريا محيى الدين بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت. دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧ .

٩٢ . الهيثمي، الحافظ نور الدين على بن أبى بكر بن سليمان المصري، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١.

٩٣ . حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. تحقيق: محمد عبدالقادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨.

٩٤ . حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي. القاهرة: عالم الكتب، ط ٢، ١٩٧٨ .

٩٥ . ديورانت، ول دايريل، موسوعة قصة الحضارة. ترجمة: عبد الحميد يونس؛ مراجعة: سعيد اللحام. بيروت: دار نوبلس، ٢٠٠٨ .

٩٦ . شعبان عبد العزيز خليفة، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى: الشرق المسلم والشرق الأقصى . القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط ٣، ٢٠٠٣ .

٩٧ . طاشكبري زادة، أبو الخير عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٥ .

٩٨ . عبد الستار عبد الحق الحلوجي. لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٧ .

٩٩ . عدنان الشمري. لماذا أحرق أبو حيان التوحيدي كتبه. الفيصل. ع ٣٤٨ (يوليو/ أغسطس ٢٠٠٥)، ص٣٠ .

١٠٠ . عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩ .

١٠١ . فوزية محمد الجلال، الكتب وفكر الإبادة. أحوال المعرفة س ٨، ع ٣٠ (سبتمبر ٢٠٠٣)، ص٥٢ .

١٠٢ . محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٩٨٦ .

١٠٣ . ناصر الحزيمي. حرق الكتب في التراث العرب: مسرد تاريخي. . كلونيا (ألمانيا): منشورات دار الجمل، ٢٠٠٣ .

١٠٤ . وسام منير عبد الرحمن الزغبي، مصائر الكتب الإسلامية: دراسة في عوامل اختفاء الكتاب الإسلامي في الفترة من القرن الثالث الهجري وحتى القرن الثالث عشر الهجري. إشراف: شعبان عبد العزيز خليفة، محمود عباس حمودة. رسالة ماجستير في تخصص الآداب قسم المكتبات. _جامعة الأزهر. كلية الدراسات الإنسانية. قسم الوثائق والمكتبات. شعبة المكتبات. ٢٠٠٧ . رسالة مجازة غير منشورة.

١٠٥ . يحيى وهيب الجبوري، الكتاب في الحضارة الإسلامية. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨ .

كتاب "مسألة الإيمان" لأبي الحسن الأشعري
إمام أهل السنة والجماعة

قرأه وعلق عليه: خالد محمد عبده(*)

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن أبي بُردَةَ عامر ابن صاحب رسول الله ﷺ أبي موسى الأشعري.

ولد رحمه الله سنة ستين ومائتين (٢٦٠) بالبصرة، وقيل: بل وُلِد سنة سبعين ومائتين (٢٧٠)، وفي تاريخ وفاته اختلاف، منها أنه توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة (٣٣٣)، وقيل سنة أربع وعشرين (٣٢٤)، وقيل سنة ثلاثين (٣٣٠)، توفي رحمه الله ببغداد ودفن بين الكرخ وباب البصرة.

كان أبو الحسن الأشعري سُنِّيًا، ثم درس الاعتزال على أبي علي الجَبَّائي وتبعه في الاعتزال ثم تحول عنه، عبر رؤيا رآها في المنام، ذكرها ابن عساكر، حكاية على لسان الإمام الأشعري على النحو التالي:

«فرأيتُ النبيَّ ﷺ، فقال لي: ما صنعت فيما أمرتك به؟ فقلتُ: قد تركتُ الكلامَ ولزمتُ كتابَ اللهِ وسنتك، فقال لي: أنا ما أمَرْتُك بترك الكلام، إنما أمرتك بنصرة المذاهب المروية عنِّي، فإنها الحق، فقلتُ: يا رسول الله كيف أدع مذهبًا تصورتُ مسائله وعرفتُ أدِلَّته منذ ثلاثين سنة لرؤيا، فقال لي: لولا إني أعلم أن الله تعالى يمدُّك بمددٍ من عنده لما قمت عنك حتى أبين لك وجوهها، وكأنك تعد إتياني إليك هذا رؤيا أو رؤياي جبريل كانت رؤيا، إنك لاتراني في هذا المعنى بعدها، فجدّ فيه فإن الله سيمدك بمددٍ من عنده.

قال: فاستيقظت وقلتُ ما بعد الحقِّ إلا الضَّلال، وأخذتُ في نُصرةِ الأحاديثِ في الرؤيةِ والشفاعةِ والنَّظرِ وغير ذلك، كان يأتيني شيء والله ما سمعته من خصم قطّ ولا رأيته في كتابٍ، فعلمت، أن ذلك من مدد الله تعالى الذي بشرني به رسول الله ﷺ»[1].

(*) باحث مصري في الإسلاميات والتصوف.

(١) انظر: ابن عساكر الدمشقي «تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري»، ص ٤١. ط دمشق (١٣٤٧هـ).

من مؤلفاته:

١ - الإبانةُ عنْ أُصولِ الدِّيانةِ.

٢ - الحثُّ عَلى البحثِ.

٣ - رسالةٌ إلى أهْلِ الثَّغرِ.

٤ - اللمع في الرَّدِ على أهلِ الزيغِ والبدعِ.

٥ - مقالاتُ الإسلاميين واختلافُ المصلِّين.

٦ - مسألةُ الإيمان [وهو الكتاب الذي بين أيدينا].

* * *

مسألة الإيمان

يُعدُّ كتاب "مسألة الإيمان" من الكتب الثابتة نسبتها إلى الإمام الأشعري، حيث نصَّ على ذكره ونسبته للإمام ابنُ عساكر في «تبيين كذب المفتري» مستدركًا على ابن فورك ثبته الذي ذكره فيه مؤلفات الإمام، قائلا:

«قال الشيخ الإمام الحافظ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ آخر ما ذكره أبو بكر بن فورك من تصانيفه، وقد وقع إليَّ أشياء لم يزكرها في تسمية تواليفه، فمنها: رسالة الحث على البحث، ورسالة في الإيمان وهل يُطلق عليه اسم الخلق»[1].

وللرسالة نسخ خطية عديدة، منها:

* نسخة تشستربيتي ٥/٣٨٥٤ ورقات (٥٠ - ٥٢)، وهي نسخة الأصل التي اعتمدتها في نشر النص، بخلاف نشرة المستشرق (سبِيّتا)[2] في كتابه عن الإمام الأشعري ومذهبه، فقد اعتمد نسخة «درب الجماميز!» وتقع نشرته في الصفحات (١٣٨ - ١٤٠) من كتابه، والترجمة الألمانية للنص في الصفحات (١٠١ - ١٠٤).

---

(١) ابن عساكر: تبيين كذب المفترى، ص ١٣٦.

(٢): سبِّيتا (١٨١٨ - ١٨٨٣م) ولهلم سبيتا Willhelm Spitta: مستشرق الماني. أقامَ مدة بمصر. له كتاب في «قواعد العامية العربية في مصر»، وكتاب عن «أبي الحسن الأشعري ومذهبه» كلاهما بالألمانية، نُشر الثاني في (ليبسج) ١٨٧٦م، وكان سبيتا من أوائل من دعوا إلى الكتابة بالعامية، وبإبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني سنة ١٨٨٠م، وكان يعمل مديرًا لدار الكتب المصرية آنذاك، وأثبت في كتابه الأول جدولا مقارنًا بين الحروف العربية والحروف اللاتينية التي يقترحها.

ولنسخة تشستربيتي مصورة في مكتبة الجامعة الأردنية.

* وتنقل الدكتورة فوقية حسين في مقدمة تحقيقها للإبانة عن فؤاد سزكين أنه ذكر نسخة أخرى لهذه الرسالة بدار الكتب المصرية [١/١٨٣ علم كلام ١١٤٥ من ورقة ١٦ - ١٨ القرن السادس الهجري]. وظهر بالبحث أن الرسالة التي تحمل هذا الرقم ليست لأبي الحسن الأشعري، ولكن للحسن البصري.

ثم تضيف: «غير أنه توجد نسخ أخرى لهذه الرسالة بدار الكتب تحت رقم: ٢ مجاميع، ميكروفيلم ٤٩٥٣، و٢٦ مجاميع ميكروفيلم ٤٥٤٢، و٦٠٨ مجاميع ميكرفيلم ٤٩٩٠ من ورقة ٢٠٣ إلى ٢٠٤ بعنون فصل».

وقد تتبَّعتُ ما ذُكر أعلاه، فوجدت النسخة ٢٦ مجاميع ميكروفيلم ٤٥٤٢ تتضمن كتاب بداية السول فى تفضيل البتول، ويليه الإيمان للأشعري ص ١٦ - ١٧، وقد قابلت بينها وبين نسخة تشستربيتي.

أما النسخة ٦٠٨ مجاميع ميكروفيلم ٤٩٩٠ فبعد مراجعتها تبين التالي: أن الرقم المقصود ٦٠٧ مجاميع ٢٠٣ - ٢٠٤، وهى بعيدة تمامًا عن مسألة الإيمان، إذ هي عبارة عن فصل في الإيمان، ويبدأ بقوله: «الإ يمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالقلب عند أكثر أهل السنة والجماعة، وقال الشافعي: الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان والعمل بالأركان، وقالت الكرَّامية...».

أما النسخة التي تحمل رقم: ٢ مجاميع، ميكروفيلم ٤٩٥٣ ص ٨ - ٩، وتتضمن مجموع [كتب تصوف للسادات الوفائية نفعنا الله بهم وبعلومهم] فهي بالفعل نسخة أخرى من مسألة الإيمان حديثة النسخ. ولعل الناسخ نقلها عن النسخة ٢٦ مجاميع ميكروفيلم ٤٥٤٢ لاتفاقهما في المحتوى بداية من سند النص المختلف عن نسخة تشستربيتي، ونهاية بخاتمة النصّ.

مَسْأَلَةُ الإِيمَانِ

تأْلِيفُ أَبِي الْحَسَنِ الأَشْعَرِي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ[(١)]

أَخْبَرَنَا الشيخُ الإمامُ المؤرِّخُ قطبُ الدِّينِ أبو الخيرِ مُوسى ابن الإمام الربَّاني القُدوةِ تقيِّ الدينِ أبي عبد الله مُحمدِ الفقيهِ البويني، قراءةً عليهِ ونَحنُ نَسْمَعُ، قَالَ: أنبأني الشيخُ أبو محمدٍ عبدُ الوهابِ بن رواج قال: أَخْبَرَنا شيخُ الإسلامِ فَخرُ الحُفَّاظِ أبو طاهرٍ أمدُ السِّلفيُّ، قالَ قرأتُ على أبي الفضلِ جعفرِ بن إسماعيلَ الأنصاريِّ، عَنْ أبي مُحَمَّدٍ عَبدِ اللهِ بن الوليدِ بن سعدِ الأنصاريِّ، حدثنا أبو الحسنِ المصريُّ عليُّ ابن الحسن بن فهر، قال: سَمِعْتُ أبا بَكر إسماعيل بن أبي مُحمدٍ الأزديَّ بمكَّةَ، أخْبَرني أبو الحسن أحمدُ ابن مقسم ببغْدادَ[(٢)]، قال: أملى عليَّ أَبُو الْحَسنِ عليُّ بن إسماعيلَ الأَشْعَرِيُّ هَذِهِ المَسْأَلَةَ بِبَغْدادَ، قَالَ:

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق، صلى الله عليهم أجمعين.

سألتَ وفقنا الله وإياك عن اختلاف أصحابنا من أهل السنة والمثبتين للصفات في الإيمان، هل هو مخلوق أو[(٣)] غير مخلوق، وذكر ما احتجت به كلّ طائفة منهم، وإيضاح الحق عندي في ذلك.

فممن ذهب إلى أنه مخلوق: حارثٍ المحاسبيُّ وجعفر بن حرب وعبدالله بن كلاب وعبدالعزيز المكّيّ، وغيرهم من أهل النظر، وكان من حجّتهم: أنهم اعتبروا الأشياء فوجدوها كلّها مخلوقة سوى الله تعالى بصفاته، فلما خرج الإيمان عن أن يكون صفة لله تعالى، وكان من فعل العبد ووصفه عُلِم أنه مخلوق.

---

(١) ترد مقدمة الرسالة في ب على النحو التالي: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله» مسألة في الإيمان من كلام الشيخ أبي الحسن الأشعري».

(٢) يرد السند في النسخة ب على النحو التالي: «أخبرنا أبو محمد عبدالوهاب بن أبي المنصور الأمين بثغر الإسكندرية، حدثنا أبو طاهر أحمد بن محمد، قال: قرأتُ على الشيخ أبي الفضل جعفر بن إسماعيلَ بن خلف الأنصاري، عَنْ أبي مُحَمَّد عبدالله بن الوليد بن سعد الأنصاري، حدثنا أبو الحسن عليُّ بن الحسن ابن فهر المصري، قال: سَمِعْتُ أبا بكر إسماعيل بن أبي مُحمد الأزديَّ بمكَّةَ، أخْبَرني أبو الحسن أحمدُ ابن محمد بن مقسم ببغداد، قال: أملى عليَّ أبو الحن عليُّ بن إسماعيل الأشعريُّ هَذِهِ المسألة».

(٣) في الأصل : «أم»، وما اثبت من ب.

وذُكر عن أحمد بن حنبل وجماعة من أصحاب[١] الحديث أنهم قالوا: إن الإيمان غير مخلوق، وهذا أشبه بالاتباع الذي أمر رسول الله ﷺ، فقال: اتبعوا ولا تبتدعوا، فكلُّ بدعةٍ ضلالة.

ولهذا القول من النظر وجهٌ يؤيده ويدلُّ على صحته، وهو أن صفة المخلوق ما كان بعد أن لم يكن، ووُجد بعد أن لم يكن موجودًا، فاحتجنا أن نعرض هذا المعنى على الإيمان ونعتبره، هل يصلح أن يُضاف إلي ويُوصف به، أو هو مضادٌّ له ومنتفٍ عنه؟ فوجدناه غير صحيح العبرة، ولا مستقيم في الحجة؛ لأنا لو قلنا: إنه مخلوق كنّا قد أثبتنا أنه غير موجودٍ قبل خلقته، فكأن الحال التي سبقت وتقدمته لم يكن فيها إيمانٌ ولا توحيدٌ وفي[٢] هذا القول من الفساد ما لا خفاء فيها[٣]، ولكنّا نقول: إنه لم يخل حالٌ من الأحوالِ من إيمان بالله تعالى وتوحيدٌ له قبل خلق الخلق وبعده.

فإن قيل: فالإيمانُ لايكون إلا من مؤمن، وفي قولك [ما يُؤدي إلي][٤] إثباتُ الإيمان قبل أن يُوجد مؤمنٌ.

فالجوابُ: أن الإيمان في هذا المعنى الذي وصفنا بمنزلة التوحيد الذي لا يكون إلا من مُوحِّد، ولم يزل الله موحّدًا لنفسه، واصفًا لها، مُعظّمًا مُصدِّقًا لها[٥]، وليس الإيمانُ فيما يعْقلُه أهل اللغة أكثر من التصديق، أفيحيلُ أحدٌ من ذوي العقول أن يكون الله تعالى مُصدِّقًا لنفسه موحّدًا لها مع ما ورد في الكتابُ به، ومن[٦] ذلك: قال الله تعالى: ﴿إني أنا الله لا إلا إلا أنا﴾ [ووصف نفسَه بالصِّدق، ومَنْ وصفَ نفسَه بالصّدقِ فقد صدَّقها، كما أنَّ مَنْ][٧] وصف نفسه بالوحدانية فقد وحَّدَها، ومن وصف نفسه بالعظمة فقد عظّمها، وهذا ما لا يُحيله أحدٌ من أهل اللغة وذوي العقول، وإنما خاطب الله تعالى أولي الألباب والعقول باللسان العربي، على ما يُعقل من معانيه، وتصرُّف وجوهه.

وفيما وصفنا دلالةٌ على أن الإيمان إذا أُطلق ولم يُضفْ إلى مخلوقٍ كان داخلاً في جملة صفات الله تعالى، ومُشابهًا لها، مع أن نصَّ الكتاب قد ورد بذلك، قال الله تعالى: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار﴾.. إلى آخر الآية.

---

(١) في ب: «أهل».

(٢) في ب: «ففي».

(٣) في ب: «به».

(٤) زيادة من ب.

(٥) في ب: «مُعظَمًا لها مُصدِّقًا».

(٦) في ب: «منه».

(٧) زيادة من ب.

فسمى نفسه مُؤمنًا في جملة أسمائه التي سمّى بها نفسه، وليس أحد أن يصرف هذا الاسم عن ظاهره، ولايعدل به عن وجه يحتمله إلى وجه غيره، بل هو المؤمن على جميع الأحوال عزّ وجل أن يُشبّه بالمخلوقين أو يُوصف بصفات المحدثين، وإنما دخلت الشبهة على من قال بخلاف هذا عند قياسه الفاسِدِ، وذلك أنه نظر إلى المخلوقين، فاعتبر بأحوالهم[١] وصفاتهم فوجدها مخلوقة، ووجد الإيمان من صفاتهم فقضى عليه أنه مخلوق.

أفتراه لم يعلم أن العلم والكلام من صفات المخلوقين وهما من الله عزّ وجل غير مخلوقين ولامحدثين، ومن زعم أن كلام الله عز وجل أو علمه مخلوق أو محدث، فقد كفر بالله العظيم.

فإن قال قائل: متى قلت: الإيمان غير مخلوق ولا محدث، فقد زعمت أنه قديم، ولا يجوز أن يكون مع الله تعالى شيء قديم إذ كان ولاشيء معه، ثم خلق الأشياء.

فالجواب: أن هذا القول يطرق لأهل الزيغ أن يقولوا في كلام الله تعالى وفي علمه، وصفاته كلها إنها محدثة مخلوقة، وما يُحتاجُّ به على من قال ذلك وادعاه في القرآن والعلم والصفات، فمثله يحتجّ على من ألزم هذا الإلزام[٢].

فإن قيل: وما الذي منعك أن تجعل التوحيد محدثًا؟

قيل: لأن الله تعالى وحّد نفسه في كتابه، فقال: ﴿إنا الله لا إله إلا أنا﴾ فلو جاز أن يكون التوحيد محدثًا جاز أن يكون هذا القول الذي وحد به نفسه محدثًا ، وهذا يؤدي إلى القول بأن القرآن محدث، وذلك كفرٌ.

وإذا لم يجز أن يكون هذا القول محدثًا وكان الله تعالى قد وحّد به نفسه ثبت أن التوحيد غير مُحدث ولا مخلوق.

والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

تمّت مسألة الإيمان

حسبنا الله ونعم الوكيل[٣].

---

(١) في ب: «أحوالهم».

(٢) في ب: «التزم هذا الالتزام».

(٣) في ب: ترد خاتمة الرسالة على النحو التالي: «تمت المسألة والحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم».

كتاب الأغاني بين تحقيقين: دار الكتب، ودار صادر
(دراسة نظرية، وبحث تطبيقي)

د. أشرف محمد فريد غنام(*)

أولاً - الدراسة النظرية

- أبو الفرج الأصفهاني بين مؤلفي جيله

هو أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم القرشي ، من ولد هشام بن عبد الملك بن مروان . ينتهي نسبه إلى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية . أصفهاني أو أصبهاني الأصل بغدادي المنشأ ، كان من أعيان أدباء بغداد وأفراد مصنفيها .

وُلِد بأصفهان ببلاد فارس سنة ٢٨٤هـ ، وهي السنة التي توفي فيها الشاعر البحتري، في خلافة المعتضد بالله .

انتقل في صباه إلى الكوفة ، وتعلم على يد محمد بن الحسين الكندي والمقافعي والبلخي ، وكانت الكوفة آنذاك (نهاية القرن الثالث الهجري) بيئة المجان والمغنين والشعراء ؛ مما كان له أعظم الأثر في اتجاه أبي الفرج إلى الاهتمام بالمجانة، ومجالس اللهو الغناء وما يتعلق به .

وبالكوفة استقر الغناء قبل أن يستقر ببغداد ، وبالكوفة كان إسحاق الموصلي الذي يعد من أهم الشخصيات التي أثرت في تكوين أبي الفرج .

ثم انتقل بعد ذلك حوالي سنة ٣٠٠هـ إلى بغداد ، عاصمة الخلافة ، والتي كانت تعج في هذه الفترة (بداية القرن الرابع الهجري) بخليط من الثقافات والحضارات ، كما كانت تمتلئ بقصور الأمراء والوزراء والأثرياء الذين يعيشون حياة يختلط فيها العبث والمجون بمجالس الثقافة والأدب . عكف في بغداد على دراسة الأدب واللغة والتاريخ والأنساب ، وكان له فضلا عن ذلك إلمامٌ بالطب والفلك ، وكان بارعًا في حفظ الأغاني والأخبار والأحاديث المسندة والنسب .

سمع الأصفهاني من أبي بكر بن الأنباري ، وأبي بكر بن دريد ، وجحظة ونفطويه ، وحدَّث عنه الدارقطني ، وإبراهيم بن أحمد الطبري ، وأبو الفتح بن أبي الفوارس .. وآخرون

(*) باحث بمركز تحقيق التراث.

كان أبو الفرج إذن نموذجًا للمثقف الموسوعي كما وصفه معظم من ترجم له. كما كان نموذجًا للشخصية المزدوجة المركبة ، فقد اجتمعت فيه صفات ندر أن تجتمع في شخص واحد ، فإلى جانب عقليته الفذة وذاكرته الحادة ، وقدرته على الاستيعاب والبحث والتمحيص وإفراز هذه الثقافات المختلفة في كتب علمية قل أن يجود الزمان بمن يأتي بمثلها ، إلا أننا نجد له من الصفات البشرية الغريزية ما يتنافى مع كل هذه السمات العلمية الراقية ، فقد كان كما هو ثابت في كتب التراجم والتاريخ. وسخًا قذرًا لم يغسل له ثوب منذ صنعه إلى أن بلي ، كان وسخًا في نفسه ثم في ثوبه وفعله .

وكان الناس على ذلك يحذرون لسانه ويتقون هجاءه ، ويصبرون في مجالسته ومعاشرته ومؤاكلته ومشاربته على كل صعب من أمره. كما حُكِي عنه أنه كان أكولا نهمًا ، مدمنًا للخمر ، مواظبًا على مجالس اللهو والفجور ، متهالكًا على النساء والغلمان ، ليس له زوجة تشبعه ولا ولد يردعه .

ونحن إذ نثبت هذه الصفات لا نهدف إلى ذم الرجل ، وإنما إلى بيان طرافة كتاب " الأغاني " وصدق ما جاء به من أخبار ؛ لأن مثل هذا الكتاب بما احتواه من قصص فاضحة وأخبار تجانب الحياء لا يمكن أن يؤلفه شخص ذو حياء أو ورع أو زهد ، وهذه الأخبار النادرة و الحكايات الطريفة التي تصدر في معظمها عن أصحابها عفوية دون تحفظ أو احتياط في مجالس لهو ، لا يمكن أن يحصلها مؤلف عادي إلا أن يكون ذا سمات شخصية مثل سمات الأصفهاني . فقد نقل إلينا بعض الحكايات والطرائف عن أمراء وشعراء وولاة لا يمكن أن ينقلها بهذه الدقة إلا من حضرها بنفسه وشارك فيها .

وهذه الثقافة الجامعة العريضة، بالإضافة إلى ظرف المجلس وحضور النكتة والبديهة مهدت له الطريق لينال الحظوة عند كبار رجال عصره وعلى رأسهم معز الدولة بن بويه، كما كان أبو الفرج من أخص ندماء الوزير المهلبي الحسن بن محمد بن هارون ، وكانت صحبته له قبل الوزارة وبعدها إلى أن فرّق بينهما الموت .

واختُلِف حول سنة وفاته، وتضاربت الأقوال، لكن أصح الأقوال أنه توفي سنة ٣٥٦هـ، وهي السنة التي توفي فيها سيف الدولة الحمداني بحلب وكافور الإخشيدي بمصر(١).

(١) ترجمته في : الفهرست ١: ٢٥٤؛ يتيمة الدهر ٣: ١٢٧؛ معجم الأدباء ١٧٠٧؛ إنباه الرواة ٢: ٢٥١؛ وفيات الأعيان ٣: ٣٠٧؛ سير أعلام النبلاء ١٦: ٢٠١؛ الوافي بالوفيات ٢١: ٢٠؛ لسان الميزان ٤: ٢٢١؛ مرآة الجنان ٢: ٢٧٠؛ النجوم الزاهرة ٤: ١٦؛ تاريخ بغداد ١١: ٣٩٨ .

من مصنفات الأصفهاني

من كتبه ـ غير كتاب " الأغاني " : كتاب " مجرد الأغاني " ، وكتاب " أشعار الإماء"، و" كتاب الخمَّارين " ، وكتاب " نسب بني عبد شمس " ، وكتاب " القيان " ، وكتاب " مقاتِل الطالبيين " ، وكتاب " تفضيل ذي الحجة " ، وكتاب " الأخبار والنوادر " ، وكتاب " أدب السماع " ، وكتاب " أدب الطفيليين " ، وكتاب " أدب الغرباء من أهل الفضل والأدب " ، وكتاب " مجموع الآثار والأخبار " ، وكتاب " الفَرق والمعيار " .

كتاب الأغاني

اشتهر بأنه أشهر دواوين الأدب العربي وأضخمها وأجلها وأقدمها ، ضُرِبَت في جودة تأليفه الأمثال . وهو عن الشعر العربي الذي غناه المغنون منذ بدء الغناء العربي وحتى عصره . كُلِّف أبو الفرج أن يؤلفه لعدم فائدة كتاب إسحاق الذي وضعه في الغناء قبله ، والشك في نسبته إليه .

بنى أبو الفرج مادة كتابه على مئة صوت ـ أي لحن ـ كان هارون الرشيد قد طلب من مغنيه إبراهيم الموصلي اختيارها له من الغناء ، وأضاف إليها بعض الأصوات التي غُنِّيَت للواثق بالله ، ثم أغانٍ اختارها هو بنفسه . وأتبع ذلك بأغاني الخلفاء وأولادهم ، ثم بسائر الغناء الذي ارتبط بقصة مشوقة أو حديث طريف .

يذكر أبو الفرج الصوت والشعر المرتبط به ، ثم يبدأ في الاستطراد المُمَنْهَج : بذكر أشعار أخرى تغنى بها وقيلت في المعنى نفسه ، ثم بيان مناسبة الأشعار سواءً كانت اجتماعية أو سياسية ، وقد يقوده ذلك إلى ذكر الأنساب وأخبار القبائل وما يشاكل ذلك من قصص ومُلَح ونوادر ، وما أكثرها لديه. يمر بالقارئ على البادية فيُطلِعه على أخبارها ومأكل أهلها ومعيشتهم ، ثم يعرِّج به على الحضر فيُطلِعه على عاداتهم ومناسباتهم ، وعلى شيء من أفراحهم وأحزانهم . والرابط المشترك بين كل هذه القصص والحكايات هو جانب الطرافة والترفيه والتسرية .

وهو بهذا الاستطراد المُمَنْهَج يدفع عن القارئ الملل الذي قد يتسرب إليه لو كان الكتاب في موضوع واحد ، أو جاء عرضًا لطبقات المغنين أو الشعراء فقط .

فأبو الفرج لم يقتصر إذن على الترجمة للشعراء والمغنين كما يوحى بذلك عنوان الكتاب ، وإنما جعل كتابه موسوعة عظيمة تضم تراجم مئات من الأعلام والمغنين والماجنين والقيان ، وأخبار قبائل العرب وأيامهم وخلفائهم وأمرائهم . فالكتاب كما هو واضح وكما قيل عنه : كنز موروث لا يرقى إليه كنز آخر .

استغرق تأليف هذا الكتاب خمسين عامًا ، وأهداه أبو الفرج الأصفهاني لسيف الدولة الحمداني فأعجب به أيَّما إعجاب وأنعم عليه بألف دينار ، وعندما علم الصاحب ابن عباد استقلها ، وقال : لقد قصَّر سيف الدولة ، وإنه يستأهل أضعافها .

مآخذ الكتاب

- أهم ما يؤخذ على أبي الفرج في كتابه الأغاني التركيز على جوانب الخلاعة والمجون في كثير مما يعرض له من أخبار ، وإهمال الجوانب المعتدلة ، مما جعل قارئ الكتاب يظن أن بغداد كانت مدينة تنام وتصحو على الفسق والفجور ، وأن العصر العباسي كله كان عصر خلاعة ومجون ، رغم أن بغداد كانت زاخرة بالزهاد والمتصوفين ، وكان العصر العباسي من أزهى العصور العربية في العلم والفن والحضارة والتدين.

وتركيز المؤلف على عنصر التسرية والمسامرة في كتابه جعله يثبت كل ما هو مسل وطريف، وإن جافى الذوق أو جانب الحقيقة أو خالف التاريخ ، وقد يستبعد بعض الأخبار الحقيقية؛ لأنها تخلو من عنصر الإثارة والتشويق والإمتاع .

وهناك العديد من المآخذ التي تتعلق بالطعن في العقيدة ، والتساهل في رواية الأخبار والطعن في سلوك أهل البيت : الحسن والحسين والسيدة سكينة وغيرهم ، وغيرها مما لا يتسع المجال هنا لذكره ؛ لأننا بصدد دراسة التحقيق لا الكتاب نفسه .

قيمة الكتاب

رغم كل هذه المآخذ التي وُجِّهَت إلى الكتاب ، وتلك المثالب التي ارتبطت به، إلا أن ذلك لا يقلل بالمرة من قيمته ومكانته بين كتب التراث العربي ، وتتمثل هذه القيمة فيما يأتي :

- يُعتَبَر كتاب أبي الفرج أول كتاب عُني بالتأريخ العلمي الدقيق لفن الغناء وحياة المغنين ؛ مما جعله باكورة التأليف في هذا المجال .

- والكتاب بما زخر به من أخبار عن الحياة العربية في عصورها الثلاثة : الجاهلي، وصدر الإسلام ، والأموي ، وبما تعرض له من ألوان الحياة من مأكل ومشرب وأسلوب معيشة يُعَدُّ أول كتاب في تاريخ الحضارة في المكتبة العربية .

- والكتاب بما اشتمل عليه من قصص وحكايات يجعل أبا الفرج أول من وضع نواة حقيقية لفن القصة العربية الذي تدعيه أوربا لها ، وتؤصل لنشأته مع بداية اتصال العرب بالغرب .

- الكتاب كذلك يُعتَبَر مصدرًا للنقد الأدبي والتقييم الفني ، فأبو الفرج لم يكن يكتفي بمجرد نقل الأخبار على عِلاتها ، بل يقوم بنقد الروايات ، ويعلِّل هذا النقد ، وقد يحذف من الروايات ما يتعارض مع الواقع أو يجافي الذوق الفني ..

- ومما يدل على قيمة الكتاب ما حُكِيَ عن الصاحب بن عباد من أنه كان يستصحب في أسفاره وتنقلاته حمل ثلاثين جملا من كتب الأدب ليطالعها ، فلما وصل إليه كتاب الأغاني لم يكن يستصحب سواه ، مستغنيًا به عنها جميعًا . وكذلك لم يكن الكتاب يفارق سيف الدولة في سفر ولا حضر .

طبعات الكتاب

طبع كتاب الأغاني عدة مرات بمصر ولبنان ، وطبعاته كالتالي :

أ - طبعة بولاق بمصر : طبعت سنة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م في ٢٠ مجلدًا ، واستدرك عليها المستشرق برنو جزءًا آخر طبع في ليدن سنة ١٨٨٨م ، ثم جاء المستشرق جويدي ووضع لهذه الأجزاء الواحد والعشرين فهارس تفصيلية في جزأين في ليدن سنة ١٩٠٠ فصارت أجزاء الطبعة ٢٣ جزءًا. بها الكثير من التحريف والأخطاء المطبعية والمنهجية.

ب - طبعة محمد الساسي الكتبي بمصر : طبعت سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٨م في ٢٣ جزءًا. اعتمد فيها الناشر على طبعة بولاق بعد ترجمة جزأي الفهارس وتعديل أرقامهما.

ج - طبعة دار الكتب المصرية .

د - طبعة دار الفكر ومكتبة الحياة في بيروت : نشرت سنة ١٩٥٦- ١٩٥٧م في ٢١ جزءًا، جمعت في ١١ مجلدًا ، وهي غير محققة ولا فهارس عامة لها .

هـ - طبعة دار الكتب العلمية في بيروت : نشرت سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م في ٢٤ جزءًا وألحق بها جزء ، هو كتاب " أخبار أبي نواس " لابن منظور ، وهي خالية من الفهارس، وينقصها الدقة في التحقيق .

و - طبعة دار صادر ببيروت .

ثانيًا ـ البحث التطبيقي

دوافع التحقيق

ذكر محققو دار الكتب في التصدير أن الذي دفعهم إلى إصدار تحقيق جديد للكتاب سببان :

أولهما ـ أن طبعة بولاق ١٢٨٥هـ وطبعة مطبعة التقدم سنة ١٣٢٣هـ (طبعة الساسي) مملوءتان بالتحريف ، وتخلوان من كل نظام وترتيب .

وثانيهما ـ رغبة السري النبيل السيد علي راتب المهتم بإحياء التراث ، رغبته في النهوض باللغة العربية ، وتيسير شأنها على مستخدميها بإصدار عمل جليل مضبوط بالشكل إن أمكن ليعتاد القارئ على النطق السليم ، وأرسل بهذه الرغبة إلى مدير دار الكتب ، ورشح له كتاب " الأغاني " لأحاديثه الشيقة وأسلوبه السهل الممتنع ، فالمتأدب يقرؤه للدرس والمتعلل يقرؤه فيلتذ وتصحٌ لغته . على أن يتكفَّل هو ـ علي راتب ـ بنفقة الطباعة .

فاجتمع المجلس وشكر للمتبرع حسن صنعه ، ووعده بإخراج كتاب منقطع النظير في تاريخ الأدب العربي ، وبأن يباشر القسم الأدبي بدار الكتب مراجعته وتصحيحه ، فيضبط غريبه وجميع أعلامه ، وما ورد فيه من شعر، ويصوب ما وقع فيه من التحريف في نسختيه السابقتين.

بينما ذكر محققوا دار صادر أنهم أقدموا على إعادة تحقيقه لسببين :

أولهما ـ للبرهان على حسن التعاون ، والشهادة على طبيعة الأُخُوَّة بين المحققين .

وثانيهما ـ تحية تقدير وإجلال منهم لدار صادر التي ستصدره لحبها للتراث وخدمته ، ولتحقيق أمنية قديمة لصاحبها ولأولاده من بعده .

مخطوطات الكتاب

اعتمد محققو دار الكتب على تسع نسخ ذُكِرَت أوصافها وأسماؤها في التصدير، وهي : نسخة ب (بولاق) ، ونسخة س (ساسي المغربي)، ونسخة ر (النسخة الأوربية)، ونسخة ت (التيمورية) ، ونسخة أ ، ونسخة ج ، نسخة م ، نسخة د ، نسخة ط. وبتوالي الأجزاء قد تنتهي نسخة فيُستبدَل بها أخرى، ويُشار إلى ذلك في حينه .

بينما اعتمد محققو دار صادر على نسختين اثنتين : مخطوطة برلين ، ومخطوطة مكتبة الدولة التي ينقصها بعض التراجم ؛ لأنهم ـ بحسب قولهم ـ لم يريدوا أن يصدروا

طبعة مليئة باختلاف القراءات في النسخ . واعتمدوا كذلك اعتمادًا كاملا على نسختي: بولاق ، ودار الكتب .

إخراج الكتاب

حقق طبعة دار الكتب فريق من الأدباء ، واستغرق إخراجها قرابة نصف قرن (١٩٢٣ـ ١٩٧٤م) ، وتقع في ٢٤ جزءًا، طبعت منها دار الكتب ١٦ جزءًا (١٩٢٣ـ ١٩٦١م) ، ثم أكملتها الهيئة العامة للكتاب (١٩٧٠ـ ١٩٧٤) بإخراج الأجزاء الثمانية الباقية ، وفي آخر كل جزء فهارسه العامة . والنص مشكول ومضبوط وفي غاية الدقة والإتقان .

بينما خرجت الطبعة الأولى من نسخة دار صادر سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م بتحقيق : د. إحسان عباس ، د. إبراهيم السعافين ، والأستاذ بكر عباس في ٢٥ جزءًا ، واستقل كل جزء بأرقام صفحاته . وضع المحققون نصب أعينهم نسخة دار الكتب فالتزموا بها في تقسيم الأجزاء وفي ترتيب الأصوات وفي ضبط النصوص والأعلام بل في كتابة الهوامش. وجعل المحققون الجزء الخامس والعشرين فهارس عامة.

بعد هذا العرض التفصيلي لهذه النقاط في الطبعتين نخلص إلى أن الطبعتين اتفقتا إلى حد بعيد فيما يأتي :

ـ تتفق النسختان في مقدمة التحقيق مع اختلاف اسمها فيهما : مقدمة في نسخة دار صادر ، وتصدير في نسخة دار الكتب . سرد المحققون فيها ترجمة شاملة لمؤلف الكتاب ، والعوامل التي أثرت في أدبه ، وظروف تأليف الكتاب ومؤلفات أبي الفرج ، ثم دراسة وافية لكتاب الأغاني ، ومنهج أبي الفرج في تأليفه ، وفن الغناء وما أُلِّف فيه غير كتاب أبي الفرج ... إلى آخره من مباحث مهمة .

أما نقاط الاختلاف بين التحقيقين فكثيرة ، ومتنوعة ، يمكن إيجازها فيما يأتي:

١- نسخة دار الكتب خرجت في أجزاء مستقلة كل جزء في مجلد مستقل ، وفي نهايته جاءت فهارسه التفصيلية ، لأنها طبعت على مراحل متتالية حتى انتهى الكتاب ، فأصبح كل جزء مستقلا بذاته قائمًا بنفسه ، ويُتداوَل ويُباع حتى الآن كل جزء مستقلا عن باقي الأجزاء .

ونسخة دار صادر قد خرجت كذلك في خمسة وعشرين جزءًا ، وكل جزء بأرقام مستقلة ، وجاءت الفهارس في جزء أخير مستقل .

٢- قدمت نسخة دار الكتب في التصدير فصلين في غاية الأهمية :

أولهما - عن صناعة الغناء ، نقله الباحثون عن ابن خلدون في مقدمته (تحقيق : أبو صهيب الكرمي) ، الفصل الثاني والثلاثون ص ٢١٥ ، مع حذف ما اعتبره المحققون استطرادًا ليس له علاقة بالغناء ، ووضعوا مكانه نقطًا .

وثانيهما - فصل بعنوان : " الكلمات الاصطلاحية الواردة في كتاب الأغاني " يفسر بعض الألفاظ الاصطلاحية في الغناء والألحان ، وهو مقال نقله المحققون من مجلة المقتبس المجلد الثاني ص ٣٨٥ بعنوان : " مصطلحات آلات الطرب وأغاني العرب " . وهذان المبحثان خلت منهما ومن أمثالهما نسخة دار صادر .

٣- جاءت نسخة دار الكتب وقد ضُبطت ألفاظها ضبطًا تامًا إلى حد بعيد ، وجاءت نسخة دار صادر فطابقتها والتزمت بها حتى في الضبط ، وعلامات الترقيم ، وتقسيم الفقرات ، فصارت وكأنها صورة من نسخة دار الكتب ، حتى أنه إن جاءت عبارة بين معقوفتين في نسخة دار الكتب يضعها محققو دار صادر بين معقوفتين دون إشارة إليها من قريب أو بعيد .

فمثلا : " .. خرجت امرأة من بني زهرة في خف ، فرآها رجل من بني عبد شمس من أهل الشام فأعجبته ، فسأل عنها فنُسِبَت له ، فخطَبها إلى أهلها فزوجوه [إياها] بكُرْهٍ منها ، فخرج بها إلى الشام . [وَخَرَجَت مخرجًا] فسمِعت متمثلا يقول " (دار الكتب ١ : ٣٠)

هذه العبارة وردت بنصها في طبعة دار صادر ١ : ٤٢

إلا أن محققي دار صادر قد استخدموا الفاصلة بين طرفي الجملة الاعتراضية بدلا من الشرطتين في نسخة دار الكتب .

٤- التزم محققو دار الكتب وضع العناوين التفسيرية ، وهي تعبر عن معنى الفقرة أو الموضوع الذي تعرضه ، وتوضع هذه العناوين على حاشية الصفحة، وقام محققو نسخة دار صادر - إمعانًا منهم في الالتزام بنسخة دار الكتب - بوضع هذه العناوين الاجتهادية في مواضعها مع اختصار بعضها ، فبدا غير مفيد ؛ لأنه لم يشمل المعنى كاملا . والجديد أنهم وضعوا العناوين في المتن بين معقوفتين .

فمثلا تحت عنوان : " خبر أبي قطيفة ونسبه " جاءت العناوين الإرشادية الجانبية التالية :

دار الكتب :	دار صادر :
- نسب أبي قطيفة	- [نسب أبي قطيفة]
- العنابس والأعياض من بني أمية وأن أبا قطيفة من الأولين	- [العنابس والأعياض من بني أمية]
- خبر عبد الله بن فضالة مع ابن الزبير وما هجاه به من شعر .	- [خبر عبد الله بن فضالة مع ابن الزبير]
- عود إلى نسب أبي قطيفة	
- مقتل عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث . وما قالته قتيلة بنت الحارث من الشعر ترثي أخاها .	[مقتل عقبة بن أبي معيط والنضر ابن الحارث]
- ولاية الوليد بن عقبة الكوفة في خلافة عثمان، ثم عزله عنها .	- [ولاية الوليد بن عقبة الكوفة]
- نفي ابن الزبير أبا قطيفة فيمن نفاه عن المدينة في وقعة الحرة .	- [نفي بني أمية عن المدينة]

٥- جاءت هوامش نسخة دار الكتب أكثر غزارة ودسامة من نسخة دار صادر ، وليس ذلك بسبب عدد النسخ التي طابقت عليها نسخة دار الكتب ، ولكن أيضًا لشرح ما غمض من ألفاظ ومعانٍ .

- وفي نسخة دار صادر ينقل المحققون بعض الهوامش حرفيًا من نسخة دار الكتب كما في هوامش : ٣ ، ٤، ٥ ، ٦ ج١ ص ٣٣ ، فهي نفسها هوامش : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ج١ ص ١٦ ، وهامش ٦ ج١ ص ٣٥، هو نفسه هامش ١ج١ ص ٢٠ .

وقد يختصرونها كما في ترجمة " الحنتف "

ففي نسخة دار الكتب ج١ ص ٢٧ س١

قد حلّ في دار البلاطِ[1] مُجوَّعٌ ودارِ أبي العَاصِ التَّميميُّ حَنْتَفُ[2]

وفي الهامش

(١) البلاط موضع بالمدينة بين المسجد والسوق مبلَّط (قاموس) .

(٢) هو الحنتف بن السجف بن سعد بن عوف بن زهير بن مالك ، كان يكنّى أبا

عبد الله وكان دينًا ، له منزلة من عبيد الله بن زياد . ولما وقعت فتنة ابن الزبير سار حبيش بن دلجة القيني من قضاعة إلى المدينة يريد قتال ابن الزبير ، فعقد الحارث بن عبد الله المخزومي وهو أمير البصرة للحنتف لواءه فسار في سبعمائة ، وخرج إليه حبيش من المدينة فلقيهم بالرندة فقتل الحنتف حبيشًا وعبد الله بن الحكم أخا مروان بن الحكم ، وانهزم الحجاج بن يوسف وأبوه يومئذ ، ثم سار الحنتف نحو الشام ، حتى إذا كان بوادي القرى سُمَّ بطعامه فمات هناك . (انظر المعارف لابن قتيبة ص٢١٢. ٢١٣ وابن جرير الطبري طبع أوربا قسم ٢ ص ٥٧٨. ٥٧٩ وشرح القاموس مادة حنتف)

وفي نسخة دار صادر ج١ ص ٤٠ س٩

قد حلَّ في دار البلاطِ مُجوَّعٌ ودارِ أبي العَاصِ التَّميميُّ حَنْتَفُ(١)

وفي الهامش

(١) البلاط موضع بالمدينة . هو الحنتف بن السجف بن سعد بن عوف كان دينًا شريفًا ، المعارف لابن قتيبة ص٢١٢ .

وقد يكون في اختصارهم لها إخلال بالمعنى ، كما في تفسيرهم للدلدل بأنه شبيه بالقنفد هامش٢ ص٢٦٢ ج١، وهي من نسخة دار الكتب هامش٣ ص٤٠٦ ج١ : الدلدل : شبه القنفد ، وهي دابة تنتفض فترمى بشوك كالسهام ، وفرق ما بينهما كفرق ما بين الفئرة والجرذان والبقر والجواميس والعِراب والبخاتي ، ولعله شبهه بالقنفد لأنه أكثر ما يظهر بالليل.

ويغفلون أحيانًا ـ ربما رغبة في التخفيف على القارئ ـ بعض المعاني الغامضة ولا يفسرونها رغم أهميتها ، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها ما يلي :

ـ " ... كما أن الرسول قتل عقبة بن معيط صبرًا " دار صادر ج١ص٣٤ س١٣ ، وتفسيرها في نسخة دار الكتب ج١ ص١٧ هامش ٢ : " أي حبسًا . وفي الحديث أنه نهى عن قتل شيء من الدواب صبرًا ، وكان من حُبِس لقتل أو يمين قيل له قُتِل صبرًا وحلف صبرًا "

ـ " .. وسأله أن يضم أهله وثَقَلَه ففعل " دار صادر ج١ ص٣٨ س٢١ ، وتفسيرها في نسخة دار الكتب ج١ص٢٤ هامش٢ : " الثَّقل : متاع المسافر وحشمه " .

ـ " .. إني رأيت في منامي شجرة غرقد تصيح " دار صادر ج١ص ٣٩ س٢٢ ، وتفسيرها في نسخة دار الكتب ج١ص ٢٦ هامش ٢ : " الغرقد الشجر العظيم " .

ـ " .. قال : قد أخذنه بدينه . قال : هو لك على أن تحملها إلى المدينة وتجعلها بالوافية " دار صادر ج١ص ٤٤ س٣ ، وتفسيرها في نسخة دار الكتب ج١ ص ٢٣ هامش٥ : " الدرهم الوافي درهم وأربعة دوانق ، والدانق سدس الدرهم " .

ـ" .. فحملها إلى المدينة وفرقها في غرمائه ، وكان أكثرها عِدات " دار صادر ج١ ص ٤٤س ٤ ، وتفسيرها في نسخة دار الكتب ج١ ص٣٢ هامش ٦ : " عطايا وُعِد بها ".

ـ " نبئت أن ابن العملّس عابني " دار صادر ج١ ص ٤٥س٩ وتفسيرها في نسخة دار الكتب ج١ ص٣٤ هامش ٢ : " في ت ، ر القلمس ، والقلمس في اللغة الرجل الداهية المنكر البعيد الغور . والعملس الذئب الخبيث أو كلب الصيد الخبيث ، وقد رجحناه لمناسبته لمقام الهجاء ..." .

ـ " فلما عزله قدم المدينة بمالٍ وسلاح وثلاثين عبدًا من السُّغد " دار صادر ج١ ص٤٥ س٢٤ ، وتفسيرها في نسخة دار الكتب ج١ ص٣٥ هامش ٤ :" السُّغْد (بضم أوله وسكون ثانيه) : ناحية كثيرة المياه نضرة الأشجار ، مونقة الرياض تمتد مسيرة خمسة أيام لا تقع الشمس على كثير من أراضيها ولا تبين القرى من خلال أشجارها ، وقصبتها " سمرقند " ، وربما قيلت بالصاد " . (ياقوت)

ـ نسخة دار الكتب تذكر أرقام السطور في كل صفحة تيسيرًا على الباحث في تحديد موضع اللفظ المراد في الصفحة ، بينما لا نجد ذلك في نسخة دار صادر .

٧- جاءت فهارس نسخة دار الكتب بعد كل جزء ، أي أن الجزء ينشر بفهارسه التفصيلية ، بينما جاءت فهارس نسخة دار صادر في جزء مستقل بعد الأجزاء كلها ، وهو الجزء الخامس والعشرون .

ونلاحظ على فهارس النسختين الملاحظات التالية :

جاء فهرس نسخة دار الكتب شاملا عدة فهارس، وهي :

١ـ فهرس الأعلام الواردة في هذا الجزء ، وهذا الفهرس يشمل عدة فهارس ، هي :

أ ـ فهرس أسماء الشعراء .

ب ـ فهرس رجال السند .

ج ـ فهرس المغنين .

د ـ فهرس رواة الألحان .

هـ ـ فهرس الأعلام الذين لهم قصص في الكتاب .

٢ـ فهرس القبائل والأمم والبطون والعشائر والأرهاط .

٣ـ فهرس أسماء البلاد والمدائن والجبال والأودية والأنهار ، وغير ذلك .

٤ـ فهرس أسماء الكتب في الكتاب أو الحواشي .

٥ـ فهرس القوافي وأنصاف الأبيات ، يأتي بالبيت الأول من القصيدة مع ذكر أول كلمة في البيت ، وقافيته ، وعروضه .

٦ـ فهرس أيام العرب .

٧ـ فهرس الأمثال .

٨ـ فهرس الموضوعات

ملاحظة : لم تُحذَف صدور الكنى (أبو أو أم) ، ولا ذو من العلم تيسيرًا على الباحث . مع ذكر موضعه: رقم الصفحة والسطر .

أما في نسخة دار صادر فالفهارس في نهاية الجزء الرابع والعشرين تحت عنوان الفهارس العامة، وبدأت بفهرس الموضوعات حيث ذكر فهرس الموضوعات في كل جزء من الأول حتى الجزء الرابع والعشرين .

وخصصت النسخة الجزء الخامس والعشرين للفهارس العامة ، وقسمته إلى الفهارس التالية :

ـ فهرس المائة صوت المختارة، ذكرها بترتيب ورودها في الأجزاء، يذكر الصوت وبعده الجزء فالصفحة ، ويذكر لحنه ، ومغنيه ، وشاعره ، وبحره .. وهكذا.

ـ فهرس القوافي ، وهو أكبر فهارس الكتاب ، جاء مرتبًا ترتيبًا هجائيًا يذكر القافية، ثم البحر ، ثم الشاعر ، وموضعه من مجلدات الكتاب بالجزء والصفحة .

ـ فهرس الشعراء مرتب ترتيبًا هجائيا بالجزء والصفحة .

ـ فهرس الأمثال مرتب ترتيبًا هجائيا بالجزء والصفحة .

ـ فهرس المصادر والمراجع ، ومن ضمن مراجعها كتاب الأغاني (١ـ ٢٥) دار الثقافة بلبنان ، الأغاني (١ـ ١٦) دار الكتب المصرية .

ونلاحظ على هذا العرض لفهارس النسختين ما يلي :

ذكرت نسخة دار الكتب العديد من الفهارس المهمة التي لم تتعرض لها نسخة دار صادر ، وهي : فهرس القبائل والأمم ، وفهرس أسماء البلاد والمدائن .. ، وفهرس أسماء الكتب ، ثم فهرس أيام العرب .

كذلك خلت نسخة دار صادر من فهرس للمغنين ورجال السند ورواة الألحان كما ورد في نسخة دار الكتب ، واكتفت فقط بذكر فهرس الشعراء .

ومع هذا النقص في عدد الفهارس في نسخة دار صادر إلا أن فهرس نسخة دار الكتب ليس مجرد مجموعة من الأرقام الجافة ـ كما هو الشأن في معظم الفهارس ـ ، وخاصة في فهارس الأعلام ، ففيها إشارات إلى علاقة العلم بهذا الموضوع ، والموقف الذي ذُكِر فيه ، والمناسبة التي تعرض لها ، وكلها إشارات مُعِينة ومساعدة للوصول إلى العلم المراد في موقف معلوم، وخاصة إذا تعددت الأسماء أو تشابهت، وهو غاية في الدقة والإتقان ، ومثال ذلك في فهرس الأعلام إبراهيم بن هشام : مدحه نصيب فذم شعره ٣٦٢: ١٣ـ ٣٦٣: ٤؛ مدحه نصيب وهو والي المدينة فاستقل عطاءه ٣٧١: ٣ـ١٠؛ عذبه الوليد بن يزيد لما ولي الخلافة حتى مات ٤١٥: ١٥ـ ٤١٦:٩ .

وإذا كان العلم من المؤلفين ذكر أسماء كتبه كما في ترجمته للنووي : نقل عن كتابه " شرح مسلم " ٦٦: ٢ت ، النويري : نقل عن كتابه " نهاية الأرب " ٢٥٥: ٦ت ، ٢٦٠: ١ت.

(مع ملاحظة أن الرقم الذي يليه حرف ت يدل على رقم السطر في التعليقات أسفل الصفحات)

وكذلك يعطي بعض المعاني التفسيرية في فهرس القبائل والأمم ، كما في آل أبي ربيعة : ضرب بعزهم المثل أبو ذؤيب ٦٤: ٨ ، الأعياض : أولاد أمية بن عبد شمس ، وهم خمسة ١٤: ١٠ـ١٣؛ أوردهم ابن فضالة في شعره ١٤: ١٧، ١٥: ١٢ت .

وفي فهرس الأماكن يعطي الصفحة ورقم السطر فقط. ونادرًا ما يعلق على الموضع كما في وادي القرى : نزل به الأمويون المطرودون من ذي خشب في فتنة ابن الزبير : ٢٥: ١٤؛ ١٩٧: ١ت .

وفي فهرس القوافي يذكر صدر البيت وقافيته وبحره، ثم موضعه من الصفحة والسطر .

وفي فهرس أنصاف الأبيات يذكر نصف البيت وبحره ثم موضعه . ثم فهرس أيام العرب ، وفهرس الأمثال ، وفي النهاية فهرس تفصيلي للموضوعات .

وهذه الفروق بين نسخة دار الكتب ونسخة دار صادر، تصب في معظمها في صالح نسخة دار الكتب ، إلا أن ذلك لا يقلل من قيمة نسخة دار صادر، ولا من جهد السادة المحققين الذين شهدنا لهم في كل أعمالهم السابقة بالدقة والإتقان والتمحيص ، فلهم منا كل تحية وإجلال .

د. أشرف محمد فريد غنام

مصادر الدراسة :

- الأغاني ، للأصفهاني ، طبعة دار الكتب ، تحقيق : مجموعة باحثي القسم الأدبي ، ج١ ، ط٢ ، سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م .

- الأغاني ، للأصفهاني ، طبعة دار صادر ، تحقيق : د. إحسان عباس ، د. إبراهيم السعافين ، والأستاذ بكر عباس ، ط ٣ ، سنة ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

مراجع الدراسة :

- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطي ، حققه : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي بالقاهرة ، ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروت ، ط١ ، سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي أحمد بن علي أبي بكر ، دار الكتب العلمية ببيروت ،د.ت

- سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، تحقيق مجموعة من العلماء ، مؤسسة الرسالة ببيروت ، ط١ ، سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

- الفهرست ، لأبي الفرج محمد ابن إسحق النديم ، قابله على أصوله : د. أيمن فؤاد سيد ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن ، سنة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

- في مصادر التراث العربي ، د.السعيد الورقي ، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ، سنة ٢٠٠٠م .

- لسان الميزان، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ببيروت ، ط٣ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م .

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، لأبي محمد عبد الله اليافعي ، تحقيق : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط١ ، سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

- المصادر الأدبية في التراث العربي ، د. عز الدين إسماعيل ، مكتبة غريب بالقاهرة د. ت

- مصادر التراث والبحث في المكتبة العربية ، د. محمود فاخوري ، منشورات جامعة حلب بسوريا ، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ، سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

- معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ببيروت ، ط١ ، سنة ١٩٩٣م

- مقدمة تاريخ ابن خلدون "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" ، حققه : أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية بالأردن والسعودية .

- النجوم الزاهرة ، لابن تغري بردي جمال الدين ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ببيروت .

- الوافي بالوفيات، للصفدي ، جمعية المستشرقين الألمان ، باعتناء : رمزي بعلبكي ، دار فرانز شتاينر ، شتوتجارت ، ط ٢ ، سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١م

- وفيات الأعيان ، لابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، تحقيق : إحسان عباس ، الناشر : دار صادر ببيروت

- يتيمة الدهر في محاسن أهل الدهر ، للثعالبي أبي منصور عبد الملك النيسابوري ، تحقيق : مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط١ ، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

من أخبار التراث

د. حسام أحمد عبدالظاهر(*)

٢٠١٠م

- صدر عن مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية الجزء الرابع من العصر الأيوبي من كتاب "عِقْد الجمان في تاريخ أهل الزمان" لبدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م). بتحقيق الدكتور محمود رزق محمود، وساعد في التحقيق من باحثي المركز الأساتذة: نفيسة صميدة، وسهير عبد العاطي، وإيزيس سامح زكي. وهذا الجزء يتناول الفترة التاريخية (٦١٦-٦٢٨هـ/١٢١٩-١٢٣٠م). كما صدر عن المركز كتاب "فراقنامه" لسلمان بن علاء الدين الساوجي (ت٧٧٨هـ/١٣٨٦م)، بتحقيق الدكتور شعبان ربيع طرطور.

- أعاد مركز تحقيق التراث طبع مجموعة من الكتب تتمثل في: "شرح اللزوميات" بتحقيق الأساتذة: زينب القوصي، وسيدة حامد، ومنير المدني، ووفاء الأعصر. وكتاب "أبنية الأسماء والأفعال والمصادر" لابن القطاع الصقلي (ت٥١٥هـ/ ١١٢١م) بتحقيق الدكتور أحمد محمد عبد الدايم. وكتاب "الاقتضاب في شرح أدب الكتاب" للبطليوسي (ت٥٢١هـ/١١٢٧م)، في ثلاثة أجزاء بتحقيق الأستاذين مصطفى السقا وحامد عبد المجيد. وكتاب "أزهار الأفكار في جواهر الأحجار" للتيفاشي (ت٦٥١هـ/١٢٥٣م) بتحقيق الدكتورين محمد بسيوني خفاجي ومحمد يوسف حسن. وكتاب "عنقود الزواهر في الصرف" للقوشجي (ت٨٧٩هـ/١٤٧٤م) بتحقيق الدكتور أحمد عفيفي. وكتاب "نزهة النفوس ومضحك العبوس" لابن سودون (في القرن ٩هـ/ ١٥م). وبتحقيق أستاذنا الدكتور حسن حبشي صدر إعادة طبع لكتاب "عنوان العنوان" للبقاعي (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م). وكتاب "نثر الدر" للآبي (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، في سبعة أجزاء حققها الأساتذة: محمد علي قرنة، ومحمد إبراهيم عبد الرحمن، وسيدة حامد عبد العال، ومنير محمد المدني. و كتاب "تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه" لابن حبيب (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، في ثلاثة أجزاء بتحقيق أستاذنا الدكتور محمد محمد أمين.

(*) باحث بمركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية.

- نظم مركز تحقيق التراث ثلاث ندوات خلال شهور أكتوبر ونوفمبر وديسمبر ضمن موسمه الثقافي العاشر، وهو الخاص بأعلام دار الكتب. دارت الندوة الأولى عن المحقق والمفهرس فؤاد سيد، وتحدث عنه فيها الدكتور حسين نصار. أما الندوة الثانية فدارت عن المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم، وتحدث فيها الدكتور أيمن فؤاد سيد ،وكانت الندوة الثالثة عن الدكتور محمد فريد عبد الخالق، وتحدث فيها الدكتور عبد الستار الحلوجي.
- في يومي الأربعاء والخميس ١٤ و١٥ يوليو عقد مؤتمر (الانتصار للصحيحين)، وذلك في رحاب كلية الشريعة بالجامعة الأردنية. ومن بحوث المؤتمر وأوراقه: إضاءات مقتبسة من جهود العلماء المعاصرين في الذبّ عن الصحيحين وخدمتهما للدكتور الفاتح الحبر عمر، وجهود الإمامين الحافظ اليونيني والحافظ ابن حجر في تحقيق صحيح الإمام البخاري ودفع الشبهات عنه للدكتور أبشر عوض محمد إدريس، وخصوصيات الصحيحين في ضوء علوم الحديث للدكتور عمار الحريري، وجهود فقهاء الحنابلة في خدمة الصحيحين للدكتور إسماعيل غازي مرحبا، وتراجم صحيح البخاري للدكتور خالد بن مرغوب الهندي، وتلقي الأمة للصحيحين بالقبول للأستاذ فايز أبو سرحان، والنساء اللاتي لهن رواية للصحيحين أو أحدهما من القرن الرابع الهجري حتى القرن الثالث عشر الهجري للأستاذة صفية بنت إدريس، ومسالك الفكر العقلي المعاصر للطعن في الصحيحين للدكتور خالد بن عبد العزيز أبا الخيل.

ومما أُلقي في المؤتمر أيضًا من بحوث: انتقادات الشيعة المعاصرين للصخيحين وقيمتها العلمية للدكتور لطفي بن محمد الزغير، والمنطلقات الفكرية والعقدية لمدارس الطعن في الصحيحين(المستشرقون) للدكتور أمين عمر دغمش، والمنطلقات الفكرية والعقدية لدى الحداثيين للطعن في الصحيحين للدكتور أنس سليمان أحمد المصري، وأسباب عدول البخاري عن الرواية عن الصادق للدكتور أحمد صنوبر، والعقلانيون المعاصرون وأحاديث الصحيحين للدكتور محمد بن ظافر بن عبد الله الشهري، والبخاري والقرآن الكريم من خلال كتاب جناية البخاري - إنقاذ الدين من إمام المحدثين دراسة ونقد للدكتور نصر إبراهيم فضل البنا، ومسوغات ترك الاحتجاج بأحاديث الصحيحين عند الأصوليين ومخالفة الحداثيين لها للدكتور أشرف محمود بني كنانة، ودراسة تطبيقية في واقع مرويات المتهمين بالضعف في الصحيحين للدكتور حذيفة شريف الخطيب، والمنطلقات الفكرية والعقدية لمدارس الطعن في الصحيحين

للدكتور عصر محمد ذيب النصر، وأثر الفكر الاعتزالي في العدول عن أحاديث الصحيحين للدكتور حسن أحمد الخطاف، وتوهين تعليل أحاديث انتُقدت على الصحيحين للدكتور شاكر العاروري.

ومدارس المحدثين في نقد رواة الصحيحين للدكتور إلهام بدر الجابري، والأحاديث التي ضعفها الشيخ الألباني في صحيح البخاري للدكتور محمد حمدي محمد أبو عبده، والمنهجية المنضبطة في تعليل بعض أحاديث الصحيحين عند الحفاظ المتقدمين للأستاذ جميل أبو سارة، ومنهج الإمام البخاري في مختلف الحديث وأثره في فهم الحديث النبوي ـ دراسة تطبيقية من خلال صحيح الإمام البخاري للدكتور متعب بن سالم بن جبر الخمشي، وحديث (ائتوني أكتب لكم كتابًا لا تضلُّوا بعدي) شبهات وردود. للدكتور قاسم غنام.

ودعوى التعارض الصريح بين الآيات القرآنية وأحاديث الصحيحين التي تفسرها للدكتور علي الخطيب، والروايات المنتقدة في صحيح البخاري بسبب اختلاف نسخ الجامع الصحيح للأستاذة شفاء علي الفقيه، والروايات المنتقدة في الصحيحين بدعوى مخالفة العقل للأستاذ خالد بن عبد الرحمن الطحاينة، ورواية الصحيحين لزواج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة عائشة بين صدق الحقيقة وافتراءات المشككين للدكتور محمد رمضان أبو بكر، ونظرية التناسب في صحيح الإمام البخاري للدكتور علي عجين، ومسلك الشيخين في انتقاء الأحاديث، ودفع شبهات عنه للدكتور صالح بن سعيد عومار، والتجريح النسبي في بعض الأمكنة دون بعضٍ ممن خرَّج لهم البخاري في صحيحه للدكتور زكرية غلفان، وشيوخ البخاري المتكلم فيهم في الصحيح :دراسة تحليلية نقدية للأستاذة ميسر رجب محمد الداعور، ورجال البخاري الذين أوردهم في كتابه الضعفاء ورواياتهم في الصحيح للأستاذ سالم العماري، وشروط الناقد لأحاديث الصحيحين للدكتور ياسر الشمالي، وتمكن الشيخين من الصناعة الحديثية (علو الإسناد أنموذجًا) للدكتور عدنان شلش، ومفهوم الضبط عند البخاري للدكتور عبد السلام أبو سمحة، ومنهج الإمام مسلم في التفسير للدكتورة أميرة بنت علي الصاعدي.

● خلال الفترة من ١٩.٢٧ أغسطس نظم مركز جمعة الماجد بالتعاون مع مركز وافي سنتر معرضًا بعنوان: "صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد".

وقد هدف المعرض إلى إلقاء الضوء على ترميم المخطوط وتجليده، وضم المعرض صورًا للعديد من المخطوطات من عصور مختلفة، كما عرض نماذج طبق الأصل من

بعض المخطوطات الأخرى مثل كتاب الفوائد لابن ماجد (ت بعد ٩٠٤ هـ/ بعد ١٤٩٨م).

- عقد معهد البيروني للدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم الأوزباكية بالتعاون مع مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ندوة علمية تحت عنوان التراث المخطوط في أوزباكستان وطرق حفظه وصيانته وذلك يوم ٢٣ سبتمبر ٢٠١٠م.

وقد شارك في هذه الندوة محاضرين من المركز والمعهد والمؤسسات الأوزباكية التي لها اهتمام بالتراث، وقد شارك من المركز كل من الدكتور عز الدين بن زغيبة ببحث عنوانه: التراث الإسلامي وجهود مركز جمعة الماجد في حفظه وصيانته، والدكتور بسام الداغستاني ، وكان عنوان ورقته: أحدث الطرق التكنولوجية في حفظ المخطوطات وصيانتها.

وتعرض المحاضرون من الجانب الأوزباكي للتراث الإسلامي الموجود في أوزباكستان، وتحدثوا عن أهميته ومكانته ضمن الثقافة العربية والإسلامية، وبخاصة ما هو موجود منه في سمرقند، كما تحدث بعضهم عن إسهامات علماء أوزباكستان في الحضارة الإسلامية، وتحدثوا عن الدور الذي يقوم به معهد البيروني في حماية المخطوطات والتراث الإسلامي للشعب الأوزباكي.

- وفي الفترة ٢٢-٢٥ نوفمبر نظم معهد المخطوطات العربية بالقاهرة أولى دوراته التدريبية المتخصصة تحت عنوان «الأرقام والتواريخ في المخطوطات العربية». وقد حاضر في الدورة الدكتور أيمن فؤاد سيد الذي تحدث عن مواقع الأرقام والتواريخ على المخطوطات، والدكتور خالد عزب الذي حاضر عن الأرقام والتواريخ على الآثار، والدكتور عماد أبو غازي الذي تحدث عن الأرقام والتواريخ في الوثائق، وشارك الأستاذ عصام الشنطي بثلاث محاضرات وورش عمل عن حساب الجُمَّل وحساب الكسور وحساب القلم الفاسي. وساعد في التدريبات العملية الأستاذان إسلام مصطفى ومحمود زكي.

- وخلال الفترة ٢٧-٣٠ نوفمبر عقدت دار الكتب والوثائق القومية مؤتمرًا كبيرًا بمناسبة مرور ١٤٠ عامًا على إنشاء دار الكتب، وذلك تحت عنوان (دار الكتب: ١٤٠ عامًا من التنوير). ومن البحوث والمحاضرات التي أُلقيت بالمؤتمر:

- خزائن الكتب في مصر وتأسيس الكتبخانة الخديوية، للدكتور أيمن فؤاد سيد.
- البرديات العربية بدار الكتب المصرية، للدكتور صبحي بودربالة.

- نوادر المخطوطات العربية بدار الكتب المصرية، للأستاذ عصام الشنطي.
- دور دار الكتب في تحقيق التراث، للدكتور حسين نصار.
- المستشرقون في دار الكتب المصرية، للدكتور مصطفى لبيب عبد الغني.
- النشر التراثي في دار الكتب المصرية، للدكتور حسام عبد الظاهر.
- فهرسة مخطوطات المجاميع بدار الكتب، للدكتور عبد الستار الحلوجي.
- المخطوطات المغربية والأندلسية في دار الكتب المصرية، للدكتور المهدي السعيدي.

● في يومي ٢.١ ديسمبر عقد معهد البحوث والدراسات العربية المؤتمر الدولي الأول نحو خطة شاملة للتراث الفكري العربي تحت عنوان (مستقبل التراث). وفي يومه الأول، وتحت عنوان: التراث: المفهوم والإشكاليات - دارت بحوث المحور الأول، وتمثلت في بحث الدكتور خالد عزب عن التراث والهوية، وبحث الدكتور رضوان السيد وعنوانه: التراث وتراث الآخر: مرايا الأنا والآخر، وبحث الدكتور يوسف زيدان: التراث والحداثة : لقاء أم مواجهة. كما اشتمل اليوم الأول على بحث: التراث: ضبط المصطلح وبناء المفهوم للدكتور فيصل الحفيان، وبحث: كيف نقرأ التراث ؟ للدكتور معتز الخطيب، وبحث مساءلة التراث بين التوظيف والمحاكمة للدكتور سيف عبد الفتاح، وبحث الدكتور كمال عمران وعنوانه المواقف من التراث: المنطلقات والتأثيرات، أما الدكتور بشار عواد معروف فكانت ورقته بعنوان: العمل في التراث : الاتجاهات والغايات.

أما اليوم الثاني فقد اشتمل على مجموعة أخرى من البحوث المهمة، ومنها:التراث والرؤية الكلية للدكتور سليمان العطار، و التراث والمسؤولية للدكتور عبد الحكيم راضي، والتراث والذاكرة للدكتور بغداد عبد المنعم، و حيوية التراث : آفاق الوجود وإشكاليات الرؤية للدكتور إدهام محمد حنش، والتراث وإشكالية النضج والاحتراق للدكتور عبد الحكيم الأنيس، والتراث بين تاريخ العلم وتجدد المعرفة للدكتور محمود محمد مصري. واختُتم المؤتمر بمحاضرة ختامية عن التراث والثقافة بعنوان : جدل المفاهيم للأستاذ فاروق شوشة.

● وفي يومي السبت والأحد ٥.٤ ديسمبر عُقد بجامعة القاهرة المؤتمر الدولي الأول لقسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم، تحت عنوان (السيرة النبوية في القديم والحديث). وبمشاركة عدد كبير من الأساتذة المتخصصين من مصر والسودان والسعودية والكويت وماليزيا والهند وأمريكا - ومن بحوث المؤتمر

في يومه الأول: صور من اضطهاد المشركين للنبي في مكة- دراسة وتحليل، للدكتور حسن علي حسن، غزوة بدر الكبرى : أسبابها ونتائجها للدكتور أحمد حسن عمر، وادي القرى في العصر النبوي للدكتور مصطفى علي دويدار، مرويات إرهاصات ميلاد النبي صلى الله غليه وسلم وبعثته في ضوء مناهج المحدثين للدكتور حسن علي حسين، السيرة النبوية بين مناهج المؤرخين والمحدثين للدكتور علي الزيني، السيرة النبوية بين مناهج المحدثين والمؤرخين (البخاري والمقريزي نموذجًا) للدكتور عبد الله جمال الدين، مدى انعكاس آراء مونتجومري وات على كارين آرمسترونج في كتابة السيرة النبوية للدكتور عبد الرحمن سالم، منابع الهجوم على السيرة النبوية من قبل بعض المستشرقين بعد أحداث١١ سبتمبر، للدكتور براين رايت، إسهام علماء شبه القارة الهندية في كتابة السيرة النبوية للأستاذ صاحب عالم الأعظمي، منهج الشيخ الإمام محمد الغزالي في كتابة السيرة النبوية للدكتور محمد عبد الحميد الرفاعي، كتب الحديث كمصدر للسيرة النبوية للدكتور عبد الله بن عثمان الخراشي، السيرة النبوية في معجم البلدان لياقوت الحموي. دراسة تحليلية للدكتور طه عبد المقصود، منهج النويري في كتابة السيرة النبوية للدكتور هاشم عبد الراضي، السيرة النبوية في كتابات المؤرخين النصارى (ابن العميد، وابن العبري نموذجًا) للدكتور يسري أحمد زيدان، السيرة من خلال رؤية الغرب الأوربي لها وبخاصة زمن الحروب الصليبية للدكتور حجازي عبد المنعم سليمان، السيرة النبوية: المصطلح - التناول - المنهج للدكتور أحمد طاهر عبد الرحمن النقيب.

ومن بحوث اليوم الثاني للمؤتمر: نظام الزواج في المجتمع المكي قبل البعثة النبوية وبعدها للدكتورة نورة الحساوي، المجتمع الإسلامي في عصر النبوة من خلال حادثتي الإفك، ومواقف الثلاثة الذين خُلفوا للدكتور عبد الفتاح فتحي، ملامح الأسس العقدية للداعية في غزوة الحديبية من خلال صحيح البخاري للدكتور حامد بن معاوض، أثر السيرة النبوية على التفسير للدكتور وليد الزهراني، الشواهد النحوية والصرفية في كتاب (الروض الأنف في شرح السيرة النبوية) للدكتور سليمان يوسف خاطر، مصادر السيرة النبوية: المادة الأدبية في كتاب المغازي للواقدي للدكتورة لطيفة البقمي، اللغة الفنية وفاعليتها في كتابات السيرة النبوية بين القدماء والمحدثين للدكتور مصطفى عبد العاطي، الهجرة النبوية بين ثلاثة من رواد الأدب العربي الحديث للدكتور صابر عبد الدايم، أدب السيرة النبوية للدكتورة بسمة محمد بيومي.

- خلال الأيام ٥-٧ ديسمبر (كانون الأول) ٢٠١٠م، عُقد بمعهد التراث العلمي العربي

بجامعة حلب ـ المؤتمر السنوي الثلاثون لتاريخ العلوم عند العرب.قُدم في المؤتمر على مدى أيام انعقاده البحوثُ التالية:

ـ النّتاج العلمي العربي ودوره في تواصل الحضارات، للدكتور علاء الدين لولح.

ـ شهاب الدين بن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ): سيرته ومؤلّفاته، للدكتورة نبيلة عبد المنعم داود.

ـ مجلّدات القانون في الطب لابن سينا بين رواية الجُوزْجَاني وتعليقات المؤرّخين: دراسة تحليلية نقدية، للدكتور ماهر عبد القادر محمد علي.

ـ تراثنا العلمي العربي في المكتبة اللورنسية بفلُورنْسا (إيطاليا)، للدكتور محمود سالم الشيخ.

ـ الاستعمالات النجومية للإسْطُرْلاب المسرطن على أساس رسالة السِّجْزي، للدكتور بويان شهيدي.

ـ دراسة تحليلية للشكلين التاسع والعاشر من المقالة الأولى في كتاب "الأصول" لأُوقْلِيدس عند السِّجْزي، للدكتور فؤاد عويلة.

ـ المعادن: خواصُّها وطرق استخدامها في كتاب "مسالك الأبصار" للعمري، للدكتور بثينة جَلْخي.

ـ مصطلحات الطب والمعجم التاريخي للغة العربية، للدكتور نشأت الحمارْنة.

ـ أثر العرب في الحضارة الصِّينية ـ العلوم التطبيقية نموذجًا، للدكتور حمود محمد النجيدي.

ـ حساب الأوتار كأضلاع لمضلَّعات منتظمة ضمن الدائرة ما بين أبي كامل شُجاع بن أسْلَمَ والبيروني، للدكتور سامي شلهوب.

ـ دراسة تاريخية مقارنة للجذور التربيعية والتكعيبية للأعداد الصُّمِّ، للدكتور مصطفى موالدي.

ـ حول القيمة المعرفية ـ الرياضية المتأتِّية من استنباط مبرهنة الجيوب في التراث العلمي العربي، للدكتور محمد يوسف الحجيري.

ـ ابن فضل الله العمري وأثره في التأريخ للأطباء في كتابه "مسالك الأبصار"، للدكتور إبراهيم بن محمد بن حمد المزيدي.

- المنهج التجريبي عند ابن مالك الطنغري، للدكتور محمد بن هاشم النَّعْسان.
- نظريات نشأة علم الطب، للدكتور محمود الحاج قاسم.
- الصحة العامة ونظافة البيئة في بغداد في القرن السادس الهجري، للدكتور جيهان سعيد الراجحي.
- العلوم الطبية في بلاد الإسلام في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، للدكتور مشهور عبد الرحمن الخبازي سرور.
- الفكر المعماري عند ابن الأزرق، للدكتور بديع العابد.
- مقارنة بين مخطوط القُوصوني "قاموس الأطباء وناموس الألِبَّاء" ومخطوطة السَّمرقندي "الأسباب والعلامات"، للدكتور اكتمال رجب.
- بوابات مدينة القدس: تاريخ تراثها العمراني، م. ديب الكخن.
- الإبداع المعرفي للمسلمين في إقليم المشرق (خراسان وبلاد ما وراء النهر) - العلوم الكونية أنموذجًا بين القرنين الثالث والخامس الهجريين، للدكتور نجيب بن خيرة.
- المبادئ الأساسية في علم الجنين عند العلاَّمة ابن قيّم الجَوْزية، للدكتورة أميرة أومري.
- دور ابن فضل الله العمري في تأريخ الطب، للدكتور محمد ياسر زَكُّور.
- مخطوط مجهول عن صناعة الكتاب العربي "زينة الكَتَبَة" لأبي بكر الرازي (ت٣١١هـ)، للأستاذ محمود محمد زكي.
- منَ الرُّهاوي إلى صاعد، للدكتور مريزن سعيد عسيري.
- صفحات مجهولة من تاريخ الطب الإسلامي، للدكتور خالد حربي.
- إسهامات العلماء المسلمين في العلوم الأساسية - ابن جابر البَتَّاني نموذجًا، للدكتور عمر أنور الزيداني.
- أطباء في ديار الإسلام بين مصر والعراق ومصر وبلاد الشام، للدكتور سري سبع العيش.
- علم الحيوان والبَيْطرة في الحضارة الإسلامية، للدكتور عالية شعبان.
- التِّقْنيات الهندسية المستخدمة في العمارة التَّدْمُريَّة، للدكتور وفاء النَّعْسان.

- مساهمة التونسيين في وضع خرائط العالم الحديث: خريطة الحاج أحمد التونسي (ت٩٦٧هـ/١٥٥٩م)، للدكتور الكرّاي القُسنْطيني.
- المؤلَّفات العلمية لسلاطين اليمن في عهد بني رسول، للدكتور محمد سعيد.
- دراسة عالم الحيوان عند العالم الدمشقي ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ) في كتابه "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، للدكتور خالد بصمة جي.
- أثر مدرسة القيروان الطبية في المصادر الطبية الشامية، للدكتور محمد فؤاد الذاكري.
- علم النبات الطبي في الغرب الإسلامي من خلال كتابي "عمدة الطبيب" لأبي الخير الإشبيلي، و"حديقة الأزهار" للوزير الغساني، للدكتور جمال بامي.
- الدور الريادي للعرب في تطور العلوم - الأسباب والنتائج، للدكتور زهيّة سَعْدو.
- السدود الأموية في بلاد الحجاز وتقنية تسخير مياه السيول - دراسة آثارية معمارية، للدكتور سامي صالح عبد المالك البياضي.
- الاستعلاء والعداء في مواقف المستشرقين من التراث العلمي العربي - دوافعه وطرق الرد عليه، للدكتور الربيع حمد النيل الليث.
- أعلام من الحضارة العربية في الزراعة والنبات، للدكتور أحمد الشيخ قَدُّور.
- العالم المَجْرِيطي - جدلية المكان والزمان، للدكتور عبد الرحمن عبد الله الصراف.
- الفرس (الخيل) عند ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ) في كتابه "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" - دراسة تاريخية مقارنة، للدكتور جهاد حاج نعسان.
- مواقف شرقية من الدراسات العلمية الاستشراقية، للدكتورة فوزية كرراز.
- إعادة توظيف الخانات في المدينة الإسلامية التاريخية، م. ثريا زريق.
- الوصف النباتي والاستخدامات الطبية لنبات التُّرُنْجان بين التراث العلمي العربي والعلم الحديث، للدكتور عبد العليم حسن بلّو.
- الأسباب المانعة من الحَبَل في الرجل والمرأة ودلائل الحَبَل في التراث الطبي العربي الإسلامي (مخطوطة الشمسية المنصورية للقمري أنموذجًا) وإسقاطاتها على الطب الحديث، للدكتور محمد شايب.

ـ التعليم الطبي وامتحان الطبيب، للدكتور محمود السليمان، والدكتور عبد الوهاب قصاب.

● أعلن معهد المخطوطات العربية عن فوز الدكتور هشام الأحمد «الجائزة العربية لتحقيق التراث» عن دورة ٢٠٠٩. ٢٠١٠م، وذلك عن تحقيقه لكتاب تقويم الأدوية المفردة للعلائي، وسُلمت الجائزة في حفل خاص يوم الأربعاء ٢٩ ديسمبر ٢٠١٠م. وقد تضمن الحفل إلقاء الباحث الفائز لمحاضرة علمية تحت عنوان «تراث العرب العلمي في الأدوية».

٢٠١١م

● صدر عن مركز تحقيق التراث سنة ٢٠١١م كتب: لقط المنافع، لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) ج١ تحقيق: الدكتور مرزوق علي إبراهيم، ومشاركة الأستاذ محمد إسماعيل والأستاذة أنوار صبحي، وجواهر القرآن ودرره، للغزالي (ت٥٠٥هـ/١١١١م) تحقيق: الأستاذة خديجة محمد كامل ومشاركة الأساتذة: منى معوض وهناء حسن وصباح عباس، والفاكهة البدرية للدماميني تحقيق: الدكتور حسن عبد الهادي، والبرق الوامض في شرح تائية ابن الفارض، للسيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، تحقيق: الدكتور هشام الشويكي، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي (ت٣٦٨هـ/٩٧٨م) ج١١ ، تحقيق: الدكتور عبد الرحيم الكردي والأستاذ عبد الرحمن محمد عصر، وج١٦ تحقيق: الدكتور أحمد جمال الدين أحمد ، كما أعاد المركز طباعة كتاب: معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، تحقيق: الدكتور حسين نصار.

● خلال الفترة ٢٠.٣١ مارس ٢٠١١م عقد مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدولة الإمارات دورة تأهيلية في تحقيق المخطوطات، وممن حاضر فيها: الدكتور عبد الحكيم الأنيس، الذي دارت محاضرتاه حول اختيار المخطوط وجمع النسخ، ونقد تحقيق المخطوطات، والدكتور أنس صبري الذي حاضر عن المقابلة بين النسخ، والدكتور حاتم صالح الضامن الذي شارك بمحاضرتيه حول تاريخ علم تحقيق المخطوطات، وحقوق المحققين وظاهرة سرقة الكتب، أما الدكتور يونس قدوري فتحدث عن التعامل مع الحواشي والرموز والتصويب والتصحيح في النص.

● خلال اليومين ١٢ ـ ١٣ أبريل ٢٠١١م عُقد المؤتمر الدولي الثالث لقسمي التاريخ والحضارة واللغة الفرنسية وآدابها بجامعة قناة السويس تحت عنوان: العلاقات المصرية الفرنسية عبر العصور، ومن البحوث التي قُدمت في هذا المؤتمر: القاهرة في عصر المماليك الشراكسة، للدكتور فايز نجيب اسكندر، و قاهرة المماليك في

وصف مصر ما بين التسطيح والتجريح، للدكتور بيومي إسماعيل، و أعمال الحملة الفرنسية في العمائر المملوكية في القاهرة، للدكتورة هبة علي يوسف

- من ٢٦-٢٨ أبريل ٢٠١١م عقدت الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المؤتمر السنوي لها، والذي دار هذا العام حول (السلطة في العالم العربي عبر العصور)، ومن بحوث المؤتمر: السلطة في مصر عصر سلاطين المماليك، للدكتور علاء طه رزق.الحكم المملوكي وشرعية السلطة، للدكتورة إيمان مصطفى عبد العظيم. علاقة الفقهاء بالسلطة في الأندلس - عصر بني نصر، للدكتور عبد الحليم علي رمضان. الحرفيون والسلطة في الأندلس من منتصف القرن الثاني حتى أواخر القرن الخامس الهجري، للدكتورة عبير زكريا سليمان.

- خلال الفترة من ٣ - ١٤ يوليو ٢٠١١م عقدت دار الكتب والوثائق القومية دورتها الثامنة ضمن برنامج (تنمية مهارات البحث في مصادر المعرفة)، ومما ألقي في هذه الدورة من محاضرات: دار المحفوظات العمومية كمؤسسة من مؤسسات التراث الوثائقي، للدكتورة إنصاف عمر، المأثورات الشعبية مصدرًا للمعرفة، للدكتور أحمد مرسي ، الحياة العلمية في مصر في العصر العثماني، للدكتور صبري أحمد العدل، سجلات المحاكم الشرعية مصدرًا للتاريخ، للدكتور خالد زيادة، سجلات الديوان العالي وأهميتها الأرشيفية والتاريخية، للدكتورة جيهان عمران، قراءة في سجلات المحاكم الشرعية، للدكتور عزة محمود، المخطوطات مصدرًا للمعرفة، للدكتور مصطفى لبيب عبد الغني، منهج تحقيق المخطوطات، للدكتور عماد هلال، كيفية قراءة نصوص المخطوطات العربية، للدكتور حسام عبد الظاهر .

- فى يوم ١٧ سبتمبر ٢٠١١ م حصلت حنان عبد الله محروس على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى، من قسم المكتبات وتقنية المعلومات والوثائق بكلية الآداب - جامعة القاهرة، عن أطروحتها "الببليوغرافيات العربية العامة عند المسلمين من بداية القرن الحادي عشر الهجري حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري - دراسة تحليلية ببليوغرافية". وكانت لجنة مناقشة الرسالة مكونة من: الدكتور سعد محمد الهجرسي (مشرفًا)، و الدكتورة سميرة محمد خليل (مشرفًا مشاركًا)، و الدكتور محمد فتحي عبد الهادي (عضوًا)، والدكتور كمال عرفات نبهان (عضوًا).

- خلال يومي ١و٢ أكتوبر ٢٠١١م، نظّم مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف والسيرة العطرة بدولة المغرب ندوةً علمية بعنوان "المدرسة الحديثية بالمغرب والأندلس - ابن القطان نموذجًا". وقد ناقش المؤتمر أربعة محاور:

الأول: المدرسة الحديثية بالمغرب والأندلس: خصائص وأعلام. الثاني: الإمام ابن القطان وتكوينه المعرفي. الثالث: الإنتاج العلمي لابن القطان. الرابع: الإمام ابن القطان وتأثيره في الدراسات الحديثية. ودارت بحوث المؤتمر حول أعلام وأقطاب الدراسات الحديثية المغربية والأندلسية وجهودهم، ومنهم: القاضي عياض، وابن عبد البر ، وعبد الملك بن حبيب. شارك في الندوة: الدكتور فاروق حمادة، والدكتور عبد اللطيف الجيلاني، والدكتور خالد الصمدي، والدكتور محمد زين العابدين رستم، والدكتور جمال البختي، والدكتور محمد السرار، والدكتور خالد مدرك، والدكتورة رقية آيت الدوش، والدكتور الحسن آيت سعيد محمد بنكيران.

- خلال اليومين ٨،٧ ديسمبر ٢٠١١م نظم اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة مؤتمره السنوي، الذي كان موضوعه هذا العام (المرأة العربية عبر عصور التاريخ)، ومن البحوث التي قُدمت للمؤتمر: نساء فقيهات في المغرب الإسلامي في عصر المرابطين والموحدين، للدكتور سامية مصطفى مسعد. مكانة المرأة ودورها في البلاط الفاطمي، للدكتور عبد الغني زهرة. دور المرأة السياسي والثقافي في العصر السلجوقي، للدكتور صلاح الدين عاشور. حقوق المرأة في مجتمع بيت المقدس في العصر المملوكي، للدكتور علي السيد علي.

٢٠١٢م

- صدر هذا العام عن مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة كتب: إيضاح بغية أهل البصارة في ذيل الإشارة، لتقي الدين الفاسي (٨٣٢هـ/١٤٢٩م)، تحقيق: الأستاذ أحمد عبد الستار، والمنتقى من تاريخ مصر، لابن خطيب الناصرية (ت٨٤٣هـ/١٤٤٠م)، تحقيق: الأستاذ أحمد عبد الستار، ولقط المنافع في علم الطب ، لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) جـ٢، تحقيق الدكتور مرزوق علي إبراهيم ومشاركة الأستاذ محمد إسماعيل والأستاذة أنوار صبحي، وجواهر القرآن ودرره، شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، ج١٨، تحقيق: الدكتور أشرف محمد فريد، ومحاضرات الموسم الثقافي لمركز تحقيق التراث))الموسم الثقافي الخامس (٢٠٠٥ـ ٢٠٠٦م) ـ الموسم الثقافي السادس (٢٠٠٦ ـ ٢٠٠٧م)[، إعداد وتحرير الدكتور حسام عبد الظاهر.

- كما أعاد المركز طبع بعض الكتب الأخرى وهي: الأمالي وذيل الأمالي للقالي (٣٥٦هـ/٩٦٧م)، والتنبيه على أوهام أبي علي القالي للبكري (ت٤٨٧هـ١٠٩٤م)، والخلفاء الأربعة للتيمي (ت٥٣٥هـ/١١٤٠م) بتحقيق: الدكتور كرم حلمي فرحات،

والمعرب من الكلام الأعجمي للجواليقي (ت٥٤٠هـ/١١٤٥م)، بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، و مورد اللطافة، لابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) بتحقيق: الدكتور نبيل محمد عبد العزيز، والمنهل الصافي لابن تغري بردي أيضًا، بتحقيق: الدكتورين محمد محمد أمين ونبيل محمد عبد العزيز، ونزهة الأبصار في خواص الأحجار، المنسوب للغساني (ت٧٨٥هـ/١٣٨٣م) (طبعة ثانية مزيدة ومنقحة) بتحقيق: الدكتور أحمد عبد الباسط والأستاذ أحمد عبد الستار، والوافي بحَل الكافي لابن مرشد المعمري (ت١٠٣٧هـ/١٦٢٨م) بتحقيق: الدكتور أحمد عفيفي، وأوراق البردي العربية في دار الكتب المصرية، للدكتور أدولف جروهمان، وترجمة الدكتورين حسن إبراهيم حسن وعبد العزيز الدالي.

- أقام المركز أربع ندوات خلال الفترة من أبريل إلى يوليو ٢٠١٢م ضمن فعاليات الموسم الثقافي الحادي عشر (٢٠١١-٢٠١٢م). وقد دارت موضوعات هذه الندوات حول: لماذا نهتم بالتراث؟ للدكتور حسين نصار، والموسوعات في التراث الإسلامي للدكتور أيمن فؤاد سيد، والضبط الببليوجرافي في التراث الإسلامي للدكتور عبدالستار الحلوجي، والإسهامات العربية في الثورات العلمية للدكتور أحمد فؤاد باشا، والتجديد في صناعة معاجم التجمعات اللفظية للدكتورة وفاء محمد كامل، وعبقرية التأليف عند العرب للدكتور كمال عرفات نبهان، وعلم مصطلح الحديث وعلم التاريخ للدكتور حسنين محمد ربيع، ودور التراث في تحقيق الوفاق الإسلامي للدكتور عفت الشرقاوي.

- كما نظم مركز تحقيق التراث ثلاث ندوات خلال الفترة من أكتوبر إلى ديسمبر ٢٠١٢م ضمن فعاليات الموسم الثقافي الثاني عشر (٢٠١٢-٢٠١٣م). وقد دارت موضوعات هذه الندوات حول: دور مصر في الثقافة الإنسانية للدكتور حسين نصار، وصورة المرأة في العقل الجمعي المصري من خلال أمثاله للدكتورة وفاء كامل، ومصادر التاريخ المصري في العصر الفاطمي للدكتور أيمن فؤاد سيد.

- وعن مركز تاريخ مصر المعاصر بدار الكتب المصرية صدر هذا العام أيضًا كتاب: تراث محمد شفيق غربال (البحوث والمقالات)، للدكتور حسام أحمد عبد الظاهر.

- خلال الفترة من ٢٢-٢٤ مارس عقد قسم الحضارات العربية والإسلامية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة سيمنار التاريخ السنوي، والذي دار هذا العام عن (الاحتجاج والانتفاضات والثورات في مصر والعالم العربي). وممن شارك في هذا المؤتمر

الدكتور حجازي سليمان ببحثه عن حركات المعارضة في عصري الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون، والدكتورة سماح السلاوي بورقتها عن ثقافة الاحتجاج في العصر المملوكي من خلال الأدب، والأستاذة شيماء فرغلي ببحثها عن: كتب النوازل والفتاوى مصدرًا لدراسة الاحتجاجات والثورات (الأندلس نموذجًا).

- في الأربعاء ٤ أبريل شارك الدكتور حسام عبد الظاهر (الباحث بالمركز) في سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية ببحث عنوانه: من قضايا التاريخ الإسلامي في كتابات محمد شفيق غربال.

- في يومي ١٥و١٦ مايو ٢٠١٢م نظَّم مركز الدراسات والبحوث في الفقه المالكي التابع للرابطة المحمدية للعلماء بدولة المغرب، بالتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن طفيل - الدورة التكوينية عن منهجية البحث في الفقه الإسلامي، في موضوع «المنهجيَّة الفقهيَّة في مؤلَّفات المذهب المالكي». ومن بين البحوث التي قُدمت في الدورة:

- المصادر الأولى للفقه المالكي، للدكتور الناجي لمين.
- المتون المالكية وأثرها في حراسة المادة الفقهية، للدكتور عبد الحميد العلمي.
- الجهود المالكية على المدونة والتهذيب، للدكتور محمد الوثيق.
- جهود المالكية على الرسالة، للدكتور عبد المغيث الجيلاني.
- جهود المالكية على مختصر خليل، للدكتور محمد المصلح.
- المصادر المعتمدة للإفتاء في المذهب المالكي، للدكتور محمد بلحسان.
- منهجية علماء المالكية في أحكام القرآن - القرطبي وكتابه أحكام القرآن نموذجًا، للدكتور صالح زارة.
- مؤلَّفات المالكية في أحكام الحديث الشريف، للدكتور محمد بنكيران.
- فقه أحاديث الأحكام عند مالكية الغرب الإسلامي، للدكتور خالد الميقالي.
- الاختلاف والإجماع في المذهب المالكي وأهم مؤلَّفاته، للدكتور محمد السَّرار.
- النقد الفقهي في المذهب المالكي، للدكتور عبد الحميد عشاق.
- عناية المالكية بالمقاصد، للدكتور محمد شهيد.
- التصنيف الأصولي عند المالكية - خصائصه وأثره، للدكتور محمد التمسماني.

- القواعد الفقهية في المذهب المالكي، أنواعها وأهم مؤلَّفاته، للدكتور رشيد المدور.
- الجدل الفقهي في المذهب المالكي، للدكتور محمد العلمي.
- الحِسْبة في المذهب المالكي وأهم مؤلَّفاتها، للدكتور سمير قدُّوري.
- مؤلَّفات النَّوازل في المذهب المالكي، للدكتور سلام أبريش.
- أصول القضاء ومسائل الأحكام عند المالكية وأهم مؤلَّفاتهم فيها، للدكتور إدريس السفياني.
- المقاربة المنهجية للفقه التطبيقي في المصنفات التوثيقية المالكية - السياق، التطور، للدكتور إدريس إجويلل.
- علم الفرائض وأشهر مؤلَّفاته في المذهب المالكي، للدكتور محمد أوالسو.
- علم التوقيت ومؤلَّفاته في المذهب المالكي، للدكتور عبد السلام إجميلي.
- علم المناسك ومؤلَّفاته في المذهب المالكي، للدكتور عبد السلام الزياني.
- مؤلَّفات المالكية في الأجزاء والرسائل الفقهية المفردة، للدكتور محمد أمنو البوطيبي.

● خلال اليومين ٢٦و ٢٧ نوفمبر عقدت مكتبة الإسكندرية، بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) - ندوةً بعنوان «تاريخ الكتاب العربي ودوره الحضاري». شارك في الندوة ١٣ باحثًا وأكاديميًا من: مصر، والمغرب، ولبنان، والسودان، وعُمان، وتركيا. ومن البحوث التي قُدمت للندوة:

- ملحمة الكتاب العربي، للدكتور أحمد شوقي بنبين.
- تنوع صيغ التأليف في الكتاب العربي، للدكتور محمود محمد مصري.
- رحلة الكتاب العربي إلى زاوية الجغبوب، للدكتور محمد خليل الزَّرُّوق.
- الإنتاج الفكري العربي الإسلامي في القرون الأربعة الأولى للإسلام كما يوضحه «الفهرست» للنديم، للدكتور أيمن فؤاد سيد.
- الكتاب النحوي (تضاريس التأليف وأشكاله في القرون الأولى)، للدكتور فيصل عبد السلام الحفيان.
- ذاكرة سلطنة عمان الرقمية، للدكتور داود الهنائي.
- أدوات الكتابة والمواد المستخدمة في صناعة المخطوط الإسلامي وتطورها عبر

العصور الإسلامية المختلفة، للدكتور علاء الدين عبد العال.

- الكتاب العربي وأثره على التواصل الحضاري (السودان وشرق أفريقيا نموذجًا)، للدكتور يوسف فضل.

- الكتاب العربي في لبنان، للدكتور محمد علي فرحات.

- تأصيل مصطلح التحقيق وفلسفته، للأستاذ رامي الجمل.

- الكتاب العربي ودوره في قيام النهضة الأردنية الحديثة، للدكتور أحمد الصديقي.

٢٠١٣م

- صدر هذا العام عن مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة كتب: شرح كتاب سيبويه للسيرافي ج١٥، تحقيق: الدكتور صلاح العشيري والأستاذ عبد الرحمن محمد عصر، وسراج التوحيد الباهج النور لليافعي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٧م)، تحقيق: الدكتورة مها مظلوم، وطبعة جديدة مزيدة ومنقحة من كتاب: شوامخ المحققين، وهو يضم محاضرات الموسم الثقافي لمركز تحقيق التراث)] الأول (٢٠٠١-٢٠٠٢م) - الثاني (٢٠٠٢ - ٢٠٠٣م) .[إعداد وتحرير د.حسام عبد الظاهر.

- وأقام مركز تحقيق التراث عدة ندوات خلال الفترة من ٣ فبراير إلى ٢ يونيو ٢٠١٣م وذلك ضمن الموسم الثقافي الثاني عشر (التراث المصري)، والمحاضرات التي أُلقيت فيه بيانها كالتالي:المدرسة المصرية في الدراسات القرآنية، للدكتور عفت الشرقاوي. مصر في التراث العربي الإسلامي (المؤلفون والمؤلفات)، للدكتورة سميرة خليل. البخاري في مصر (صفحات من التاريخ الثقافي للجامع الصحيح من منتصف القرن الثالث إلى منتصف القرن التاسع الهجري)، للدكتور حسام عبد الظاهر. عبد التواب يوسف وأدب الأطفال، للأستاذة شيرين الخطيب. المدرسة المصرية الحديثة في تاريخ العلوم وتحقيق التراث العلمي، للدكتور أحمد فؤاد باشا. ابن يوسف وموقعه على القمر، للدكتور مجدي يوسف. كمال الدين الدميري وكتابه حياة الحيوان الكبرى، للدكتورة مها مظلوم.

- كما بدأ المركز موسمه الثقافي الثالث عشر (٢٠١٣-٢٠١٤)، وعُقدت ندوتان خلال شهري أكتوبر وديسمبر. وقد دار موضوع الندوة الأولى حول: الإحساس بالجمال عند طه حسين، للدكتور حسين نصار. أما الندوة الثانية فدارت حول عملين لطه حسين هما: شجرة البؤس، ومن بعيد، حاضرت عنهما الدكتورة مها مظلوم، والأستاذ علياء

عبد الخالق.

- في السبت ٢٦ يناير ٢٠١٣م شارك الدكتور أيمن فؤاد سيد في سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية بورقة عنوانها: التطور العمراني لمدينة القاهرة.

- في الفترة ما بين ١٠-٢٥ فبراير ٢٠١٣م قامت دار الكتب والوثائق القومية بالتعاون مع جمعية المكنز الإسلامي بتنظيم الدورة التدريبية الأولى في فن فهرسة المخطوطات، وهدفت الدورة إلى توفير أساس نظريّ وتطبيقي لمفهرس المخطوطات العربية، وتزويد المشاركين بالمهارات العملية الشاملة لفهرسة المخطوطات. وقد أُلقيت في هذه الدورة المحاضرات الآتية:

- المخطوط العربي والفهرسة (مفاهيم أساسية)، للدكتور عبد الستار الحلوجي.
- ثقافة المفهرس، للدكتور عبد الستار الحلوجي.
- أنواع الفهرسة ومناهجها: للدكتور عبد الستار الحلوجي.
- من دقائق فهرسة مجاميع دار الكتب المصرية، للدكتور عبد الستار الحلوجي.
- وصف استمارة الفهرسة المعمول بها بالدار، للدكتور أحمد عبد الباسط .
- خوارج النصّ وعلم الكوديكولوجيا، للدكتور أيمن فؤاد سيد .
- الإجازات والسماعات والمطالعات، للدكتورأيمن فؤاد سيد .
- الإجازات والأختام والوقفيات المغمورة بدار الكتب المصرية (نماذج واقعية): مجموعة الباحثين بالمخطوطات (الأساتذة: صالح عبد الفتاح، وإكرامي عشري، ومحمد زينهم).
- المشيخات والأثبات: أنواعها وتوثيقها، للدكتور أحمد معبد .
- نماذج من مشيخات دار الكتب، للأستاذ أحمد عبد الستار.
- أنماط التأريخ في المخطوط العربي، للدكتور أحمد عبد الباسط.
- الخط العربي: أنواعه ووصفه والتمييز بين أنواعه، للأستاذ محمد حسن إسماعيل.
- وصف فنون المخطوط والتجليد، للدكتور سامح البنا، والأستاذ محمود زكي.
- من تجارب المؤسسات في فهرسة المخطوطات (تجربة مكتبة الأوقاف بالسيدة

زينب)، للدكتور محمد حلمي وآخرين.

- كيفية التعامل مع المخطوط أثناء الفهرسة، للأستاذ جون ممفورد.

- في السبت ٢٣ فبراير٢٠١٣م شاركت د. يمنى رضوان في سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية ببحث عنوانه: النداء على النيل إحدى وسائل الدعاية في مصر في العصر الفاطمي الأول.

- يوم الثلاثاء ١٩ مارس ٢٠١٣م نظم مركز دراسات المخطوطات الإسلامية التابع لمؤسسة الفرقان للتراث بلندن محاضرةً للدكتور أحمد شوقي بنبين، بعنوان: "الكتاب العربي المخطوط في شمال إفريقيا وجنوبي الصحراء"، وذلك بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الحسن الثاني بمدينة الدار البيضاء المغربية.

- خلال الأيام ١١-١٤ أبريل، أقام معهد المخطوطات العربية بالتعاون مع مخبر المخطوطات بجامعة زيان عاشور بولاية الجلفة (الجزائر) - الدورة التدريبية التمهيدية الدولية «مدخل إلى تحقيق النصوص». وقد اشتمل برنامج الدورة على أربع محاضرات للدكتور بشار عواد معروف عن: فن التحقيق، وتوثيق العنوان والمؤلف والنسبة، وتحرير النص وضبطه، والتقديم للنص ودراسته. كما ضمت الدورة ثلاث محاضرات للدكتور عبد الستار الحلوجي عن: ثقافة المحقق واختيار النص، ودراسة النسخ وتقييم منازلها، وتكشيف النص. وشارك في الدورة أيضًا الدكتور أحمد عبد الباسط والأستاذ محمود زكي: الأول بمحاضرة عن: النسخ والمقابلة، والثاني بمحاضرة عن: جمع النسخ والمقابلة.

- من ١١ إلى ١٣ أبريل ٢٠١٣م عقدت مؤسسة البحوث والدراسات العلمية بفاس، بالتعاون مع الرابطة المحمدية للعلماء ومعهد الدراسات المصطلحية بفاس - المؤتمرَ العالمي الثاني للباحثين في القرآن الكريم وعلومه تحت عنوان " آفاق خدمة النص والمصطلح في الدراسات القرآنية"، ومن بين بحوث المؤتمر:

- أفق خدمة الفهرسة والتصوير للمخطوطات في الدراسات القرآنية، للدكتور محمود مصري.

- أفق خدمة التوثيق والتحقيق للمخطوطات في الدراسات القرآنية، للدكتور فيصل الحفيان.

- أفق خدمة التوثيق والتحقيق للمخطوطات في الدراسات القرآنية - كتب القراءات

القرآنية نموذجًا، للدكتور محمد حسان الطيان.

- تحقيق نصوص الدراسات القرآنية في الجامعات السعودية، للدكتور محمد بن سريع السريع.

● في يومي ١٤-١٥ أبريل، عقد مَخْبر جمع دراسة وتحقيق المخطوطات بجامعة زيان عاشور بالجلفة (الجزائر) - الملتقى الدولي الثاني «حول مناهج تحقيق المخطوط بين العرب والغرب». ومن بين البحوث التي شاركت في الملتقى:

- التحقيق المشترك للكتب المتعددة المجلدات، للدكتور خلفان بن زهران.
- تحقيق التراث بين العلم والادعاء، للدكتور عبد الستار الحلوجي.
- الأسس العامة لمناهج تحقيق نصوص المخطوطات عند بعض العلماء العرب، للدكتورة خديجة زبار عنيزان.
- تجربة المتقدمين والمعاصرين من علماء العرب والمسلمين في التأصيل لمناهج التحقيق دراسةً ونقدًا، للدكتور شعيب مقنونيف.
- النص التراثي وإشكال تعاقب التحقيقات، للدكتور عبد الله الراشدي.
- التكامل المعرفي منهجًا لدراسة المخطوطات وتحقيقها، للدكتور إدهام محمد حنش.
- منهج تحقيق النص التاريخي - «المواعظ والاعتبار» نموذجًا، للدكتور أيمن فؤاد سيد.
- طرق ومناهج تحقيق التراث والمخطوطات التاريخية، للدكتور خير الدين شترة.
- أثر النهضة العربية على منهجية تحقيق المخطوط العربي، للدكتور محمد رشدي جراية.
- المؤرخون الجزائريون وتحقيق التراث، للدكتور عبد القادر بوباية.
- جهود محمد شنب ومنهجه في التحقيق، للدكتور محمد زيوش.
- مناهج تحقيق التراث - حوار النظر والتطبيق، للدكتور فيصل الحفيان.
- مناهج تحقيق كتب تراجم النُّحاة - عرض ونقد، للدكتور حسن خميس الملخ.
- الخطوط في مخطوطة «الدرر الكامنة» - دراسة منهجية، للدكتور فاطمة زبار عنيزان.
- منهجية تحقيق المخطوطات الوقفية عند العرب المعاصرين، للدكتورة هبة ترجمان.
- البطاقة التوصيفية لفهرسة المخطوط: أهميتها، أنواعها، عناصرها، للدكتور عوفي

عبد الكريم.

- أدوات البحث في مخطوطات زوايا مخطوطات الجنوب الجزائري، للدكتور محمد صباحي.
- تحقيق المخطوطات بالجامعة المغربية، للدكتور لحسن تاوشخت.
- مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا ودوره في الحفاظ على التراث المخطوط، للدكتور بوركبة محمد.
- تحقيق المخطوطات في العالم العربي بين التسمين والاختزال، للدكتور محمد الشريفين.
- ديوان عبيد بن الأبرص بين تحقيقين، للدكتور أحمد عبد الباسط.
- آفاق تحقيق النصوص بين الواقع والمأمول، للدكتور ماهر عزت.
- مناهج تحقيق المخطوطات لدى العرب والغرب - الاتفاق والافتراق، للدكتور محمود مصري.
- منهجية تحقيق تراث المغرب الإسلامي المخطوط عند ليفي بروفنسال، للدكتور بلعربي خالد.
- جهود المستشرق جوتهُلْف برجستراسَّر في تحقيق النصوص العربية من خلال كتابه «أصول نقد النصوص ونشر الكتب»، للدكتور عبد اللطيف هني.
- وثائق نقل المعارف عند المسلمين وعناية المستشرقين بها، للدكتور عز الدين كشنيط.
- المستشرقون ودورهم في تحقيق المخطوطات العربية، للدكتور بو قرومة حكيمة.
- قواعد وأساليب ومناهج تحقيق المخطوطات التاريخية عند الغرب للكشف عن الحقيقة التاريخية، للدكتور شيكو يمينة.
- وجهة نظر الاستعراب الفرنسي في تحقيق النصوص العربية - نقد في إطار مناهج المحققين العرب، للدكتور إياد خالد الطباع.
- الاستشراق ودوره في تحقيق المخطوط، للدكتور عابد بوهادي.
- ميكلوش موراني وتحقيقاته لكتب السادة المالكية، للدكتور عبد الغني عيساوي.

● الثلاثاء ٣٠ أبريل ٢٠١٣م بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للتراث عُقدت ندوة بعنوان

(التراث العربي في الميزان). بالمكتبة المركزية الجديدة بجامعة القاهرة، حاضر فيها الأساتذة الدكاترة: عبد الستار الحلوجي، وفيصل الحفيان، وشريف شاهين.

● خلال المدة من ١٢-١٦ مايو ٢٠١٣م نظم معهد المخطوطات العربية بالتعاون مع مكتبة الإسكندرية دورة «فهرسة المخطوط العربي»، وقد حملت الدورة اسم الأستاذ الراحل عصام الشنّطِي. وكان برنامج الدورة على النحو الآتي:

- بنية المخطوط العربي، للدكتور فيصل الحفيان.
- الفهرسة (المفهوم والوظيفة والحدود)، للدكتور عبد الستار الحلوجي.
- مناهج الفهرسة، للدكتور محمد فتحي عبد الهادي.
- العنوان واسم المؤلِّف (الضبط والنسبة)، للدكتور علي أبو زيد.
- تحديد ملامح النص (تحديد الموضوع، تاريخ التأليف، الأول والآخر، البيان التلخيصي)، للدكتور فيصل الحفيان.
- ضبط الكيان المادي (التسلسل، المقاس، الأسطر والكلمات)، للدكتور فيصل الحفيان.
- الحوامل (تمييز الأنواع، طرق الوصف)، للدكتور خالد عزب.
- المِداد والخطوط (الأنواع، الملامح العامة، الفروق)، للدكتور علاء عبد العال.
- التواريخ على المخطوط (الأنماط، الحضور والغياب، المقاربة)، للدكتور أحمد عبدالباسط.
- خوارج النَّص (الأنواع، الوظائف)، للدكتور أيمن فؤاد سيد.
- التجليد وفنون المخطوط (المدارس، الأنواع، الملامح الفارقة)، للأستاذة سارة حامد.
- مشكلات الفهرسة، للدكتور أيمن فؤاد سيد.
- الفهرسة الإلكترونية، للأستاذ أحمد عبد الراضي.
- ورشة تدريبية (الفهرسة: مسائل التوثيق)، للدكتور شريف علي الأنصاري.
- ورشة تدريبية (الفهرسة: مسائل الوصف)، للأستاذ تامر الجبالي.
- عصام محمد الشنّطِي (جلسة خاصة تأبينية وعلمية): للدكتور أيمن فؤاد سيد، والدكتور فيصل الحفيان، والأستاذ مهنا حمد المهنا، والأستاذ تامر الجبالي.

● نظَّم معهد المخطوطات العربية في ٢٧ مايو بالتعاون مع مكتبة الإسكندرية يوم

المخطوط العربي، وذلك ببيت السناري. وقد نُظمت عدة فعاليات خلال هذا اليوم، ومنها:

- ندوة "شخصية العام الثقافية: عصام محمد الشنطي شيخ مفهرسي المخطوطات": تحدث في الندوة: الأساتذة الدكاترة: عبد الستار الحلوجي، وأيمن فؤاد سيد، وفيصل الحفيان، وماهر عبد القادر، وأحمد عبد الباسط، ومحمد المعصراني.
- جلسة "حكايات المخطوط"، وممن تحدث فيها د. عبد الستار الحلوجي، ود. أيمن فؤاد سيد.
- ورشة عمل "كيف تصنع الإسطرلاب؟"، وورشة عمل للأطفال: "فن الكتاب المخطوط".
- معرض: مخطوطات منسية من صعيد مصر.
- معرض: نوادر المخطوطات العربية في العالم.
- معرض صناعة المخطوط ـ الآلات والأدوات.
- معرض: تراث الفلكيين.
- معرض: عصام الشنطي شيخ مفهرسي المخطوطات........إلى غير ذلك من أنشطة عديدة.

● وخلال الفترة ٢-٦ يونيو ٢٠١٣م، نظمت مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي (لندن) بالتعاون مع جامعة الأزهر دورةً بعنوان "تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية وعلم الكلام". تضمنت ورش عمل ومحاضرات، ومن بين المحاضرات:

- تأصيل قواعد تحقيق النصوص عند المسلمين، للدكتور محمود مصري.
- مراحل تحقيق المخطوط وقواعده، للدكتور أيمن فؤاد سيد.
- التحقيق العلمي: مشكلاته ومعوقاته، للدكتور فيصل الحفيان.
- تحقيق كتب علوم القرآن، للدكتور رفعت فوزي عبد المطلب.
- مشكلات تحقيق كتب الفقه وأصوله، للدكتور محمود مصري.
- خصوصيات تحقيق مخطوطات الحديث ومشكلاته، للدكتور محمود مصري.
- تحقيق نصوص علم الكلام، للدكتور حسن الشافعي.
- تحقيق نصوص التصوف : الصعوبات والمشكلات - مدارج السالكين نموذجًا، للدكتور

عبد الحميد مدكور.

- مشكلات تحقيق كتب الفلسفة الإسلامية، للدكتور محمد السيد الجليند.

- تحقيق كتب المشيخات والأثبات - الصعوبات والمشكلات، للدكتور رفعت فوزي عبدالمطلب.

- تحقيق مخطوطات الحديث وأسسه وإشكالياته، للدكتور رفعت فوزي عبد المطلب.

● الخميس ٦ يونيو ٢٠١٣م: بمناسبة مرور ٤٠٠ عام على بدء الدراسات العربية والإسلامية في هولندا، نظم قطاع صندوق التنمية الثقافية في مصر، بالتعاون مع السفارة الهولندية بالقاهرة وقطاع العلاقات الثقافية الخارجية - معرضًا تحت عنوان: (فن الكتاب الإسلامي من مجموعة ليدن - الجمال في المخطوطات الشرقية)، وقد ضم المعرض مجموعة مختارة من أكثر المخطوطات جمالاً ، من المجموعات الخاصة بجامعة ليدن.

● في يوم الأربعاء ١١ أغسطس ٢٠١٣م رحل العالم والمحقق الكبير الأستاذ الدكتور محمود علي مكي، ودُفن بمقابر المسلمين في العاصمة الإسبانية مدريد. كان - رحمه الله - واحدًا من كبار المَعْنيين بالتراث الأندلسي، وله فيه - تحقيقًا وتأليفًا وبحثًا - عشرات الأعمال العلمية، ومن أهم تحقيقاته: أحكام السوق ليحيى بن عمر، وديوان ابن دراج القسطلي، والزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة لابن سماك العاملي، والمقتبس من أنباء أهل الأندلس (عدة أجزاء منه)....وغيرها.

● خلال الفترة ٤.٢ سبتمبر ٢٠١٣م عقدت هيئة المخطوطات الإسلامية، بالتعاون مع جمعية المكنز الإسلامي - مؤتمر المخطوطات التاسع، بجامعة كامبردج، بعنوان «مخطوطات السلطنة المملوكية والمخطوطات المعاصرة لها». ومن بحوث هذا المؤتمر:

- أحجام الورق المستخدم في المخطوطات المملوكية: إسهامات ورق ديوان الإنشاء المملوكي، للدكتور فريديريك باودين.

- نُسَّاخ الكتب في العصر المملوكي، للدكتور محمد عيسى الشريفين.

- الصَّفَدي: شخصيته ومناهجه وتذوقه الأدبي في مخطوطة «التذكرة»، للدكتور إليس فرانسين.

- الرسائل المملوكية المصورة في الطب البيطري، للدكتور حسني الخطيب شحادة.

- البحث عن الكنوز الدفينة: مخطوطات عربية في البحث عن كنوز مصر الإسلامية في فترة العصور الوسطى، للدكتور كريستوفر براون.
- عمل تاريخي إيلخاني طواه النسيان: زبدة التواريخ لأبي القاسم كاشاني، للدكتور أوسامو أوتسوكا.
- رسوم المخطوطات المملوكية ومخطوط «سلوان المطاع»، للدكتور آنا كونتاديني.
- مصحف روزبهان بمكتبة تشستربيتي: كشف النقاب عن تقنيات صناعة أحد الروائع التي يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر، للدكتور فيونا ماكليز.
- رقمنة مجموعات المخطوطات الموجودة بمكتبة المسجد الأقصى، القدس الشرقية - الأراضي الفلسطينية، للدكتور قاسم أبو حرب.
- التراث السوداني الإفريقي القادم من الحقبة المملوكية إلى عصر الإنترنت: تحديات الثورة الرقمية في التراث المخطوط، للدكتور حامد الثاني.
- أشكال التأريخ في المخطوط المملوكي: نماذج مختارة من مخطوطات دار الكتب المصرية، للدكتور أحمد عبد الباسط.
- المخطوطات والآثار المملوكية في مكتبة أوقاف الموصل: دراسة تحليلية، للدكتور رائد الراشد.
- مخطوطات الفرائض التي أُلِّفت في القرنين الثالث والرابع عشر والمتعلقة بكتاب «الفرائض السراجية» للسَّجاوندي، للدكتور عبد الرحمن يازيجي.
- خطابات، موضوعات وأحجام: كيفية تنظيم مكتبة وقفية ترجع للقرن الثالث عشر، للدكتور كونراد هيرشلر.
- صفحات من تاريخ المخطوطات المملوكية: مصحف السلطان بيبرس الجاشنكير نموذجًا. دراسة فنية كوديكولوجية، للأستاذ كريم إفراق.
- تغليف الكتب: تجاليد من العصر المملوكي في الفترة ما بين ١٢٥٠-١٥١٦م، للدكتور أليسون أوهتا.

● الأربعاء والخميس ٤-٥ ديسمبر عُقدت بدا الكتب والوثائق القومية دورة تدريبية وورشة عمل حول (اختيار النص التراثي)، وذلك بالتعاون مع المركز الدولي للغة العربية، وقد تضمنت محاضرات هذه الدورة الموضوعات الآتية:

- اختيار النص بين الهواية والاحتراف، للدكتور أحمد عبد الباسط.
- اختيار النص اللغوي معايير الاختيار وصعوباته، ومعايير الانتقاء، للدكتور خالد فهمي.
- اختيار النص العلمي، للدكتور محمد جلال.
- اختيار النص الحديثي، أسسه وضوابطه، للدكتور أحمد معبد.
- اختيار النص التاريخي، إشكالياته، للدكتور أيمن فؤاد سيد.

● في السبت ٧ ديسمبر٢٠١٣م شارك الدكتور صبري العدل في سيمنار التاريخ العثماني بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية ببحث عنوانه: تطبيق حد شرب الخمر في مصر في العصر العثماني.

● يومي ١٢ و١٣ ديسمبر نظم المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية بباريس، بالتعاون مع المكتبة الرسولية بالفاتيكان، والوكالة الوطنية للبحث بروما ـ ندوةً دولية بعنوان "ألف ليلة وليلة: مصادرها المخطوطة وتنويعاتها السردية واشتغالاتها الثقافية".

● خلال الفترة ٢٦.٢٢ ديسمبر، عقد معهد المخطوطات العربية بالقاهرة دورة تدريبية بعنوان «أسس تحقيق النصوص . مكملات التحقيق»، وقد ضمت محاضرات الدورة الموضوعات الآتية:

- مكملات التحقيق (محاضرة تمهيدية)، للدكتور فيصل الحفيان.
- سياق النص وصاحبه (المناخ العام، المناخ الموضوعي)، للدكتور محمد جلال .
- دراسة المؤلف (الترجمة الذاتية، السيرة العلمية)، للدكتور محمد كمال الدين عز الدين.
- دراسة النص (العناصر، الترتيب، التقديم العام، المصادر، المنهج، الموازنات والنقد)، للدكتور أيمن فؤاد سيد.
- حديث النسخ ووصفها (الدراسة، البيانات، الترتيب)، للدكتور عبد الستار الحلوجي.
- عرض منهج التحقيق، للدكتور عبد الحميد مدكور.
- مقدمة التحقيق، وصناعة الكشافات (العامة والنوعية)، وورشة دراسة المؤلف، للدكتور خالد فهمي.
- الملاحق، وورشة دراسة النص ، للدكتور أحمد عبد الباسط.

- إخراج الكتاب، وقائمة المصادر والمراجع ، للدكتور أحمد العدوي.
- ورشة إخراج الكتاب، للأستاذ أشرف عبد المقصود .

● صدر هذا العام عن دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي كتاب " البارق في قطع يد السارق" لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) بتحقيق ودراسة الدكتور عبد الحكيم الأنيس.

● حصل معهد المخطوطات العربية هذا العام على نسخة كاملة من مخطوطات دير الإسكوريال، وهي من أندر مجموعات المخطوطات بأوربا، وهي مجموعة تزيد على ٢٠٠٠ مخطوط.

● فاز الباحث المغربي نور الدين شوبد بجائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي الممنوحة من قبل مؤسسة السويدي الثقافية بالإمارات، وذلك عن تحقيقه لكتاب " الرحلة الحجازية" لأبي عبد الله محمد بن الطيب الفاسي (ت١١٧٠هـ/١٧٥٧م).

● صدر عن معهد المخطوطات العربية المستدرك (١) على الجزء الرابع (ع - ل) من المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، جمع وإعداد وتحرير الأستاذ محمد أحمد المعصراني، وتقديم الدكتور فيصل الحفيان.

٢٠١٤م

● صدر هذا العام عن مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة كتب: الرعاية في تحصيل المقامات المذكورة، لمجهول، تحقيق: الدكتور عامر النجار ومشاركة الأساتذة: خديجة محمد كامل ومنى معوض وهناء حسن وصباح غباس وزينب البنداري، ودرة الأسلاك لابن حبيب (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، ج١و٢، تحقيق: الدكتور محمد محمد أمين، وتسهيل السبيل إلى تعلم الترسيل، للحميدي (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، تحقيق: الدكتورين عبد الحميد محمد شعيب وأحمد محمد مجاهد ، وطيب العروس وريحان النفوس للتميمي (ت٣٩٠هـ/١٠٠٠م)، تحقيق: الدكتور: لطف الله قاري، وديوان الزمزمي (ت٩٧٦هـ/١٥٦٨م)، تحقيق: الدكتور حسين خضر الصياد ، وديوان كعب بن زهير بن أبي سلمى بإملاء أبي العباس الأحول، تحقيق: الشيخ عبد العزيز الميمني و الأستاذ محمد صالح فرحات، وديوان ابن وكيع التنيسي (ت٣٩٣هـ/١٠٠٣م)، تحقيق: الدكتور حسين نصار، ورسائل المكان والضوء وأضواء الكواكب لابن الهيثم (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، تحقيق: الدكتور أحمد فؤاد باشا. وكتاب علماء ومؤسسات علمية في الحضارة الإسلامية، وهو يشتمل على

محاضرات الموسم الثقافي لمركز تحقيق التراث))السابع (٢٠٠٧ـ ٢٠٠٨م) ـ الثامن (٢٠٠٨ ـ ٢٠٠٩م)[، إعداد وتحرير الدكتور حسام عبد الظاهر، وكتاب في التراث العربي (كتب ـ أعلام ـ قضايا)، وهو يشتمل على محاضرات الموسم الثقافي لمركز تحقيق التراث))التاسع (٢٠٠٩ـ ٢٠١٠م) ـ العاشر (٢٠١٠ ـ ٢٠١١م) ـ الحادي عشر (٢٠١١ـ٢٠١٢م)[، إعداد وتحرير الدكتور حسام عبد الظاهر، والأستاذ محمد أبو العز عبده.

● كما أعاد المركز طبع بعض الكتب الأخرى وهي: أخبار قضاة مصر، للكندي (ت بعد ٣٥٥هـ/٩٦٦م)، تحقيق: د. حسين نصار، أخبار نيل مصر، للأقفهسي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، تحقيق: الدكتورة لبيبة إبراهيم والأستاذة نعمات عباس، والشكوك على بطليموس، لابن الهيثم (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، تحقيق: الدكتورين عبد الحميد صبرة ونبيل الشهابي، ورسالة في الهيئة، تحقيق: الدكتورة مها مظلوم، وكتاب الآثار، للشيباني (ت ١٨٩هـ/٨٠٥م)، تحقيق: الأستاذة خديجة محمد كامل بمشاركة الأساتذة: منى معوض وهناء حسن وصباح عباس.

● وخلال الفترة من ١٩ يناير ـ ٢ فبراير نظم مركز تحقيق التراث دورة تدريبية اشتملت على الموضوعات الآتية:

- مناهج تحقيق التراث، للدكتور حسين نصار.
- إعادة بناء النصوص التراثية، للدكتور أيمن فؤاد سيد.
- المخطوط العربي والمراجع العربية، للدكتور عبد الستار الحلوجي.
- الخط العربي، للأستاذ حاتم أوس الأنصاري.
- العلوم الفلسفية، للدكتور عبد الحميد مدكور.
- علوم اللغة، للدكتور عبد الكريم جبل.
- علم التاريخ وقواعد تحقيق المخطوطات التاريخية، للدكتور حسنين محمد ربيع.
- قراءة في التراث العربي، للدكتور عبد الحكيم راضي.
- خصوصيات تحقيق التراث العلمي، للدكتور أحمد فؤاد باشا.

● أقام المركز أربع ندوات خلال الفترة من فبراير إلى مايو ٢٠١٤م ضمن فعاليات الموسم الثقافي الثالث عشر(٢٠١٣ـ٢٠١٤م). وقد دارت موضوعات هذه الندوات

حول: طه حسين سياسيًا، للدكتورين أحمد زكريا الشلق، ومصطفى الغريب، وإسلاميات طه حسين، للدكتور عبد الستار الحلوجي، والتمرد على المألوف في كتاب الأيام، للدكتور حمادة إسماعيل، والمرأة في الشعر العربي، للباحثتين زينب البنداري ومروة محمد علي.

- كما نظم مركز تحقيق التراث ندوتين خلال شهري نوفمبر وديسمبر ٢٠١٤م ضمن فعاليات الموسم الثقافي الرابع عشر (٢٠١٤-٢٠١٥م). وقد دارتا حول: الحاكم العادل في ضوء رسالة الحسن البصري، للدكتور حسين نصار، ونظام الحكم في الدولة الفاطمية، للدكتور أيمن فؤاد سيد.
- خلال الفترة ٢٧يناير- ٦ فبراير وفي إطار التعاون بين مؤسسة الفرقان ومركز البحوث الإسلامية (إيسام) بإستانبول، ومعهد المخطوطات العربية - عُقدت دورة تدريبية مكثفة بعنوان «أسس تحقيق النص التراثي» بمركز البحوث الإسلامية (إيسام) بإستانبول. وقد شملت الدورة الموضوعات الآتية:

- بنية المخطوط (النص، الوعاء، الخوارج)، للدكتور فيصل الحفيان.
- التحقيق: ما هو (الأسس النظرية)، للدكتور محمد بوينوكالين.
- تاريخ التحقيق (الجذور والتأصيل)، للدكتور محمود مصري.
- أخلاق المحقق (القيم والعمل)، للدكتور فيصل الحفيان.
- ثقافة المحقق (التكوين المعرفي والعلمي)، للدكتور محمود مصري.
- مكتبة النص المخطوط (المصادر والعلاقات النصية)، للدكتور فخر الدين قَباوة.
- اختيار النص (المنطلقات، الخطوات، الأسس)، للدكتور محمود مصري.
- توثيق النص (المؤلف، العنوان، المحتوى)، للدكتور فيصل الحفيان.
- محاذير الاختيار وإشكاليات التوثيق (تطبيق)، للدكتور فخر الدين قَباوة.
- البحث عن النسخ (الإجراءات والمصادر)، للدكتور محمود مصري.
- نقد النُّسخ (الأسس العامة، طريقة النواقص)، للدكتور مرتضى بدر.
- التدريب على النواقص وعلى استخدام مصادر البحث عن النسخ (تطبيق)، للدكتور مرتضى بدر.

- استكشاف النص (الخط، الرموز، الاختصارات)، للدكتور عبد الحميد مدكور.
- عملية النّسخ والمقابلة (الضوابط، الفروق) - قواعد المقابلة (تطبيق)، للدكتور بشار عواد معروف.
- نظرة تطبيقية شاملة لتحقيق النص، للدكتور رمضان ششن.
- تحرير النص (الضبط، التفقير، الترقيم، لحاظ الفروق، تحديد القراءة الصحيحة)، للدكتور عبد الحميد مدكور.
- التعليق على النص (التخريج، التوثيق، الإضاءة) - التعليق على النص (التطبيق)، للدكتور بشار عواد معروف.
- مستويات الضبط وقواعد التفقير وأسس ترجيح الفروق وإقامة النص (تطبيق)، للدكتور عبد الحميد مدكور.
- دراسة النص (المنهج، العناصر)، للدكتور أحمد عبد الباسط.
- تكشيف النص (الآليات، الأنواع)، للدكتور بشار عواد معروف.
- مناقشة نماذج سلبية وإيجابية (تطبيق)، للدكتور أحمد عبد الباسط.
- ورشة القراءة (حل الإشكاليات)، للدكتور خالد فهمي.
- ورشة الضبط، للدكتور فخر الدين قباوة.
- ورشة المقابلة، للدكتور خالد فهمي.
- ورشة المعالجة (مشكلات إقامة النص)، للدكتور خالد فهمي.
- ورشة التعليق (الأسس)، للدكتور بشار عواد معروف.
- ورشة التعليق (التحرير)، للدكتور فيصل الحفيان.
- ورشة الدراسة (ترجمة المؤلف)، للدكتور محمد بوينوكالين.
- ورشة الدراسة (تقديم النص)، للدكتور فيصل الحفيان.
- ورشة التكشيف (صناعة الكشافات)، للدكتور أحمد عبد الباسط.

إسلاميات طه حسين

أ. د. عبدالستار الحلوجي (*)

(ملخص)

بدأ طه حسين حياته طالبًا في الأزهر، وكان الأزهر هو المكان الوحيد الذي يمكن أن يلتحق به المكفوفون للدراسة، وكان أمله أن يصبح شيخًا من شيوخه وأن يخصَّص له عمود من أعمدته. ولكنه اصطدم بالأزهر ورجاله، وانتقد مناهجه والأساليب التى كُتبت به المؤلفات المقررة على طلابه. ثم أصدر كتابه «في الشعر الجاهلي» الذي أثار عاصفة تسببت في فصله من الجامعة ومصادرة الكتاب، فاضطر إلى إعادة النظر فيه وإصداره بعنوان جديد هو : «في الأدب الجاهلي».

ولقد لُقِّب طه حسين بـ«عميد الأدب العربي» لأنه أثرى الأدب العربي بمؤلفاته، وأثار كثيرًا من المعارك الأدبية. أما كتاباته الإسلامية مثل «الوعد الحق» و«الشيخان»، و«على هامش السيرة» و«الفتنة الكبرى» فهي أدخل في بابي التاريخ والتراجم. ولعل كتابه «مرآة الإسلام» هو الكتاب الوحيد الذي تحدث عن الإسلام كدين، فقد خصص القسم الأول منه للسيرة النبوية، وتحدث في قسمه الثاني عن المصدرين الأساسيين للإسلام وهما: الكتاب والسُّنة، فتحدث عن إعجاز القرآن، وعن أهمية السُّنة في التشريع وفي تفسير القرآن.

ويؤخذ على الكتابات الإسلامية لطه حسين ثلاثة أمور:

أولها: أن بعض أفكاره كانت صادمة لعامة المسلمين، فقد نظر إلى الدين كظاهرة اجتماعية لا كوحي منزَّل من عند الله سبحانه وتعالى، وأعلن أن القرآن لايُعدّ مصدرًا للتاريخ القديم، وأن ما ذكره عن الأمم السابقة يخضع لمقاييس النقد الأدبي، ونادى بأنه لاحاجة بنا إلى التعليم الديني.

ثانيها: أنه لايذكر المصادر التي استقى منها معلوماته، ربما بحكم كفّ البصر، وكثيرًا ما يغفل المصادر الموثوقة ويعتمد على مصادر غير موثوقة ليثبت وجهة نظره.

ثالثها: أنه لايوقِّر الصحابة، ويتعامل معهم بأسلوب ساخر كما يتعامل مع الأدباء. وفى كتابه «الفتنة الكبرى» انتقص من بعض كبار الصحابة، واتهمهم بأنهم كانوا طامعين في الحكم.

وللحق فقد رجع طه حسين في أواخر أيامه عن كثير من آرائه. في سنة ١٩٥٥ نشر مقالاً بجريدة «الجمهورية» أعرب فيه عن احترامه الشديد للأزهر ورجاله. وفي محاضراته كان يقسِّم الكلام العربي إلى شعر ونثر، وكان يقول: أما القرآن فليس شعرًا، وليس نثرًا، وإنما هو قرآن له خصائصه التي تميزه عن الشعر والنثر جميعًا.

(*) كلية الآداب ـ جامعة القاهرة.